

مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
سلسلة: كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات (3)

المملكة المغربية

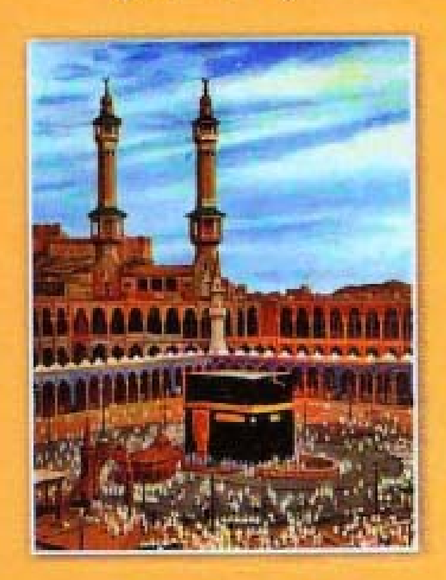


الرابطة المحمدية للعلماء



الرحلة الحجازية

للعلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي
(ت 1189 هـ)



ضبط وتعليق:
د. عبد العالي لمدبر

الرِّحْلَةُ الحِجَازِيَّةُ

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الحُضَيْكِي

(ت 1189هـ)

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء



مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

سلسلة: كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات (3)

الرحلة الحجازية

للعلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي

(ت 1189هـ)

ضبط وتعليق:

د. عبد العالي لمدبر



مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
الرابطة المحمدية للعلماء
شارع لعلو، لوداية ـ الرباط ـ المغرب.
العنوان البريدي: ص. ب: 1320 البريد المركزي ـ الرباط
البريد الإلكتروني: almarkaz@arrabita.ma
هاتف وفاكس: 537.730.334 /537.730.334(+212)

خضع هذا الكتاب قبل نشره إلى التحكيم والمراجعة

سلسلة: كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات(3)
الكتاب: الرحلة الحجازية
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي(ت1189هـ)
ضبط وتعليق: د. عبد العالي لمدبر.
خطوط الغلاف: محمد المعلمين.
شارك في المراجعة والتصحيح: طارق طاطمي ـ نور الدين شويد.
الإخراج الفني: نادية بومعيزة.
الطبعة الأولى: 1432هـ ـ 2011م/ **عدد النسخ:** 2000.

الإيداع القانوني: 2011 MO 1597
ردمك: 978-9954-542-15-6
الطبع والتوزيع: دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط
البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma
هاتف وفاكس: 537200055/ 537723276(00212)

تطلب منشوراتنا خارج المغرب من:

▪ **لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.**
ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974/ 300227(009611)

▪ **مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.**
19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد ـ مدينة نصر.
هاتف وفاكس: 2741750/ 2741578 (00202)

▪ **المملكة العربية السعودية: مكتبة التدمرية، الرياض.**
ص.ب 26173 ـ الرمز البريدي 11486
هاتف وفاكس: 4924706 / 4937130(00966)

▪ **الجزائر: مكتبة عالم المعرفة،** حي الصومام، عمارة 17، المحل07، باب الزوار.
هاتف: 21244537(00213)

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وذريته وتابعيه، وكل من اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

عرفت المكتبة الإسلامية على مرِّ التاريخ تنوعا باهرا في أنواع العلوم وطُرق التصنيف، ويعدّ أدب الرحلة في التراث الإسلامي نوعا من أبرك هذه الأنواع؛ فقد بدأ التأليف فيه على شكل مذكرات يومية لأناس كَلِفُوا بتسجيل وضبط تفاصيل ما يؤثث أيامهم من أحداث، وما لبث أن عُرف هذا الفن بكونه مصدراً تاريخياً وجغرافياً مهما لأيام الناس وحوادث الزمان، اشتهر به الرّحالة دون غيرهم.

وكان للمغاربة منذ القديم نصيب وافر في الاهتمام بهذا الفن، ويدلُّ على ذلك ما تركوه من آثار لا يمكن أن تنكر، ثم استمر هذا الوُلُوع بهذا النوع العلمي المتميّز بعد ذلك إلى يومنا هذا، ويرجع سبب اهتمام المغاربة بتدوين رحلاتهم بالأساس إلى تحقيق الأمل في أداء الركن الخامس للإسلام «**حج بيت الله الحرام**»، فكان بُعْدُ الشُّقّة، وطول الطريق، وازعا لتدوين ما يمرّ بالحاج طيلة شهور السفر، انتهاءً بذكر مناسك الحجّ.

ومن أهمّ الأسباب الدافعة لتدوين الرحلة أيضا، ذكر مجالس العلم التي تمكن صاحب الرحلة من حضورها، والتعريف بكبار المشايخ الذين أخذ عنهم العلم، أو جالسهم، أو حصل منهم على الإجازة؛ مما أثمر فنًّا جديداً بات يُعرف بفنّ الفهارس، أو المعاجم، أو الأثبات، أو المشيخات، وهو فنّ امتزج بعدد من الرحلات المغربية؛ من أشهرها رحلة أبي الحسن محمد بن أحمد ابن جُبير الأندلسي (ت614هـ)، ورحلة أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد الفهري السّبتي المسماة «ملء العيبة» (ت721هـ)، والرحلة المغربية لأبي عبدالله محمد بن محمد بن علي العبدري الحيحي (كانت رحلته سنة 688هـ)[1]، ورحلة أبي القاسم القاسم بن يوسف التجيبي (ت730هـ) المسماة بـ «مستفاد الرحلة والاغتراب»، وغيرهم.

وتعتبر رحلة العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الحُضَيْكِي(ت1189هـ) ـ التي أَشْرُفُ بتقديمها اليوم ـ من الرحلات الحجازية العلمية، التي جمع فيها صاحبها بين طلب العلم وأداء فريضة الحج، فرسم بذلك ملامح من حياته العلمية؛ مُعَرِّفاً بشيوخه الذين مرّ على مجالسهم في طريقه إلى الحجاز، وما تلقّاه عنهم من فوائد وإجازات، وأغنى العلامة الحضيكي رحلته بإفاداته التاريخية والجغرافية؛ إذ تحدّث عن التركيبة السكانية لعدد من البلدان، ذاكرا قبائلها وعشائرها وعاداتها الاجتماعية، واصفاً الكثير من المواضع والبقاع والمزارات

(1) الراجح عند المؤرخين أن العبدري توفي سنة 700هـ.

التي شاهدها وصفا دقيقا، ولم تخلُ رحلته من نَفَس أدبي رفيع؛ لا سيما عندما تشعر نفسه بالاغتراب، أو يغمرُ خاطره الشوق إلى المعاهد والديار.

وبالجملة فإن هذه الرحلة تكتسي قيمة كبيرة تؤهلها لتكون مصدرا تاريخيا وجغرافيا وأدبيا مهما، واعتبارا لمكانتها بين الرحلات المغربية، سارع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، إلى التعجيل بنشرها ضمن سلسلة «**كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات**» التي يسهر على إعدادها. وقد زاد هذا العمل قيمة، العناية المتميزة التي أولاها إياه الدكتور عبد العالي لمدبر، الباحث بخزانة القصر الملكي بالرباط، ضبطا وتحقيقا وتوثيقا وتعليقا وتكشيفا، نسأل الله أن يجزل مثوبة محقق هذه الرحلة الماتعة، ومثوبة جميع من كان سببا في إحيائها وتحقيقها ونشرها، كما أسأله سبحانه، أن يكتب ثواب هذا العمل في سجل حسنات راعي العلم والعلماء، مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء

مدخل

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على خير الورى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **وبعد:**

فإن التراث العربي المخطوط يعتبر أغنى تراث مكتوب عرفته الحضارة البشرية عبر تاريخها المديد، ليس من ناحية الكم فحسب، بل من حيث التنوع؛ إذ يشمل جميع أنواع المعارف والعلوم التي توصل إليها العقل البشري، مما جعل اهتمام الباحثين والدارسين ينصب على هذا التراث جمعا، وفهرسة، وتحقيقا، ودراسة، ونشرا.

وضمن هذا التراث العربي يندرج أدب الرحلة الذي يعد من الفنون الأصيلة عند العرب عامة، والمغاربة خاصة حيث عرفوا بغزارة التأليف، وتميزوا بتدوين رحلاتهم، التي تعددت مجالاتها وموضوعاتها، وتنوعت أهدافها، كالرحلة السياسية، والسفارة، وطلب العلم، وأداء فريضة الحج أو ما عرف بالرحلات الحجازية، التي شغلت نتاجاتهم حيزا كبيرا في هذا الفن، وزادت من إثراء التراث المغربي، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة، لمحمد بن عمر ابن رُشيد السبتي (ت721هـ).

2 ـ الرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد العبدري الحاحي، (كان حيا عام 688هـ).

3 ـ تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لمحمد بن بطوطة الطنجي (ت779هـ).

4 ـ ماء الموائد أو الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، لعبد الله بن محمد العياشي الذي (ت1090هـ).

5 ـ الرحلة الحجازية، لمحمد بن عبد الله الغيغائي، الذي حج عام (1234هـ).

6 ـ الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية لمحمد الطيب بن أبي بكر بن الطيب ابن كيران (ت 1314هـ).

7 ـ الرحلة الطنجوية الممسوكة بالمناسك المالكية للحسن بن محمد الغسال، حجَّ عام: (1315هـ).

8 ـ الرحلة المكية لأحمد بن محمد الرُّهوني الذي حج عام: (1355هـ).

والرحلة الحجازية للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي الجزولي (ت1189هـ)، التي نشرف بتقديمها للقارئ الكريم، تعتبر امتدادا لما سبقها من الرحلات الحجازية، التي دونها الحجاج العلماء، وسجلوا فيها انطباعاتهم عن الديار المقدسة، وما شاهدوا فيها من مواقع، وبقاع، وآثار، وما كان لهم فيها من اتصالات برجال العلم والأدب، وما ارتسم وعلق في عقولهم من أحوال الحياة، والتعريف بكل مراحل الطريق، والحديث عن المدن التي مروا بها، أو نزلوا فيها للراحة، والتزود بما يحتاجونه في طريقهم، كما قدموا بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بمناسك الحج مع آراء الفقهاء، وذكر اختلاف المذاهب فيها.

وبالتالي فنص الرحلة الحجازية عموما عبارة عن تقرير مفصل يقدم للقارئ عن حركة الرحلة وأصحابها أثناء الذهاب والإياب.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا إنه سميع مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه عبد ربه وأسير ذنبه

عبد العالي لمدبر

الرباط في: 1 صفر الخير عام: 1432هـ موافق 6 يناير 2011م

القسم الأول

التقديم

ترجمة الحضيكي(ت1189هـ)[1]:

☑ اسمه ونسبه:

هو العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي شهرة، الشاذلي طريقة، الترسواطي مدشرا، المانوزي قبيلة، نزيل زاوية إِيسِي بسوس، عالم بالتراجم، من أدباء المالكية وفقهائهم، وراوية سوس الأقصى.

(1) ترجمته في: فهرس الفهارس:(1/ 351، 352)، الإعلام:(6/ 81، 82، 85)، المعسول:(11/ 302، 303)، (3/ 321)، سوس العالمة:(193)، خلال جزولة:(1/ 63)، دليل مؤرخ المغرب:(1/ 223،266)، (2/ 295)، أهم مصادر التاريخ والترجمة لأحمد المكناسي:(117، 118)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405)، المصادر العربية لتاريخ المغرب:(1/ 222)، (2/ 25)، تاريخ الوراقة المغربية:(117)، الأعلام:(6/ 15)، معلمة المغرب:(10/ 3457، 3458)، معجم المؤلفين:(8/ 280)، معجم المطبوعات المغربية:(176، 177)، جواهر الكمال في تراجم الرجال:(2/ 57)، فهارس علماء المغرب لعبد الله المرابط الترغي:(409)، معجم الشيوخ لعبدالحفيظ ابن محمد الطاهر الفاسي:(1/ 83،88)، البدور الطالعة السنية في الحديث المسلسل بالأولياء لسليمان ابن يوسف بن محمد الكبير بن ناصر مخطوط الخزانة الوطنية«ميكروفيلم رقم 186»، معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى لعبد العزيز بن عبد الله:(29)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين:(2/ 271)، فقه النوازل في سوس:(271، 274)، المصنفات المغربية في السيرة النبوية:(1/ 300)، رجالات العلم:(70)، ترجمته أيضا في فهرسته كلها مخطوط الخزانة الحسنية رقم:(13003)، مناقب الحضيكي أو طبقات الحضيكي بكاملها للجشتيمي حققه الدكتور أحمد بومزكو).

مولده ونشأته ورحلته لطلب العلم:

ولد محمد بن أحمد الحضيكي رحمه الله عام: 1118هـ، في مدشر تَرْسْوَاط، في قبيلة أَمانُوزْ بسوس جنوب المغرب، ونشأ في أحضان أسرته، في حجر والده يلقنه مبادئ التربية الدينية، ويوجهه إلى الكُتَّابِ لحفظ القرآن الكريم في بلده، عند إمامهم عبد الله ابن إبراهيم الكرسيفي، حتى اشتد ساعده، وغدا شابا متعلما، ومولعا بطلب العلم، ومهتما بالرحلة إليه فقد: «تجول للأخذ والتلقي عن فطاحل علماء زمانه في الأقطار السوسية، وطاف على علماء وَلْتِيتَة، ودرعة وغيرهما»[1].

ودرس في المدرسة الصوابية الماسية بسوس وتخرج منها، ثم بعدما تضلع في العلوم ارتحل إلى الشرق فحج وزار أواسط المائة الثانية عشرة بعد الألف فكتب رحلته، «وأخذ عن علماء الحرمين، واليمن، والهند، والعجم والشام، وأقام بمصر سنين للأخذ عن فطاحلها»[2].

وخلال هذه الرحلة العلمية جمع العديد من الكتب النفيسة، «ورجع إلى وادي إيسي وبنى المدرسة الفلالية مجددا لها، واشتغل فيها بنشر العلم وبثه»[3]، ثم أسس بها مكتبة علمية، صارت في ذلك الوقت من أشهر مكتبات المنطقة، التي تحتوي على رصيد مهم من المخطوطات يقدر بالمآت، وقد تحدث عنها المختار السوسي بقوله: «وقد رأيت بخطه أنه جمع في أوليته تسعمائة مجلد، وأما في أخرياته فلا تسأل»[4].

---

(1) المعسول: (3/ 321).

(2) نفسه.

(3) نفسه. وسماها في سوس العالمة: (162) المدرسة الحضيكية.

(4) المعسول: (3/ 321).

ومما ساعد الحضيكي على إغناء مكتبته، أنه كان يتعاطى إلى نسخ المخطوطات بيده دون الاعتماد على أحد غيره، وذلك حبا في الكتاب، وحرصا منه على ضبط منسوخاته، فكان رحمه الله: «كثير النسخ للكتب، نسخ كتبا عديدة بيده، بحيث لا يفتر ليلا ونهارا، متى أمكنته فرصة حتى إنه إذا لم يكن له إدام القنديل ليلا، ندب امرأته أن تشعل له النار بسعف النخل وتأخذها بيدها وتضيء له إلى آخر الليل، وهو يكتب وينسخ ويقيد...»[1].

(1) المعسول:(3/ 322).

☑ **شيوخه:**

عاش الحضيكي في منطقة سوس العامرة بالزوايا، والمدارس العتيقة، وأخذ علومه ومعارفه المختلفة على أيدي جم غفير من العلماء والشيوخ الكبار، سواء من المغرب أو من المشرق كما ذكرهم في رحلته الحجازية وغيرها من المصادر وهم كالآتي:

1. أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي[1]، من علماء سوس توفي عام: 1149هـ، ذكره الحضيكي في مقدمة رحلته فقال: «شيخنا الرباني أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي...»[2]، قرأ عليه مختصر خليل وأورده المراكشي ضمن شيوخه فقال: «أخذ عن عدة من الشيوخ كمحيي السنة أحمد الصوابي... سمع منه المترجم صحيح البخاري، وتفسير ابن الجوزي، وتفسير الجلالين، وتنبيه ابن عباد على الحكم العطائية، وصغرى الإمام السنوسي وكبراه، ومحصل المقاصد، وألفية ابن مالك بشرح المكودي، والسلم، وتصريف المكودي»[3].

2. عبد الله بن إبراهيم الرسموكي[4] توفي عام: 1147هـ، وقد قرأ عليه مجموعة من عيون الكتب كالآجرومية، وألفية ابن مالك، وبعض رسالة ابن أبي زيد في الفقه، والتوضيح لابن هشام[5].

---

(1) ترجمته في: الرحلة الحجازية: (59)، الإعلام: (6/ 82)، خلال جزولة: (2/ 197)، المعسول: (8/ 63)، سوس العالمة: (190)، معلمة المغرب: (16/ 5574).

(2) الرحلة الحجازية: (3).

(3) الإعلام للمراكشي: (6/ 82).

(4) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي: (63)، الإعلام: (6/ 82)، خلال جزولة: (2/ 197)، المعسول: (8/ 63)، سوس العالمة: (190)، معلمة المغرب: (16/ 5574).

(5) الرحلة الحجازية: (63).

3. عبد الله بن أبي إسحاق الكرسيفي الولي الصالح توفي عام: 1140هـ[1]، قرأ عليه كتاب الله من أوله إلى آخره، وحفظه عليه، وأحكام العبادة[2].

4. أبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي[3]، وهو من علماء القرن الثاني عشر، قال عنه: «سمعنا منه جل مختصر الشيخ خليل».

5. أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الله الإبراهيمي (ت 1135هـ)[4]، وقد قرأ عليه صلوات كتاب مختصر الشيخ خليل.

6. أبو العباس أحمد بن يحيى الرسموكي (ت1142هـ)[5]، أورده الحضيكي ضمن شيوخه في رحلته، وأخذ عنه صغرى السنوسي، والقراءات السبع.

7. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدرعي (ت1160هـ)[6]، ذكره الحضيكي ضمن شيوخه في مقدمة رحلته، ودرس عليه مختصر الشيخ خليل، وألفية ابن مالك في النحو.

8. محمد الصغير بن محمد الإفراني[7]، توفي بعد عام: (1155هـ)، ذكره الحضيكي ضمن شيوخه في مقدمة رحلته الحجازية درس عليه علوم الحديث، والسير، وخاصة سيرة الكلاعي بجامع ابن يوسف بمراكش.

---

(1) ترجمته في: طبقات الحضيكي: (1/ 37)، الرحلة الحجازية للحضيكي: (7)، خلال جزولة: (4/ 42).

(2) انظر الإعلام: (6/ 86).

(3) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي: (64)، سوس العالمة: (192)، خلال جزولة: (4/ 44).

(4) ترجمته في: طبقات الحضيكي: (1/ 103)، الرحلة الحجازية للحضيكي: (64)، المعسول: (4/ 44).

(5) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي: (65)، خلال جزولة: (2/ 51).

(6) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي: (65)، والإعلام: (6/ 63).

(7) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي: (186)، السعادة الأبدية: (1/ 198)، شجرة النور الزكية: (335)، الإعلام: (5/ 53)، الأعلام: (7/ 67).

9. محمد بن محمد الحاج البوعبدلي(ت1160هـ)[1]، كان من فقهاء وقته ولي القضاء بمراكش، لم يذكر المؤلف ما قرأه عليه.

10. أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بالعباسي السملالي(ت1152هـ)[2]، لازمه الحضيكي أكثر من أربع سنوات، ودرس عليه مختصر الشيخ خليل، والعاصمية على الأحكام، وألفية ابن مالك، وألفية الاصطلاح والسيرة للزين العراقي، والتحفة، ولامية الزقاق، والشمائل وصحيح البخاري[3].

11. أبو عبد الله محمد بن علي الأوزالي[4]، نسبة إلى إِنْدُوزَالْ قبيلة من قبائل سوس.

12. عبد الكريم الزيادي ثم المنبهي توفي في طريق الحج عام: (1152هـ)[5].

13. الحسين بن محمد بن علي الشرحبيلي الدرعي(ت1142هـ)[6] .

14. إبراهيم بن محمد بن عبد الله السملالي(ت1160هـ)[7] ، ذكره ضمن شيوخه في مقدمة رحلته دون الإفصاح عن العلوم التي أخذها عنه.

---

(1) ترجمته في الرحلة الحجازية للحضيكي:(70)، السعادة الأبدية:(2/ 453)، الإعلام:(5/ 64).

(2) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 102)، الرحلة الحجازية للحضيكي:(71)، الإعلام:(6/ 64)، المعسول:(18/ 416).

(3) انظر: الرحلة الحجازية:(71)، الإعلام:(6/ 82، 83).

(4) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(72)، طبقات الحضيكي:(2/ 292)، درة الحجال:(2/ 333)، الإعلام:(2/ 182).

(5) ترجمته في: الرحلة الحجازية:(72)، مقدمة طبقات الحضيكي:(39).

(6) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 203)، الرحلة الحجازية:(72)، المعسول:(5/ 2029)، خلال جزولة:(4/ 40)، موسوعة أعلام المغرب:(5/ 2029).

(7) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(16)، طبقات الحضيكي:(1/ 143)، خلال جزولة:(4/ 45)، موسوعة أعلام المغرب:(5/ 2029).

15. محمد بن يحيى الشبي الحامدي(ت 1164هـ)[1]، حكيم العلماء في زمانه، أورده الحضيكي ضمن شيوخه في مقدمة رحلته، وجعله المراكشي من أهم شيوخه.

16. أبو القاسم بن عبد الله الشبي[2]، ذكره ضمن شيوخه في مقدمة رحلته.

17. أبو مسعود سيدي سعيد بن عبد الرحمان الشبي[3]، ذكره في رحلته الحجازية وحلاه بـ«أستاذ بلادنا الساحلية».

18. أحمد بن أحمد العماوي الدمرداشي(ت1155هـ)[4]، تتلمذ عليه الحضيكي في الأزهر، كما صرح بذلك في رحلته الحجازية، وذكره أيضا في الإعلام وفهرس الفهارس، وقد أخذ عنه الخزرجية في علم العروض، وأصول الفقه لابن السبكي، والبردة للبوصيري، وبعض صحيح البخاري[5]، وأجازه بجميع مروياته.

19. أحمد بن مصطفى الإسكندري شيخ المالكية بالأزهر الشريف(ت1163هـ)[6]، أخذ عنه: مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد، وأحاديث ابن أبي زيد، وأحاديث ابن أبي جمرة من صحيح البخاري، والجامع الصغير للسيوطي، وألفية ابن مالك، والتلخيص، وأصول ابن السبكي[7]، وقد أجازه بجميع مروياته.

---

(1) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(2/ 315)، الرحلة الحجازية:(64)، الإعلام:(6/ 82)، خلال جزولة:(3/ 110)، سوس العالمة:(191).

(2) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(75)، مقدمة طبقات الحضيكي:(39).

(3) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(75).

(4) ترجمته في: فهرس الفهارس:(2/ 830)، الإعلام:(6/ 83)، طبقات الحضيكي:(1/ 108)، الرحلة الحجازية للحضيكي:(178)، معجم المؤلفين:(1/ 152).

(5) انظر الإعلام:(6/ 83)، فهرس الفهارس:(2/ 830)، الرحلة الحجازية للحضيكي: (178).

(6) ترجمته في: شجرة النور الزكية:(338)، عجائب الآثار:(2/ 141)، طبقات الحضيكي:(1/ 107)، فهرس الفهارس:(2/ 338)، المعسول:(11/ 303)، الإعلام:(6/ 83).

(7) انظر مرويات الحضيكي عن شيخه الإسكندري في الرحلة الحجازية:(178)، والإعلام:(6/ 83).

20. أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي(ت1178هـ)[1]، لازمه الحضيكي مدة ثلاثة أشهر أثناء مقامه بسلا عند رجوعه من الحج، وأجازه إجازة عامة مكتوبة تتضمن أسانيده ومروياته.

21. محمد بن قاسم جسوس(ت1182هـ)[2]، وذكر صاحب الإعلام أنه أجاز تلميذه الحضيكي بيده ويروي عنه عامة.

22. أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي(توفي عام: 1175هـ)[3]، وقد وصفه تلميذه الحضيكي:«بأعلم أهل زمانه، وأتقاهم، وأزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، وأحبهم لله ولأهل حزبه، وأروعهم وأحرصهم على إقامة الدين، وأشدهم تمسكا بالسنة المطهرة واتباعها»[4].

23. إدريس بن محمد العراقي أبو العلاء(ت1183هـ)[5]، وقد أجاز تلميذه الحضيكي إجازة عامة بيده.

24. محمد بن الحسن البناني الفاسي(ت1149هـ)[6]، أجاز الحضيكي إجازة عامة.

---

(1) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 109)، فهرس الفهارس:(2/ 885)، الإعلام:(6/ 83)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2382).

(2) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(2/ 357)، نشر المثاني:(4/ 80)، سلوة الأنفاس:(1/ 330)، فهرس الفهارس:(1/ 352)، الإعلام:(6/ 83)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2393، 2394).

(3) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 116)، نشر المثاني:(4/ 143)، فهرس الفهارس:(2/ 1099)، موسوعة أعلام المغرب:(6/ 2213).

(4) انظر فهرس الفهارس:(2/ 1100).

(5) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 120)، نشر المثاني:(4/ 193)، سلوة الأنفاس:(1/ 282)، فهرس الفهارس:(2/ 818)، الإعلام:(3/ 16)، موسوعة أعلام المغرب:(6/ 2249).

(6) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(2/ 359)، نشر المثاني:(4/ 214)، سلوة الأنفاس:(1/ 169)، فهرس الفهارس:(1/ 227)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2418).

25. أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي(ت1188هـ)[1]، أي قبل وفاة تلميذه الحضيكي بسنة واحدة، وقد أجازه إجازة عامة.

26. أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدرعي التطواني(ت1179هـ)[2]، أورده المراكشي في الإعلام ضمن شيوخ الحضيكي فقال: «سمع منه كثيرا من مختصر الشيخ خليل، وجمع الجوامع، وورقات إمام الحرمين كلها وغير ذلك، وخدمه مدة إقامته بسوس الأقصى، ونسخ له كتاب المصباح في علم البيان لابن مالك، ورحلة ابن بطوطة، وقال: إنهما كتابان عز وجودهما»[3].

27. أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي(ت1189هـ)[4]، كان من حذاق الأزهر، حضر الحضيكي مجلسه في خزرجية العروض، وحواشي في الفقه وغير ذلك، ثم أجازه إجازة عامة.

28. محمد بن الحسن الجنوي الحسني(ت1200هـ)[5]، منح الحضيكي إجازة عامة.

29. أبو محمد صالح بن محمد الحبيب السجلماسي(ت1179هـ)[6]، أجاز الحضيكي إجازة عامة.

---

(1) ترجمته في: سلوة الأنفاس:(1/ 337)، شجرة النور الزكية:(356)، الأعلام:(5/ 53)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2385).

(2) ترجمته في: تاريخ الضعيف:(1/ 315)، الإعلام:(6/ 83)، فهرس الفهارس:(2/ 1110)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2385).

(3) انظر الخبر في الإعلام:(6/ 83).

(4) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(184)، شجرة النور الزكية:(341)، فهرس الفهارس:(2/ 712)، الأعلام:(5/ 66).

(5) ترجمته في: شجرة النور الزكية:(375)، الأعلام:(6/ 92)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2432).

(6) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(2/ 392)، الإعلام:(6/ 83)، فهرس الفهارس:(1/ 352).

30. محمد المعطى بن الصالح الشرقي البجعدي(ت1181هـ)[1]، ذكر الشيخ عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس أنه من شيوخ الحضيكي، وأنه أجاز له قراءة كتاب الذخيرة.

31. أبو عبد الله محمد بن أحمد المدعو أبو مدين الفاسي(ت1182هـ)[2]، وهو من شيوخ الحضيكي الذين روى عنهم عامة.

32. عمر بن علي الطحلاوي المالكي المصري(ت1181هـ)، درس عليه مختصر الشيخ خليل، وشيئا من التفسير في مسجد سيدنا الحسين[3].

33. علي بن خضر بن أحمد العمروسي المالكي(ت1173هـ)[4]، أخذ عنه الحضيكي الفقه بالأزهر.

34. محمد بن عبد الرحيم بن محمد السلموني المالكي[5]، كان حيا عام: 1173هـ، أخذ عنه الفقه، والفرائض.

35. حسن بن غالب الجدوى المالكي(ت1202هـ)[6]، أخذ عنه علوما عامة بالأزهر.

---

(1) ترجمته في: سلوة الأنفاس:(1/ 193)، فهرس الفهارس:(1/ 352)، موسوعة أعلام المغرب:(6/ 2235)، الأعلام:(7/ 106).

(2) ترجمته في: نشر المثاني:(4/ 181)، فهرس الفهارس:(1/ 351)، موسوعة أعلام المغرب:(6/ 22، 39).

(3) انظر الرحلة الحجازية للحضيكي:(184).

(4) ترجمته في: الرحلة الحجازية:(182)، عجائب الآثار:(1/ 219)، شجرة النور الزكية:(339)، هدية العارفين:(1/ 768)، الأعلام:(4/ 284)، معجم المؤلفين:(7/ 86).

(5) ترجمته في: شجرة النور الزكية:(318)، فهرس الأزهرية:(6/ 258)، معجم المؤلفين:(10/ 160).

(6) ترجمته في الرحلة الحجازية للحضيكي:(186)، عجائب الآثار:(2/ 164)، اليواقيت الثمينة:(1/ 122)، شجرة النور الزكية:(360)، هدية العارفين:(1/ 300)، معجم المؤلفين:(3/ 286).

36. محمد بن محمد البليدي المالكي(ت1176هـ)[1]، حضر معه درسا في مختصر خليل بالأزهر.

37. سالم بن أحمد النفراوي أبو النجا المالكي(ت1168هـ)[2]، كانت حلقته كبيرة في جامع الأزهر، درس عليه علم البيان والأصول.

38. الشيخ إبراهيم الإفريقي المالكي[3]، مات بالوباء، لعله أخذ عنه علم المنطق، وقد جعله تلميذه الحضيكي:«محققا ذا رتبة عالية في علم المعقول».

39. سليمان بن عمر المعروف بالجمل الشافعي(ت1204هـ)[4]، درس عليه أصول الفقه لابن السبكي، وأخذ عنه علم المعقول.

40. يوسف بن سالم الحنفي الشافعي(ت1176هـ)[5]، أخذ عنه شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

---

(1) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(183)، سلك الدرر:(4/ 110)، عجائب الآثار:(1/ 326)، شجرة النور الزكية:(339)، إيضاح المكنون:(1/ 139)، الأعلام:(7/ 68)، معجم المؤلفين:(11/ 275).

(2) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(184)، عجائب الآثار:(1/ 259)، شجرة النور:(339)، إيضاح المكنون:(1/ 139)، الأعلام:(7/ 68)، معجم المؤلفين:(11/ 275).

(3) ترجمه الحضيكي في رحلته:(105).

(4) ترجمته في عجائب الآثار:(2/ 88)، فهرس الفهارس:(1/ 300)، معجم المطبوعات لسركيس:(1/ 710)، الأعلام:(3/ 131)، الرحلة الحجازية للحضيكي:(105).

(5) ترجمته في سلك الدرر:(4/ 241)، عجائب الآثار:(1/ 263)، هدية العارفين:(2/ 569)، إيضاح المكنون:(3/ 2، 71، 120)، الأعلام:(8/ 232)، معجم المؤلفين:(13/ 301)، الرحلة الحجازية للحضيكي:(184).

41. أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الجوهري الشافعي(ت1181هـ)[1]، درس عليه السلم للأخضري، والصغرى في العقائد للإمام السنوسي وصحيح البخاري.

42. محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي الشافعي[2]، توفي عام: 1031هـ.

43. علي بن أحمد بن محمد العزيزي الشافعي[3]، توفي عام: 1070هـ، أخذ عنه علوما مختلفة لاسيما في الفقه.

44. محمد بن إبراهيم الحسني الشافعي[4]، توفي عام: 1179هـ أخذ عنه علوما مختلفة.

45. عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي[5] الشافعي، توفي عام: 1171هـ، كان يشغل خطيب أمير مصر وشيخ الجامع، حضر معه الحضيكي دروسا مختلفة في علوم شتى.

46. الشيخ أحمد[6] من أعلام الشافعية وأعيان فقهائهم، ومجلسه عند باب رواق المغاربة، وقد حلاه الحضيكي بقوله:«وكانت له ملكة وقوة على التعبير، وفصاحة

---

(1) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 115)، عجائب الآثار:(1/ 309)، فهرس الفهارس:(1/ 221)، الأعلام:(1/ 112)، معجم المؤلفين:(1/ 185).

(2) ترجمته في: خلاصة الأثر:(2/ 412)، نشر المثاني:(2/ 393)، فهرس الفهارس:(2/ 2)، الأعلام:(6/ 204)، معجم المؤلفين:(5/ 220).

(3) ترجمته في: الرحلة الحجازية للحضيكي:(187)، خلاصة الأثر:(3/ 201)، هدية العارفين:(1/ 760)، معجم المطبوعات:(2/ 1326)، معجم المؤلفين:(7/ 24).

(4) ترجمته في: الرحلة الحجازية:(187)، عجائب الآثار:(2/ 77)، هدية العارفين:(2/ 343)، معجم المؤلفين:(8/ 224).

(5) ترجمته في: الرحلة الحجازية:(106)، سلك الدرر:(3/ 107)، عجائب الآثار:(2/ 120)، فهرس الفهارس:(2/ 1065)، الأعلام:(4/ 130)، معجم المؤلفين:(6/ 124).

(6) لم أجد له ترجمة في المصادر ماعدا ما ذكره الحضيكي من أخبار حوله في رحلته الحجازية:(187).

وتحرير، وتحقيق وتدقيق في العلوم الدقيقة، وكان يحب الخمول، ولا يحب الظهور، وعاملا بما علم باثا لما عرف، فاصحا متواضعا غير جاف»[1].

47. محمد بن عبد الله الدراوي[2] المراكشي، توفي عام: 1160هـ، درس عليه الحضيكي مختصر خليل، وألفية ابن مالك، وصغرى السنوسي ثم قال:«سمعنا عليه تلك الكتب أو جلها»[3]، وكان يدرس بجامع محمد بن صالح قرب باب أغمات.

48. أحمد بن محمد بن ناصر[4] الدرعي، توفي عام: 1129هـ، قال عنه الحضيكي:«وسيلتي وشيخي، وشيخ أبي، وشيخ جدي...»[5]، وكان رحمه الله مقيما للسنة النبوية والشريعة المحمدية.

49. أحمد بن محمد ابن الكوري المرابطي الدرعي[6]، توفي أواسط القرن الثاني عشر للهجرة، كان عالما كبيرا مشاركا في فنون العلم، وصنفه ضمن القراء الكبار، وهو الذي جود للحضيكي بعض سور القرآن الكريم.

50. محمد بن أحمد التكشتي[7]، توفي عام: 1164هـ قال عنه:«الفقيه العالم، العامل الصالح الناصح، الحازم العازم الهمام...».

---

(1) انظر: الرحلة الحجازية:(187).

(2) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(2/ 364)، الإعلام:(6/ 63).

(3) الخبر في: الإعلام:(6/ 63).

(4) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 85)، التقاط الدرر:(312)، نشر المثاني:(3/ 243)، صفوة من انتشر:(212)، الاستقصا:(7/ 111).

(5) الخبر في: طبقات الحضيكي:(1/ 85).

(6) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 37)، رجالات العلم في سوس:(68).

(7) ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 363)، رجالات العلم:(62).

51. أحمد بن محمد الحبيب[1] اللمطي توفي عام: 1165هـ، زاره الحضيكي في سفره إلى الحج سنة: 1152هـ وقال عنه: «قرأنا عليه فاتحة الكتاب مرارا، ثم دعا لنا وانصرفنا»[2].

52. أبو بكر بن علي التزختي[3] توفي عام: 1179هـ صرح بمشيخته له دون التصريح بالمؤلفات التي درسها عليه، أو العلوم التي تلقاها عنه، وحلاه «بشيخنا العالم العامل»[4].

53. أحمد بن محمد بن عبد القادر[5] الفاسي، توفي عام: 1164هـ، وهو ممن أجاز المترجم كتابة بمروياته.

---

(1) ترجمته في: طبقات الحضيكي: (1/ 104)، نشر المثاني: (4/ 94)، التقاط الدرر: (424)، سلوة الأنفاس: (2/ 349)، الأعلام: (2/ 382)، الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية: (257).

(2) انظر الخبر في: طبقات الحضيكي: (1/ 104).

(3) ترجمته في: طبقات الحضيكي: (1/ 184)، رجالات العلم: (72)، أعلام المغرب العربي: (1/ 162).

(4) انظر: طبقات الحضيكي: (1/ 184).

(5) ترجمته في: طبقات الحضيكي: (1/ 44)، سلوة الأنفاس: (1/ 320)، موسوعة أعلام المغرب: (6/ 2174).

تلامذته:

أخذ عن الحضيكي رحمه الله جم غفير من العلماء من أجلهم:

1. محمد بن عمر الأسغركيسي[1] الهشتوكي السوسي، توفي عام: 1213هـ، درس عن شيخه الحضيكي: «مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق، وصحيح الإمام مسلم تماما، وصحيح البخاري مرتين، وسيرة اليعمري، والخصائص الكبرى للسيوطي، والموطأ بشرح الزرقاني، والشفا، والكلاعي إلى الثلث الأخير، وصغرى السنوسي، والكبرى بشرح مؤلفها، وشرح ابن عباد على الحِكَم، وآداب الكتاب لابن قتيبة، وبانت سعاد بشرحه عليها، والسلم بشرح المؤلف عليه، ومنظومة الرسموكي في المواريث، ورسالة ابن أبي زيد، والطرفة، وورقات إمام الحرمين، والشمائل»[2]، كما أجازه في مرض موته.

2. محمد بن عبد الله اليبوركي[3]، توفي عام: 1274هـ، أجازه الحضيكي إجازة عامة كتبها له في مرض موته مع مجموعة من العلماء السوسيين.

3. محمد بن عبد الله الزغنغيني[4] توفي عام: 1198هـ، أجازه شيخه الحضيكي إجازة عامة.

4. أحمد بن علي الأغزالي[5] الهلالي، توفي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، أخذ عنه إجازة عامة، ثم أخوه محمد بن علي الأغزالي أجازه الحضيكي إجازة عامة.

---

(1) ترجمته في: سوس العالمة: (198)، المعسول: (14/ 283)، الإعلام: (6/ 143)، دليل مؤرخ المغرب: (2/ 287)، موسوعة أعلام المغرب: (7/ 2463).

(2) انظر الخبر في الإعلام للمراكشي: (6/ 144).

(3) ترجمته في: المعسول: (14/ 307)، خلال جزولة: (4/ 188).

(4) ترجمته في: سوس العالمة: (194)، المعسول: (11/ 319)، فهرس الفهارس: (1/ 353).

(5) وردت بعض أخباره في المعسول: (11/ 320)، وفهرس الفهارس: (1/ 353).

5. أبو الربيع سليمان بن يوسف الناصري[1]، توفي عام: 1230هـ، تحدث عن شيخه الحضيكي فقال:«ومنهم شيخنا الفقيه ذو الأسرار والكرامات والمواهب والبركات سيدي محمد بن أحمد الحضيكي نزيل فم إيسي، وهو من أعظم من أحدث عنهم»[2].

6. محمد بن الطيب الشواري[3]، من تلاميذ الحضيكي الذين أخذوا عنه عامة.

7. عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي[4] السوسي الجزولي، توفي عام: 1369هـ، وقد جعله صاحب الإعلام:«تلميذ تلامذة المترجم»[5].

8. عبد الله بن أحمد المكوسي[6]، الهلالي توفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري، أجازه الحضيكي إجازة عامة كتبها بيده عند مرض موته.

9. أحمد بن أحمد بن الحاج التيزختي وأخوه محمد بن أحمد بن سعيد التيزختي[7]، أجازهما عامة بخطه.

10. الحسن بن محمد التملي[8](ت 1240هـ)، أجازه مع بعض تلامذته إجازة عامة في مرض موته.

---

(1) ترجمته في: الإعلام:(6/ 85)، دليل مؤرخ المغرب:(2/ 286)، معجم المؤلفين:(4/ 279).

(2) النص ورد في الإعلام:(6/ 85).

(3) ذكره المختار السوسي في خلال جزولة:(4/ 53).

(4) ترجمته في سوس العالمة:(197 الإعلام:(6/ 86)، موسوعة أعلام المغرب:(9/ 3250).

(5) انظر الإعلام:(6/ 86).

(6) ترجمته في: المعسول:(11/ 320)، فهرس الفهارس:(1/ 353).

(7) ورد ذكرهما في المعسول: (11/ 320)، فهرس الفهارس (1/ 353)، وسماه في المعسول:(الترختي).

(8) ذكره في المعسول:(11/ 320)، فهرس الفهارس:(1/ 353).

11. أحمد بن عبد الله الصنهاجي[1]، ورد في فهرس الفهارس والمعسول ضمن من أجازه الحضيكي إجازة جماعية عامة.

12. عبد الكريم بن مسعود المدنسيري[2]، أجازه الحضيكي إجازة عامة.

13. بلقاسم التيزكيني الهشتوكي[3]، منحه إجازة عامة مع باقي تلامذته.

14. محمد بن الحسين اليبركي الهشتوكي الأسغركيسي[4]، توفي عام: 1213هـ، يروي عن شيخه الحضيكي عامة وعن غيره من الشيوخ.

15. أحمد وعبد الله والحسن أبناء الشيخ الحضيكي، أجازهم إجازة عامة سماهم فيها من الهيبة والوقار.

16. محمد بن سعيد الزدوتي، توفي عام: 1232هـ[5]، أخذ عنه علوما مختلفة.

17. محمد بن عبد السلام الناصري(ت 1239هـ)[6]، ارتحل إلى الحضيكي فاستجازه، وسكن حينا في سوس.

18. الجيلالي بن أحمد السباعي، توفي في مصر نحو 1213هـ[7]، أخذ عن الحضيكي وغيره.

---

(1) ترجمته في المعسول:(11/ 320)، فهرس الفهارس: (1/ 353)، دون ذكر أخباره وتاريخ وفاته.

(2) نفس المصدرين السابقين، دون ذكر أخباره وتاريخ وفاته.

(3) وردت بعض أخباره دون ذكر تاريخ وفاته في: المعسول:(11/ 319)، فهرس الفهارس:(1/ 353).

(4) ترجمته في: المعسول:(11/ 319)، فهرس الفهارس:(2/ 1153)، دليل مؤرخ المغرب:(2/ 287).

(5) محمد بن سعيد الزدوتي أصلا الأندوزالي وطنا، حفيد الشيخ محمد بن علي أكبيل، رجل عظيم في تعليم القرآن، ظهرت له بركات وكرامات، توفي عام:(1232هـ)، ترجمته في: المعسول:(11/ 315).

(6) محمد بن عبد السلام الناصري، المحدث المشهور، الفذ علم الأعلام وفقيه الإسلام ورئيس الأدباء، الماهر في كل علم توفي عام:(1239هـ)، ترجمته في: المعسول:(11/ 315).

(7) الجيلالي بن أحمد بن المختار السباعي الحافظ الحجة، وكان آية في الحفظ، لايشق له غبار وهو شاعر، توفي بمصر عام:(1213هـ)، ترجمته في: المعسول:(11/ 316)، فهرس الفهارس:(1/ 297).

19. محمد التازمورتي (ت1212هـ)[1]، ذكره المختار السوسي وحلاه بأنه كان من صلحاء تلاميذ الحضيكي.

20. أحمد بن عبد الله الهوزيوي[2]، تلميذ الحضيكي ومن أكبر صلحاء المدرسة الحضيكية، توفي بالوباء عام: 1214هـ.

21. علي بن عبد الله الكراتي الرجراجي[3]، أخذ بصفة عامة عن الشيخ الحضيكي.

22. عبد الله بن محمد بن عبد الله التملي السوسي البكري الجزولي[4]، من تلامذة الحضيكي، توفي عام: 1198هـ، له شرح على الشفا للقاضي عياض.

23. إبراهيم بن محمد الظريفي[5]، كان عالما مشاركا أخذ العلم بفاس، توفي عام: 1214هـ، وهو من تلامذة الشيخ الحضيكي.

---

(1) محمد التازمورتي، كان من صلحاء تلاميذ الحضيكي، عالم عابد ناسك زاهد ورع، جاور في الحرمين حتى مات هناك عام 1212هـ. انظر: المعسول:(11/ 314).

(2) أحمد بن عبد الله الهوزيوي نزيل ردانة، ومن صلحائها الذين يضرب بهم المثل في الترفع والتنزه، له: شعب ما انصدع في تبيين البدع، ورسالة في عد أنواع البيوع، ترجمته في: المعسول:(6/ 625)، سوس العالمة:(200).

(3) علي بن عبد الله الكراتي الرجراجي صاحب الأحوال الربانية الولي الزاهد الورع، أخذ عن الإمام محمد ابن أحمد الحضيكي السوسي توفي ودفن قرب قبر جده الأعلى أبي بكر أشماس بزاوية أقرمود. ترجمته في: جواهر الكمال في تراجم الرجال:(2/ 56).

(4) ترجمته في: المعسول:(6/ 25)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2428).

(5) ترجمته في: المعسول:(8/ 84)، موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2470).

☑ مؤلفاته وآثاره العلمية:

ألف الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي تآليف عديدة وتصانيف مفيدة في علوم مختلفة ومعارف متعددة منها:

1. **مناقب الحضيكي**[1]:

في تراجم شيوخه وشيوخهم وتلاميذه ومن لقيهم في أسفاره، مرتب على حروف المعجم، لم يضع له مقدمة ولا خاتمة ولم يذكر له عنوانا، ويعرف أيضا بطبقات الحضيكي، والكتاب مطبوع، وقد اختصره عبد الرحمن بن عبد الله السوسي الجشتيمي(ت 1269هـ)، واقتصر فيه على السوسيين فقط، كما اختصره أيضا محمد بن عمر السوسي الدغوغي، توفي أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، واختصره أيضا محمد ابن أحمد السوسي الأنكاصي، توفي عام: 1261هـ.

2. **شرح الرسالة القيروانية**[2]:

وهو شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني توفي عام: 386هـ في الفقه، توجد منه نسخة مخطوطة ناقصة بالخزانة الحسنية تحت رقم: 169، كما توجد منه نسخ كاملة بخزائن سوسية خاصة.

3. **مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة**[3]:

ويسمى أيضا مختصر الإصابة، اختصر فيه الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، توفي عام: 852هـ، وهو سفر ضخم مخطوط بالخزانة الحسنية رقم: 2599.

---

(1) نسب له الكتاب في: فهرس الفهارس:(1/ 352)، سوس العالمة:(193)، والمعسول:(11/ 303)، ودليل مؤرخ المغرب:(1/ 223)، والأعلام:(6/ 15).

(2) نسب له في: سوس العالمة:(193)، والمعسول:(11/ 352)، فهرس الفهارس:(1/ 352)، والإعلام:(6/ 81)، والأعلام:(6/ 15).

(3) نسب له الكتاب في: سوس العالمة:(193)، والمعسول:(11/ 303)، وفهرس الفهارس:(1/ 352)، والإعلام:(6/ 81)، والأعلام:(6/ 15).

4. **شرح الهمزية للبوصيري**[1]:

يوجد مخطوطا بالخزانة الحسنية رقم: 1868ــ 9985ــ 11389ــ 1131، ضمن مجموع من ورقة: 130 إلى ورقة 189، وفي الخزانة الوطنية بالرباط ضمن مجموع رقم: 1658، ورقم: 1478ك ونسخة أخرى بخزانة علال الفاسي رقم: 302، والكتاب مطبوع مرتين.

5. **حاشية على صحيح البخاري**[2]:

وضعه في أربعة أسفار، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم: 1701.

6. **شرح نظم العلوم الفاخرة للرسموكي**[3]: مازال مخطوطا لم يطبع بعد.

7. **شرح قصيدة بانت سعاد**[4]: مازال مخطوطا.

8. **مؤلف ضد بلّا بن عزوز المراكشي**[5]:

ألفه الحضيكي في الرد على أبي محمد عبد الله بلا ابن عزوز المراكشي(ت1204هـ)، وهو مازال مخطوطا لم يطبع بعد.

9. **مختصر الأجوبة الأجهورية**[6]: مازال مخطوطا.

---

(1) هذا الشرح ذكر له في سوس العالمة:(193)، والمعسول:(11/ 307)، والإعلام:(6/ 81)، والأعلام:(6/ 15).

(2) ورد ذكره في سوس العالمة:(193)، والمعسول:(11/ 307)، والإعلام:(6/ 82)، والأعلام:(6/ 15).

(3) نسب له في سوس العالمة:(133)، والمعسول:(11/ 318)، والأعلام:(6/ 15).

(4) ذكر له في سوس العالمة:(193)، والإعلام:(6/ 81)، والأعلام:(6/ 15).

(5) انظر سوس العالمة:(123)، ودليل مؤرخ المغرب:(2/ 446)، والإعلام:(6/ 81-82).

(6) ذكر له في سوس العالمة:(193)، وأجوبة فقهية في موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405).

10. **شرح الطرفة في اصطلاح الحديث**[1]: مخطوط.

11. **شرح القصيدة الشقراطيسية**[2]:

وهو شرح على القصيدة اللامية في السيرة لمحمد بن يحيى بن علي الشقراطيسي توفي عام: 466هـ، والكتاب مازال مخطوطا.

12. **شرح كتاب حلية الأنوار في أخبار دار القرار**[3]: مخطوط.

13. **التعليق على سيرة الكلاعي**[4]: توفي عام: 634هـ: مخطوط.

14. **حاشية على الشفا للقاضي عياض**[5]: توفي عام: 544هـ: مخطوط.

15. **مجموعة أجوبة فقهية**[6]: مخطوط.

16. **مجموعة إجازات أشياخه**[7]: مخطوط.

17. **مجموعة في فوائد الصلاة على النبي ﷺ**[8]: مخطوط، يقع في أربع صفحات.

18. **مجموعة في الطب**[9]: مخطوط.

---

(1) نسب له في سوس العالمة:(193)، والإعلام:(6/ 81، 82)، والأعلام:(6/ 15)، وموسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405).

(2) ذكر له في سوس العالمة:(193)، والأعلام:(6/ 15).

(3) ذكر له في الإعلام:(6/ 81).

(4) نسب له في سوس العالمة:(193)، والأعلام:(6/ 15)، وسمي: حاشية على سيرة الكلاعي في الإعلام:(6/ 81)، وموسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405).

(5) ورد ذكره في سوس العالمة:(193)، وموسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405)، والأعلام:(6/ 15).

(6) ورد ذكره في سوس العالمة:(193).

(7) انظر سوس العالمة:(193)، ودليل مؤرخ المغرب:(1/ 123)، والأعلام:(6/ 15).

(8) انظر سوس العالمة:(193)، وخلال جزولة:(1/ 66).

(9) انظر سوس العالمة:(193)، والأعلام:(6/ 15).

19. **مجموعة في أصول الطريقة الصوفية**[1]: مخطوط.

20. **مؤلف في تصريف الأفعال**[2]: مخطوط.

21. **جمع أجوبة شيخه أحمد العباسي**[3]: مخطوط.

22. **رسالة في آداب المعلم والمتعلم**[4]: مخطوط.

23. **شرح نصيحة الإمام زروق**[5]، وتعرف أيضا بالنصيحة الزروقية، وهو مخطوط.

24. **فهرسة صغيرة في ذكر شيوخه وبعض أسانيده**[6]: مخطوط.

25. **كناشة**[7]: مخطوط.

26. **إجازة كبيرة لكثير من تلاميذه**[8]:

مخطوط غير تام في الخزانة الملكية بمراكش رقم: 385 ضمن مجموع.

27. **منظومة في الوعظ:**

مخطوطة بالخزانة الوطنية بالرباط ضمن مجموع رقم: 1317د، لم تذكر في مصادر ترجمته.

---

(1) انظر سوس العالمة:(193).

(2) نفسه:(193).

(3) ورد في سوس العالمة:(193) طبعت على الحجر بفاس بدون تاريخ.

(4) ورد في الإعلام للمراكشي:(6/ 84)، والأعلام:(6/ 15).

(5) ورد في الإعلام:(6/ 84).

(6) ذكرت في سوس العالمة:(193)، والأعلام:(6/ 15)، وموسوعة أعلام المغرب:(7/ 2405)، ودليل مؤرخ المغرب:(2/ 320).

(7) ذكرت في الأعلام:(6/ 15).

(8) انظر سوس العالمة:(193).

28. **وصية لأولاده وأهله:**

مخطوطة بالخزانة الملكية بمراكش رقم: 385 ضمن مجموع، نقلها حفيد المؤلف محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي.

29. **شرح دلائل الخيرات للإمام الجزولي:** مخطوط.

30. **الرحلة الحجازية**[1]:

تعتبر من أجمل مؤلفات الشيخ الحضيكي، وقد استهلها بتحديد الهدف من تأليفها مصرحا بأن:«المراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر، رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم والانخراط في سلكهم لوفور محبتي لهم ولعظيم شوقي لذكرهم»[2].

وبعد ما انتهى من ذكر أشياخه المغاربة، خاصة منهم أهل سوس، قال:«وهنا انتهى ذكر من ذكر من الأشياخ ولا أطيق حصرهم... ولنشرع في ذكر من لقيناه في سفرنا للحج وبعض مراحله»[3]، شرع في وصف رحلته إلى الحج، وتحرك الركب نحو سجلماسة، فالقنادسة لينطلق منها في المسار الذي اعتاد الحجاج أن يسلكوه إلى مكة المكرمة، وبعد الفراغ من مناسك الحج، انتقل الركب إلى المدينة المنورة قصد الزيارة، وعبر المسار نفسه رجع الحضيكي مع بعض رفاقه من طلبة سوس، حيث توقف بمصر، ودخل جامع الأزهر قصد الدراسة والتحصيل، فأخذ عن أهم شيوخه في ذلك الوقت، ممن ترجمهم، وذكر أخبارهم، وأنواع العلوم التي درسها عندهم، وقد

---

(1) نسبت له في جميع مصادر ترجمته.

(2) الرحلة الحجازية:(57).

(3) نفسه:(76).

خصص حيزا من حديثه في رحلته عن نهر النيل العظيم، والأهرامات الفرعونية الخالدة، وذكر بعض الأماكن المشهورة في القاهرة، كمقبرة القرافة، وما اشتهر فيها من المقابر، والمزارات، لأكبر العلماء، والأولياء، وأعلام التصوف، وأخبار مصر التي لا تنحصر، التي أنهى رحلته بذكر بعضها.

☑ ثناء العلماء عليه:

قال فيه المراكشي في الإعلام: «كان رحمه الله تعالى عديم النظير في زمانه، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة، متبعا للسنة، أخذ في كل فن من فنون العلم بنصيب، وضرب له فيها بسهم مصيب، عارفا بالسير والحديث، وعلوم الحقائق والمعارف، جمع بين شرفي العلم والولاية، معرضا عن الدنيا... متبحرا محصلا بلغ الدرجة العليا في علم اللغة، عارفا بالتاريخ، وكانت معه هيبة، مآثره كثيرة وكراماته خطيرة»[1].

وحلاه المختار السوسي بمجموعة من الأوصاف قائلا: «إنه أحد مفاخر سوس الأعلام، حتى لتعجز عن تبيين أوصاف كمالاته الأقلام، زينة النصف الأخير من القرن الثاني عشر...ثم أخذت بيده أيدي السعود حتى نال ما نال مما أفاضت به أقلام المؤرخين حوله»[2].

وقد تميز بقوة الحفظ ودقة البحث فكان: «آية من آيات الله في حفظ السيرة النبوية والتنقيب على أحوال الصحابة والسلف الصالح، يوشح مجالسه بذلك»[3].

☑ وفاته:

توفي أبو عبد الله الحضيكي رحمه الله تعالى في ليلة السبت عند العشاء تاسع عشر من رجب الفرد عام: 1189هـ[4]، موافق 15 شتنبر سنة 1775م.

---

(1) الإعلام للمراكشي: (6/ 82).

(2) المعسول: (11/ 302).

(3) فهرس الفهارس: (1/ 352).

(4) كل مصادر ومراجع ترجمته تتفق على تاريخ وفاته.

☑ الجوانب العلمية في رحلته الحجازية:

قدم الحضيكي في رحلته جملة من الأخبار في جوانب معرفية مختلفة: جغرافية، وتاريخية، وقضايا فقهية، وبعض الظواهر الاقتصادية والاجتماعية، والعادات والتقاليد التي لاحظها أثناء هذه الرحلة.

أخبار جغرافية:

اهتم المؤلف بالجانب الجغرافي، فهو في كل مرحلة من مراحل رحلته يعرف بالأماكن والبلدان التي يمر بها أو ينزل بها، ويعطي البيانات الجغرافية اللازمة أو المميزة، كقوله مثلا عن سجلماسة بالمغرب «.. ونزلنا بعد يومين سجلماسة ذات قرى كثيرة وأسواق ومياه ونخيل وفواكه ومزارع، وأقمنا فيها نحوا من خمسة عشر يوما...»[1]، وكقوله أيضا عن الينبوع «ثم نزلنا الينبوع، وهي قرى كثيرة ذات نخيل ومياه، قيل: إنها قريبة من مدينة الرسول ﷺ، وأقمنا فيه يوما وماؤه حلو طيب، وهي مرسى تخرج فيها أقوات أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام تحمل منه إليهم..»[2].

ويلاحظ أن المؤلف اهتم بالماء في جميع الأماكن التي أوردها في الرحلة؛ لأنه زاد حيوي لركب الحاج، إذ كانت الرحلة آنذاك تعتمد على الإبل والأقدام، فتطول مدتها شهورا عديدة، وكلما مر ركب الحاج بموضع أو نزل في محطة إلا ونجد المؤلف يتحدث عن مائه وطبيعة مرعاه، كما في قوله:«ثم ارتحلنا ونزلنا آبارا يقال لها أم السلطان، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به، ثم منه ونزلنا بندرا يقال له الأزلام، وماؤه ملح أجاج يسهل شاربه..»[3].

---

(1) الرحلة الحجازية:(83).

(2) نفسه:(96).

(3) نفسه:(95).

كما لم يغفل المؤلف الحديث عن المشاكل التي واجهت الركب للحصول على الماء، يقول: «وارتحلنا وقطعنا مسافة هناك يقال لها السروال، ولا ماء بها في سبع مراحل وفي اليوم السابع نزلنا على ماء وقد بلغ بالناس والدواب الجهد مبلغه، يشرفون فيه على الهلاك لولا لطف الله تعالى ورحمته...»[1].

أخبار تاريخية:

اهتم الحضيكي كثيرا بالجانب التاريخي في الرحلة الحجازية، خاصة ما يتعلق منه بالرجال وأخبارهم، فقد صرح في بدايتها بأن الهدف منها ذكر أعلام العلم، وأشياخه من المغاربة والمشارقة، ولذلك نجده لا يمر بقرية أو مدينة، أو زاوية إلا توقف فيها لزيارة أضرحة علمائها والتبرك بأوليائها، كما تحدث لما وصل إلى الحجاز عن قبور الشهداء، والصحابة، رضوان الله عليهم، وعن أزواج النبيﷺ، وعن المساجد والبقاع، وغير ذلك من القبور والمزارات سواء بمكة المكرمة أم بالمدينة المنورة، كقوله في المسجد الحرام:«اعلم أن المسجد الحرام كان صغيرا ولم يكن عليه جدار، وإنما كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من ناحية، فضاق المسجد على الناس فاشترى عمر بن الخطابرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دورا فهدمها ثم أحاط عليه جدارا قصيرا، ثم وسع المسجد عثمان بن عفانرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشترى من قوم، ثم زاد فيه ابن الزبير رضي الله عنهما، اشترى دورا فأدخلها فيه، ثم زاد المنصور في شقه الشامي، ثم زاد المهدي، وكانت الكعبة في جانب فأحب أن تكون وسطا فاشترى دورا ووسطها، وأول من نفذ إليه أساطين الرخام وسقفه بالسياج المزخرف الوليد بن عبد الملك...»[2]، وفي السياق نفسه قال عن منبر رسول الله ﷺ: «وأما منبره صلى الله عليه وسلم فقد احترق في جملة

(1) الرحلة الحجازية: (90).

(2) نفسه: (129).

حريق المسجد سنة أربع وخمسين وستمائة ودثر وأخذ ما بقي من أعواده فعملت أمشاطا للتبرك، ولم يبق له أثر الآن بالكلية»[1].

ومن المظاهر التاريخية الأخرى التي أوردها الحضيكي في رحلته: زيارة أهل مراكش لسبعة رجال، وما كان يتخلل هذه الزيارة من طقوس دينية ومظاهر صوفية، وأوقات معينة بحيث:«رتب لهم أهل مراكش مزارا صبيحة يوم الجمعة يخرج لزيارتهم الرجال والنساء والصبيان، ويرون لزيارتهم بركة عظيمة، وفرجا قريبا عند نزول الشدائد بهم، وكانوا يستسقون بهم فيسقون ويهربون إليهم في الضيق والكرب، فيكشف عنهم كل ما بهم، وشوهد ذلك وعوين»[2].

وتعتبر الرحلة كذلك مصدرا مهما لتراجم وأخبار أعلام المغرب الأقصى، فقد تفرد المؤلف بذكر تراجم بعض العلماء الذين لم نجد لهم ذكرا في المصادر مثل الشيخ عبد الكريم الزيادي، والشيخ الحسين الشرحبيلي، والشيخ أبي القاسم بن عبد الله الشبي، والشيخ أبي مسعود سيدي سعيد بن سيدي عبد الرحمن الشبي.

أخبار اقتصادية واجتماعية:

تطرق المؤلف في رحلته إلى بعض الملامح الاقتصادية التي أثارت انتباهه كقضية العملة المحلية وضرورة تحويلها إلى ذهب، وبعض السلع المروجة القابلة للتبادل والمقايضة، وفي ذلك يقول:«ولك أن تصرف دراهمك بالذهب، فإنه هناك أرخص تبرا ومسكوكا، مما استقبلته إلى بلاد الشرق، وفيه فائدتان يروج في كل بلد أمامك وتصيب به غرضك، حيث كنت وكيف شئت، بخلاف هذه الدراهم الإسماعيلية، فرواجها في عمالة المغرب، إذا خرجت منها، فلا تروج إلا ببخس، والفائدة الثانية

(1) الرحلة الحجازية: (157).

(2) نفسه:(66).

أنك إذا صرفتها ذهبا تبرا كان أو مسكوكا خف عليك حمله... ولك أيضا أن تشتري العطرية والكحل والشبة والكبريت...»[1].

ومما يدخل في هذا المجال أيضا بعض الارتسامات الاجتماعية التي أوردها المؤلف في أهل مكة فوصفهم بأنهم: «أهل كرم وجود، وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة، وألوانهم إلى الأدمة ناضرة، ظهرت فيهم سمة المجاورة وغطتهم محاسن الكعبة...»[2]، ومن ذلك أيضا ما حكاه عن أميري مصر والشام وما كان بينهما من الافتخار:«فكل يفاخر صاحبه بالقوة والشدة وكثرة العدد والعدد وسعة الأموال... غير أن الشامي أكثر مالا وأسخى من بذل، وأحنى على المساكين من المصري، وأمراء الأركاب غيرهما كل قد جاء على قدره واستطاعته بأنواع الحلي والحلل...»[3].

كما رصد لنا الحضيكي بعض الظواهر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي شاهدها خلال مراحل هذه الرحلة ، كخروج نساء منطقة عين ماضي إلى الأسواق، والاختلاط بالرجال للتجارة لأنه:«لا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالبا إلا النساء، ولقد افتتن بهن عامة الحاج، إذ نزلنا بها والعياذ بالله من فتنة الأهواء واتباع الشهوات، ولبعض أهلها نوع من مخالطة العلم»[4]، ويقول أيضا في السياق نفسه:«فلا تبيعن شيئا من ذلك للنساء المفتنات، واحذر ما يفعله عامة الحجاج وسفلتهم من مخالطتهم مع نساء العرب ومعاملتهم لهن، واختلائهم بهن، ومضاحكتهم معهن، إياك وارتقب الشاهد ربك»[5]، ووصفهن أيضا بقلة الحياء حيث قال:«ترى نساءهم كذلك

(1) الرحلة الحجازية:(80-81).

(2) نفسه:(105).

(3) نفسه:(105).

(4) نفسه:(84).

(5) نفسه:(81).

متبرجات بزينتهن، لا حياء معهن ولا دين، متغلبات عليهن، وحكي أنهن لا يصلين أصلا، ولا يغتسلن من الحيض ولا من الجنابة، مخافة من الماء، مع أنهم ادعوا الشرف»[1].

ونبه المؤلف إلى المخاطر التي تواجه الحاج في طريقه من طرف السراق وقطاع الطرق، كما هو الحال في وادي الناموس حيث «يكمن فيه السراق، وأعراب تلك البلاد سراق قطاع ينهبون الحجاج كثيرا ويقطعون عليهم»[2]، لذلك نجده يؤكد على الحاج ضرورة حسن اختيار الصحبة في الطريق للحج ليذكره إذا نسي ويعينه إذا أرهقه السفر لأن:«من الأهم في ذلك الطريق أن تعد وتختار أصحابا أمناء أقوياء أصحاء، تعاشرهم ثلاثة وأنت رابعهم... ومرافقة الأخيار وصحبتهم سنة العقلاء»[3].

ونبه كذلك الحاج إلى ما قد يقع له من الابتزاز والاستغلال المادي في سفره من طرف الخدام والجمالين، فهم «يحرصون على استخراج أدنى شيء منك... ولا تتعاط معهم المساوئ، فإنهم أشحاء على الخير، وألسنتهم حداد، وَوَفِّ إليهم كراءهم، ثم أحسن إليهم، ولو بقليل من طعامك، تفز بالأجر من الله و بالرحمة منه، وألن جانبك ولا تغلظ»[4].

قضايا فقهية:

جمع الحضيكي في هذه الرحلة مادة فقهية جيدة، حول مناسك الحج وما يتعلق به من الأركان والفرائض والواجبات والمستحبات والمكروهات، التي يحتاجها الحاج

(1) الرحلة الحجازية:(84).

(2) نفسه:(86).

(3) نفسه:(80).

(4) نفسه:(89-90).

في مناسكه، مستشهدا بمجموعة من الآراء الفقهية الخاصة بالمذاهب الأربعة، في كثير من قضايا مناسك الحج، التي وقع فيها الخلاف بين الفقهاء ، كقضية شرب ماء زمزم وفضله، حيث أورد فيها أحاديث كثيرة، وآراء فقهية مختلفة، وقضية غسل الميت والنجاسة بماء زمزم، فابن شعبان يرى أنه:«لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة، ابن أبي زيد قوله خلاف قول مالك وأصحابه، وتعقب التونسي أيضا قول ابن شعبان وقال: ليس بظاهر أبو الحسن اللخمي على القول بطهارة الميت يجوز غسله بماء زمزم بل هو أولى لما يرجى من بركته».

وخلاصة القول تعد هذه الرحلة الحجازية موسوعة معرفية جمع فيها المؤلف بين الأدب، والجغرافيا، والتاريخ، والفقه، والحديث، مما يدل على غزارة فكر الحضيكي واتساع مداركه وقدرته على الجمع بين هذه الفنون المعرفية المختلفة.

☑ منهج التحقيق:

سلكنا في إخراج هذا العمل المتواضع منهجا علميا، اقتصرنا فيه على نقل متن المخطوط، وفق قواعد الإملاء المعمول بها حديثا، مع الحرص على ترتيب النص في فقرات حسب المعنى، ومراعاة أصول الترقيم على اختلاف أنواعها، وشكل ما أشكل فهمه من الألفاظ، والعبارات، والآيات القرآنية الكريمة، وإجراء المقابلة بين النسختين، وضبط أوزان الأشعار الموجودة، مع إثبات أسماء بحورها ونسبة غير المنسوبة منها.

كما اعتنينا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال العربية، والأشعار الواردة في المتن مع تحديد بحورها، كما عرفنا بالأعلام المغمورين، وبالبلدان، والقبائل، مع الإحالة على المصادر المعتمدة، وترتيبها ترتيبا تاريخيا، ثم ذيلنا الكتاب بمجموعة من الفهارس التفصيلية التي تسهل التعامل مع الكتاب، وتيسر للقارئ سبل البحث في ثناياه دون كبد أو عناء، وقد رتبناها كالآتي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الكتب الواردة في المتن.
- فهرس الأعلام البشرية، والأعلام المترجمين في الرحلة.
- فهرس البلدان والمواضع.
- فهرس القبائل والأمم والطوائف.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

☑ وصف نسختي المخطوط:

اعتمدنا في تحقيق وضبط هذا النص على نسختين مخطوطتين في الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط.

النسخة الأولى:

مسجلة تحت رقم: 405 وهي تامة مكتوبة على ورق عتيق بخط مغربي مبسوط دقيق واضح ومقروء، بعضه مشكول وملون بالأحمر، لاسيما عند كتابة أسماء الأعلام والأماكن، بها تعقيبة وعليها بعض الطرر للشرح والتصحيح، تسفيرها أصلي بجلد أحمر، وهي تضم: 27 ورقة، مقياس: 22 ×17 سم، مسطرة: 27 س، وقع الفراغ من نسخها ضحوة يوم الأحد 13 جمادى الثانية عام: 1278هـ دون ذكر اسم الناسخ.

وتبتدئ هذه النسخة بقوله:«هذه رحلة الشيخ الولي الكبير الزاهد الصوفي العلامة الشهير أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحضيكي ثم الإيسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا ببركاته آمين، وبعد فالمراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة...».

وتنتهي بقوله:«وأخبار مصر لا تنحصر ولقد وضع أصحاب التاريخ عليها تآليف عديدة في عجائبها اللذيذة. انتهى».

النسخة الثانية:

تحمل رقم: 12373، ضمن مجموع، وهي كاملة جيدة ومصححة، كتبت بخط مغربي لا بأس به كله بمداد أسود يتراوح بين المبسوط والمجوهر، بعضه مشكول،

تضم: 32 ورقة، من ورقة: 65 إلى ورقة: 127أ، مقياس: 23×18 سم، مسطرة: 26 سطرا، بها تعقيبة وطرر شارحة، وتتشابه مع النسخة الأولى في بدايتها ونهايتها، وجاء في آخرها:«كملت في 15 شوال عام: 1352هـ موافق 26 يناير سنة 1934، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنال البركات»، وهي خالية مما يشير إلى اسم ناسخها.

نماذج من النسخ المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

هذه رحلة الشيخ سيدي محمد بن أحمد الحضيكي رحمه الله تعالى وآمين

توفي الشيخ الحضيكي رحمه الله عام 1189 وولد عام 1119

أما بعد فالمراد ذكر جماعة ممن لقيته من العلماء في الحضر والسفر رجاء من الله عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم وانتظار الصلة [illegible] [illegible] وتعظيم [illegible] ذكرهم [illegible] [illegible] [illegible] وما [illegible] الاستغفار ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وما أصدق قول العارف بالله الشيخ [illegible] [illegible]

وما لي لا أنوح على خطائي … وقد بارزت جبار السماء

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] الشماء

[illegible] … [illegible] الابتداء

[illegible] … [illegible] البكاء

وأنت يا أخي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرجاء [illegible] [illegible] الله وإياك يا أخي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعالى [illegible] من خشية الله تعالى [illegible] لله تعالى [illegible] بغير الله تعالى

الورقة الأولى من النسخة ـ أ ـ

الورقة الأولى من النسخة -ب-

53

مجلس واحد في الجامع وقت الضحى ولا اوراد اسم شيخهم والحنابلة كذلك قليلون لهم في ايا
مع حلقة صغيرة وجماعتهم قليلة زهاء خمسة عشر الى عشرين والله تعالى يرزقنا واياهم اتباع
السلف الصالح والدخول في زمرة العلماء العاملين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
انا كذلك ملازمين للجامع والجوار فيه سنة كاملة ومن عادة اهل مصر انهم يزورون الزيارة طالبين
قرافتي الكبرى والصغرى صبيحة كل جمعة رجالا ونساء صغارا وكبارا ترى الطرقات كالسيول
تموج بالناسرة وان المدور والمتحدين في ذلك اليوم كثير وقد اشتملت تربة قرافة
على ما لا يحصيه عدا الا الله تعالى من الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلماء الدين وائمة الاسلام
واولياء الله تعالى وعباده الصالحين سلفا وخلفا ولا زالت طائفة من اهل العلم والدين في مصر
كما نص عليه الا الاعزي الشاملة وقد شاهدنا ذلك عيانا سنة ثلاث وخمسين
ومائة والف وقد ضعف الطالب والمطلوب للعلم يومئذ في المغرب فلا ترى من يعتني به اعتناء
واهل جامع الازهر هذا يشتغلون اليوم بالعلماء واهل الخير والدين ومازال العلماء يفيضون بوظائف
التدريس والعلم والتفقيه ويقصد هذا الجامع للعلم من اليمن والحرمين الشريفين والعراقيين والشام
والمغرب وليس في الدنيا جميعه مثله علما على ما شاع وذاع عند الكافة والخاصة وناهيك
بذلك جامع يشتمل على نحو من ثلاثين مجلسا في وقت واحد كلها في الفقه وفيه المشايخ اوليك
من له خمسة دروس بين الليل والنهار ولكن لا يحيى في ذلك وهم في اقرب مكان من المغرب الى ينبوع
الحكم والعلوم ومنبع الاسرار والانوار والمصباح صلى الله عليه وعلى آله ما دامت الافلاك على اسموع
وفي مصر صاحب فيه السلف الصالح والخلف الناجح ونسل الناجح كالامام الاعظم صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيدنا عمرو بن العاص الذي هو افتتح المغرب وفاتح اقليم مصر وامامنا الاجل
سيدنا عقبة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تعرج تربته قرافة وجبلها بنجمة
طيبة والامام الاكبر ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ذكر
الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جماعة من الاولياء يعرفون جماعة الامام الشافعي كل يوم
رضي الله عنه والامام الجليل سيد السادات صاحب مذهب سيدنا الليث بن سعد ومقامه
مشهور معلوم بقرافة قرب مقام الشافعي ومقام سيدنا عقبة رضي الله عنهم
الى جهة الجبل المقطم وفي سفح الجبل افضل القرافة تربة الامام الشيخ ابن عطاء الله الاسكندري
وابن ابي جمرة المغربي وفوق ذلك مقام السادات الوفائية سيدي محمد وابنه سيدي علي وابو
الوفا معروف مشهور وفوقه في الجبل مقام الشيخ الجليل الفاضل ذو مناقب كثيرة وفضائل
شهيرة قدوة المحبين وامام المتصوفين سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله به وفيه

الورقة الثانية من النسخة – أ –

الصفحة الأخيرة من النسخة – ب-

وينبغي بعلمه وفقهه للملازمة للشيخ احمد الاسكندري احد اعلام المالكية والشيخ
احمد العماوي اليمني واستاذ [illegible] الازهر من اجلاء المالكية والشيخ عمر الطحلاوي
من المالكية ايضا [illegible] الاسكندري [illegible] مختصر خليل ورسالة ابن ابي زيد
واحاديث ابن ابي جمرة المقتطعة من صحيح البخاري والجامع الصغير للامام السيوطي غير
ان [illegible] الاخير لم يختمهما عليه وكانت همته رضي الله عنه ان يختم المسائل
ومختصر العشماوية [illegible] والعربية والالفية لابن مالك والتلخيص واصول ابن السبكي
في تسعة اشهر كل عام وكتبا من كتب الحديث كالجامع الصغير واحاديث ابن ابي
جمرة والاحياء وغيره في كل عام وكان رضي الله عنه والحال [illegible] تقيا ورعا
زاهدا [illegible] على نفسه منذ ثلاثين سنة تدريس العلم بجامع الازهر ودار [illegible]
لا [illegible] من الاتباع [illegible] من كل سنة [illegible] العمال بالمال
و[illegible] فيه [illegible] ولم يقبل من احد منهم ذهبا ولا فضة وكان
ذا مال ينفقه على المساكين والمستحقين ولا يبالي [illegible] والترفه والتنعم
[illegible] ان اهل الشرع وتلك [illegible] كثيرا [illegible]
والتكبر والتباهي باللباس والطيب والتكلف و[illegible] الاعضاء والتنعم [illegible]
والجواري وغير ذلك من مركب وعبيد [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] وقد رئيت [illegible] ولا [illegible]
لا بعد كل تسعة اشهر من كل عام قد اشتهر بالفضل والكرامات والبركة [illegible] بمجلس
الدرس كثيرا [illegible] على [illegible] محبته للنبي صلى الله عليه وسلم وكثرة [illegible]
والاعتناء باحواله صلى الله عليه وسلم وسنته [illegible] وكان كثير البكاء في المجلس سريع
الدمع [illegible] الاحوال الصالحين والعلماء ذا [illegible] وكان يقول [illegible]
لا ينفع [illegible] وكان رضي الله عنه يقول كثيرا في مجلس الدرس
كونوا [illegible] واسلكوا [illegible] ولا تكونوا [illegible]
[illegible] من الشيخ محمد الخرشي شارح المختصر [illegible]
[illegible] الشيخ محمد [illegible] الشيخ عبد الباقي شارح المختصر ايضا وكان
يثني عليه [illegible] انه من [illegible] واعيان علماء [illegible]
[illegible] العلوم [illegible] والاسرار [illegible] له شرح جليل على موطأ الامام مالك

رضي

بمقلعا شكيت مرديء و دنيا   وجيران تلاموا في القلة
بمشغوف بآيات الثلاثة   وقتون بترنات المثلاثة
ومضطلع بتلخيص المعانة   ومطلع الى تلخيص عثانة
وكم من قارئ فيها وقار   اضرّا بالجفون وبالجفاني
فصل ان شئت فيها من بسيط   وان شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها   او الكاسات منكلف العنان

منها يعرهم وهو نازل عن تقصراه ومنها بعين ملأ العيه وما تهواه منها يرعى فيها النجوم ويناجي الحي القيوم ومنها يقعل ليله الى الصباح او يقطعه بما هو عليه ملوم منها يشغلها بغير الفكرة والتبصر في عجائب القدرة ومنها البسولم الا الا بتسلح بنظارة الزهرة منها يشهر فيها مشاهر من شهوده ومنها يشهد ونوم غيره افضل من شهوده وكم لله على سكانها من نعمة لا يحصي العاد ضبطه فان قيل فيها من الناموس يشيب فقل له لا بد منه لرمع العين فان قيل ويخلعه عنه انغضا به اذى البرغوث فقل الا ذكى البرغوث ان اسمه برغوث لك لو تدري فبره مصدع فاسد والغوث برفقك في العجز فحيك بها النيل وما ادراك ما النيل سيد الانهار والمسخر لجميع مياه الارض في حركة الزيادة كما ورد في الاثر اصل منبعه من الجنة وهو في الجنة نهر العسل ويريعه فيه عند ربيع الفيان وسلم يعرب فليتمل

ديار مصر هي الزنيل وساكنها   هم الانام فقابلها بتقبيل
ومن يباهي ببغداد ودجلتها   مصر مقدمة والشرح للنيل

واما الاهرام فقبور على ما قيل بنيت عليها تلك الابنية المتقنة العجيبة الاساس والبناء فيها اساس تخص وعلو في الهواء واخبار مصر لا تحصى ولقد وضع اصحاب التاريخ فيها تآليف غريبة في عجائبها المعروفة هذا والرحلة بعون الله انتهت وبالخير والبركة بفضل الله ازدهت

كملت في 10 شوال عام 1352 موافق 26 يناير سنة 1934
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنال الرغبات
وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

ولله در من قال   من شاهد الزنيل وافكارها   والناظر انواعا واجناسا
لا راء مصرا ولا اهلها   بمنازة الزنيل ولا الناسا

الصفحة الأخيرة من النسخة –أ–

القسم الثاني

متن الرحلة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

[1] هذه رحلة الشيخ الولي الكبير الزاهد الصوفي العلامة الشهير أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحضيكي ثم الإيسي[1] رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين.

وبعد:

فالمراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر، رجاءً من الله تعالى عظيم البركة، وشمول الرحمة عند ذكرهم، وانخراطا في سلكهم، لوفور محبتي لهم، ولعظيم شوقي لذكرهم، «فالمرء مع من أحب»[2]، تَأْنِيساً لنفسي وَتَأَسِّياً بهم، وإسعافا لمن أحب، وذلك بعد الاستخارة، ولا تَحْمِلَنَّكَ أيها الأخ الغيرَةُ على الطعن والقدح، وتحسبه تأليفا من مؤلف، إنْ هو إلا تقييد من مقصر متروك مهمل مُخَلَّفٍ عن رفقته وجماعته، وما أصْدَقَ قَوْلَ الولي العارف بالله الشيخ علي النبتيتي[3] الضرير علينا: [الوافر]

وَمَالِيَ لاَ أَنُوحُ عَلَى خَطَائِي وَقَدْ بَارَزْتُ جَبَّارَ السَّمَاءِ

---

(1) الإيسي: نسبة إلى قبيلة في وادي إيسي منطقة في سوس عرف أهلها بالعلم والأدب. انظر معلمة المغرب:(3/ 927).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ح(6186)، (8/ 39)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، ح(2640)، (4/ 2034)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا.

(3) علي بن عبد القادر النبتيتي عالم بالميقات والحساب، من أهل نبتيت بشرقية مصر، له مؤلفات مختلفة، توفي سنة:(1061هـ)، ترجمته في خلاصة الأثر:(3/ 161). هدية العارفين:(1/ 757)، الأعلام:(4/ 301).

قَـــرَأْتُ كِتَابَـــهُ وَعَـــصَيْتُ سِـــرّا	لِعَظْـــمِ بَلِيَّـــتِي وَلِـــشُؤْمِ رَأْيِـــي
بَلاَئِـــــي لاَ يُـقَاسِـــــيهِ بَـــــلاَءٌ	وَآفَـاتِي تَــدُلُّ عَلَـــى شَـقَـائِـــي
فَيَـا ذُلِّـــي إِذَا مَـــا قَـالَ رَبِّـــي إِلَى	النِّيـــرَانِ سُـــوقُوا ذَا الْـمُـــرَائِي
فَهـــذَا كَانَ يَعْـــصِينِي مِـــرَارا	وَيَـــزْعُمُ أَنَّـــهُ مِـــنْ أَوْلِـيَـائِـــي
تَـــصَنَّعَ لِلْعِـــبَادِ وَلَـــمْ يُـــرِدْنِي	وَكَانَ يُـرِيــدُ بِالْمَعْنَـــى سِوَائِـــي
فَيَـــا رَبِّـــي عُـــبَيْدٌ مُـــسْتَجِيـر	يَـــرُومُ الْعَفْـــوَ مِـــنْ رَبِّ الـــسَّمَـاءِ
مُحَمَّـــدُ اِسْـــمُهُ فِي النَّـــاسِ يُـــدْعَى	وَمَـا يَـدْرِي اسْـمُــهُ حَـالَ ابْتِـدَاءِ
فَأَنِّـــسْـهُ إِذَا أَمْـــــسَى وَحِيـــــدا	رَهِيـــنَ الرَّمْـــسِ فِي لَحْـــدِ الْبَـــلاَءِ

وإني يا أخي عبد فقير حقير، مسكين أقل من أن يستجاب الدعاء لي، ولكن أدعو امتثالا فنقول: ألهمنا الله وإياك يا أخي ذِكْرَهُ، وأوزعنا وإياك شُكْرَهُ، وَرَضَّانَا وإياك بِقَدَرِهِ، ولا أَخْلاَنَا[1] وإياك من توفيقه ومعونته، ولا وَكَّلَنَا وإياك إلى نفسي ونفسك، ولا إلى أحد من خليقته، وجعلنا وإياك ممن وَفَّى بعهده، وصدق قوله وفعله، وجعلنا وإياك من المواظبين لذكر الله تعالى، والوجِلِين من خشية الله تعالى، المخلصين لله تعالى، الذين لا يفرحون بغير الله تعالى، الذين لا يطلبون سوى مولاهم، ولا يحزنون على فقد غيره، الذين على أُمَّتِهِ صلى الله عليه وسلم يُشْفِقُونَ، و بهم يرفقون، راحمين ولا يقبحون ولا يعنفُونَ، وعن عيوبهم يُغْمِضُونَ[2]، يسترون الذين لا يأمرون إلا ما أمرت به الشريعة، ولا ينكرون إلا ما أنكرته الشريعة على حسب طاقتهم، ويسألون الله تعالى تَعْجِيزَ الظَّلَمَةِ حتى لا يظلموا.

---

(1) أخلاه كخلاه بمعنى تركه. اللسان: مادة خلا.

(2) غمض عنه: تجاوز، ويكنى به عن الصبر. اللسان: مادة غمض.

هذا وإن من العلماء شيخَنا الرباني العارف بالله تعالى النحوي اللغوي العروضي الفقيه ذا كرامات ظاهرة، ومقامات فاخرة، وسرائر [طاهرة][1]، وبصائر باهرة، وأحوال قدسية، ومناظر بهية، وإشارات نورانية، ونفحات روحانية، وأسرار ملكوتية، وأنفاس صادقة، سيدي ووسيلتي وسندي:

أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي[2]، نسبة إلى قبيلة صوابة من قبائل سوس الأقصى[3]، ذا المعارج والمعالي، والقدم الراسخة في العلوم والعوالي، واليد البيضاء، والمنهاج الأسنى، والباع الطويل، والفتح الجليل، ذا مجاهدات باهرة، وهمم عالية، وهو ممن أظهره الله عز وجل للوجود، وأبرزه رحمة للخلق، وأوقع له القبول عند الخاص والعام، وصدقه في العالم، وأرشد به إلى الدين خلقا كثيرا، وأخمد به بدعا شائعة، ونشر به علوما شتى، ونفع به نفعا عاما، وَصِيتُهُ واشتهاره رحمه الله تعالى في أقطار الأرض تغني عن عَدِّ مناقبه، وقد شاعت وذاعت مآثره ومحاسنه.

وناهيك بذلك خروجه من بلده فرارا من الفتن، وهجر أوطانه لله تعالى، ولإرشاد عباد الله وتعليمهم، ورمى بالدنيا وزينتها وراء ظهره، وقام بأوامر الله تعالى ووظائف دينه، وصبر على طاعة ربه عن معصيته، فلا يخاف في الله لومة لائم، فهو سالك المحجَّةَ البيضاء، حتى وصل إلى ذروة التقوى.

---

(1) [طاهرة] زيادة من(ب).

(2) أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي السوسي من علماء سوس، أقام مدرسة علمية كبيرة، توفي عام 1149هـ/ 1738م. ترجمته في: الإعلام:(6/ 82)، خلال جزولة:(2/ 197)، معلمة المغرب:(16/ 5574).

(3) صوابة: تعريب أيت صواب، قبيلة سوسية من قبائل الأطلس الصغير، والنسبة إليها صوابي، وهي من أكبر القبائل في بلاد سوس. انظر: معلمة المغرب:(16/ 5574).

وعليك بالعمل أيها الأخ، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق، دون التخلق بأخلاق أهلها، فإن الصلاحَ والنجاحَ والأرباحَ والهدى لا يصلح إلا لمن ترك الحظ، وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير، وكان رحمه الله تعالى يذود عن الدين، ويناضل عنه بالقواطع والصَّوَارِم.

أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي محي الطريقة الشاذلية[1]، والسنة المحمدية، شيخ مشايخ الغرب والشرق، حامل لواء أهل السنة، عَلَمُ المهتدين، وحجة الصوفية، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، أستاذ الأكابر والعارفين، شُهِدَ له بالقطبانية[2]، وجاء في هذه الطريقة بالعجب العجاب رضي الله عنه، ولكن مناقبه وفضائله أكثر من أن تحصى وتعد، نفعنا الله ببركاته، ورزقنا وإياك يا أخي محبته، ومحبة أولياء الله تعالى كافة.

ثم إن شيخَنَا الصوابي المذكور على ساق الجِدِّ في تدريس العلوم، يعلم الناس دين الله صغارهم وكبارهم، وليس عنده أشهى وألذ من تعلم وتعليمها للصغار، ولا يحب تعليم أحكام المعاملات إلا للتقي الأمين، ويحذر من القضاء بين الناس ويتعوذ بالله من أن يكون من قضاة زمانه، لكثرة فسادهم، وندرة السلامة / ممن تولاه. [2]

وكان رحمه الله كثير الصيام والقيام، وكان ديدنه ترتيل القرآن، ويربي الصبيان ويعلمهم ترتيله، وينهاهم عن الهَذِّ[3]، المخل بالواجب، ويروم رحمه الله أن يحمل أهل

---

(1) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي توفي عام:(1129هـ)، ترجمته في: شجرة النور الزكية:(1/ 332)، فهرس الفهارس:(2/ 677)، صفوة من انتشر:(221)، الإعلام:(4/ 311)، الأعلام:(1/ 241).

(2) القطبانية:(بمعنى القطبية الكبرى)، وهي مرتبة قطب الأقطاب الأعلى باطن خاتم النبوة. معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحنفي:(218).

(3) الهذ: سرعة القطع وسرعة القراءة. اللسان: مادة (هذذ).

جيله وعصره على تلك القراءة ويحاوله، فلم يقدر بعد المعالجة والمراودة والمعاودة أعواما ذوات العدد، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1]، وكان رحمه الله شديد الحرص على السُّنَّةِ، كثير الذب عن الإسلام، والحزم والنصر والغيرة في دين الله، وكان على ذلك عازما مشمرا غاية، حتى كَلَّ وَمَلَّ مُسَابقوه ومُسَارعوه عنه، ورجع وانقطع أماني الناس دونه، وهو في معاليه وأماليه آية وعبرة بتوفيق الله وتكريمه له:

[البسيط]

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأُزُرَا[2]

وَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَّى وَمَنْ صَبَرَا

لاَ تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

فسبحان من أكرم قوما وأكمل عقولهم، وأعلاهم دنيا وأخرى أعلى المنازل، وحط قوما، مع مساواتهم في الصورة البشرية، إلى أرذل شيء من الحطيط السَّافِلِ، وَمَلَّكَهُمْ لأخَسِّ شيء، وهو النفس والشيطان والهوى، فَاتَّبَعُوهُمْ في غير شيء، وحسبوا لعمى بصائرهم، وتناهي حمقاتهم، وشدة بلائهم، أنهم ظفروا بشيء من اللذات، وهم والله قد خرجوا من الدنيا ولم يظفروا بشيء من لذائذ العاجل ولا الآجل: [البسيط]

يُغْمَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّى يَرَى حَسَنًا ما لَيْسَ بِالحَسَنِ[3]

---

(1) سورة الأنعام: الآية 36.

(2) الأبيات تنسب لرجل من بني أسد وقد أنشدها أبو علي القالي في أماليه:(1/ 112)، ووردت في حماسة أبي تمام بشرح الأعلم الشنتمري:(2/ 1054)، ونفح الطيب:(2/ 73).

(3) الشطر الأول من البيت مأخوذ من قول الشاعر عبد الله الفاسي: [البسيط]

يُغْمَى عَلَى المرْءِ في أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّى يَرَى الخَيْرَ في طَعْنٍ وَفي جَدَلِ

إلى المولى الكريم نشكو ما أصابنا من التخلف عن رفاق ذوي الهمم السادات الكرام، وبقائنا عاجزين مطروحين في ساحة الأَخِسَّاء اللئام، نتجاذب معهم بقلوبنا، وجوارحنا شهوات وهمية، لا جدوى لها، ولا طائل تحتها، عند سبرها بمحك التحقيق التام، هي في الحقيقة سموم قاتلة، وعورات بادية، وعذرات مُنْتِنَةٍ، حُجِبَ نتنها عن الجهلة اللئام ذوي الأوهام، ثم تشاغلنا بها طول حسرتنا ولهفنا وعظيم حمقنا.

اللهم يا منقذ الغرقى بعد أن يئسوا، أنقذنا من هذا الوحل العظيم، الذي نحن فيه، بلا محنة يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام، وهو رحمه الله زاهد لا يميل إلى الدنيا أصلا، أديب ذو سمة حسنة لا يجافي أحدا، نَصَبَ مجلسا بين العشاءين دائما للرجال، والنساء وراء الحجاب، يعلمهم فيه أحكامَ دينهم، من الفرائض والسنن والفضائل، وما يجب عليهم تركه، ويحرضهم فيه على الحرص، والأخذ بالحظ الأوفر من الدين، والتخلق بأخلاق أهل السنة والحق، في مواساة الفقير، وإغاثة الملهوف، وَقِرَى الضيف، ومجاهدة النفس، وترك الشح والمداهنة، وإظهار الجزع، والانضمام لأرباب الدنيا، وعما يشغل عن ذكر الله تعالى.

وقد أخذنا عنه وأقمنا عنده نحوا من ثلاث سنين أو أربعا، وأسدى إلينا من الخير والفضل والنصح عظيما جزيلا، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا.

وله رحمه الله علينا يد طولى، إذ على يده فتح علينا، [وبها وبقلبه ربانا، ونحن أطفال حِسًّا ومعنى، وأدبنا فأحسن تأديبنا][1]، وسبق إلى قلوبنا خَيْرُهُ، وشملنا بفضل الله فَضْلُهُ، ووعدنا إذ وَدَّعَنَا، وَشَيَّعَنَا وهو راض عنا، أن يقرئنا مختصر خليل، في أشهر قليلة لما رآني أحبه، ثم إنه رحمه الله لم ينشب أن توفي، وهو في سرد صحيح البخاري، وكان يلهج بحديث المصطفى ﷺ حتى خرجت روحه، ولحق بالله في أحسنِ حالات،

(1) ما بين معقوفين زيادة من (ب).

وأطيبِ أوقات، وكانت وفاته رحمه الله في العشرين من رمضان سنة تسع وأربعين بعد مائة وألف.

قال المؤرخ: [الطويل]

أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا بِغَيْبَةِ نَجْمِهَا ... صَوَابِيُّ أَحْمَدُ فَيَا حَسْرَةً لَهَا[1]

أُحِلَّ فِي شِقٍّ وَمُطَّ بِرَمْسِهِ ... بِكَ رَمَضَانُ خُلِّقَنَّ بِخُلْقِهِ

جَزَى اللهُ خَيْرًا الصَّوَابِيَّ أَحْمَدَا ... لِإِحْيَائِهِ الْمَوَاتَ أَرْضًا وَأَعْبُدَا

تَدَارَكَنَا الْإِلَهُ طُرًّا بِلُطْفِهِ ... وَوَفَّقَنَا إِلَى الصَّلَاحِ بِرُشْدِهِ

منهم شيخنا الياقوتة البيضاء، والذهب الإبريز ذو الفنون والقصائد والنظام، السيد الإمام عبد الله بن إبراهيم الرسموكي[2]، أخذ عن الشيخ الصوابي المتقدم، وصحبه بأولاده رحمه الله تعالى حتى توفي، وكان أكبر أصحاب الشيخ الصوابي علما وفهما ودينا، وقد نَصَّبَهُ الشيخ للإمامة في مسجده والدراسة فيه، قرأنا عليه الآجرومية وألفية ابن مالك مرتين، وبعض رسالة ابن أبي زيد في الفقه ومشكلاتها للإمام ابن غازي والتوضيح لابن هشام[3]، أي بعضه، ومن نظمه على ذم النفس:

---

(1) الأبيات نسبها المؤلف لمؤرخ لم يذكر اسمه، أرخ فيها وفاة الصوابي بحساب الجمل، حيث أشار إلى سنة وفاته بكلمتي «شق»و«مط» أي عام 1149هـ كما أشار بكلمة «بك» إلى 22 من رمضان.

(2) عبد الله بن إبراهيم الرسموكي السملالي، تلميذ الشيخ الصواب، وقد وصفه(بالصاحب الوفي الصوفي الحسن الفهم الزاهد الورع النحوي اللغوي الجيد الإدراك في كل فن منقول ومعقول) وكان من المدرسين بالزاوية الصوابية، توفي في ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول عام:(1147هـ). ترجمته في: خلال جزولة:(4/ 42).

(3) التوضيح لابن هشام النحوي(ت 762هـ)، هو شرح على ألفية ابن مالك في النحو، وعنوانه الأصلي:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك).

[الطويل]

تُحَسِّنُ نَفْسِي الشَّيْءَ وَهوَ بِغَيْبِهِ فَمَهْما بَدَا عَايَنْتُ أَقْبَحَ ما يرَى[1]

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّوْمَ فِيهَا سَجِيَّة وَما اسْتَعْذَبَتْ فِي الشَّيْءِ إِلاَّ التَّغَيُّرَا

كَما جُعَلٌ يَلْتَذُّ إِنْ شَمَّ رَوْثَة وَإِنْ شَمَّ مِسْكًا ماتَ مِنْهُ تَحَيُّرَا

وَكُلُّ دَنِيٍّ لِلدَّنَاءَةِ مَيْلُهُ كَما مَيْلُ عَالٍ لِلْعُلوِّ تَخُيُّرَا

فَحَقٌّ عَلَى ذِي الشُّؤْمِ بُغْضُ سَعَادَة وَذِي السَّعْدِ أَنْ يَلْقَاهُ مِنْهُ تَطَيُّرَا

وتوفي رحمه الله قبل شيخه المذكور بنحو أربع سنين.

ومنهم شيخنا الفقير سيدي أبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي[2]، ذو اجتهادات ومعاناة في تدريس العلم وتعليمه، وهو من أصحاب الشيخ الصوابي، صَاهَرَهُ من الجانبين، زَوَّجَ كُلٌّ منهما أُخْتَهُ للآخر، سمعنا منه جل مختصر الشيخ خليل، وحصل بحمد الله بذلك فتح كبير، وبركة عظيمة، فالله يجازيه عنا وعن المسلمين خيرا.

ومنهم شيخنا الرباني الفقيه أبو العباس سيدي أحمد الإبراهيمي[3]، قرأنا عليه صلوات المختصر، من أصحاب الشيخ الصوابي، توفي رحمه الله في ليل، ودفن في ليل. وكان في الليلة التي مات فيها يخاطِبُ ويضاحِكُ، ولا يدري أهله من يخاطبه ويضاحكه، وليس فيه من مرض حينئذ، وقد صلى وِرْدَهُ بعد العشاء، وحضر مجلس

---

(1) لم أقف على هذه الأبيات في مصادر ترجمته.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحسن الحامدي، من علماء سوس في القرن الثاني عشر الهجري. من مؤلفاته: مجموعة في الطب، السيف القاطع الصقيل في الصلاة على النبي ﷺ. ترجمته في: سوس العالمة:(192)، خلال جزولة:(4/ 44).

(3) أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الله الإبراهيمي السوسي، توفي عام:(1135هـ). ترجمته في: طبقات الحضيكي:(1/ 103)، والمعسول:(14/ 281).

العلم إذ ذاك، وأكل العَشَاءَ مع أهله، وعزل عن أهله في مضجعه إذ جاءه اليقين، فانتقل من الشدة، وخرج من السجن إلى رحمة ربه وكرمه: [الرجز]

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ قَوْمًا دَرَجُوا ... وَمِنْ مَضِيقِ سِجْنِهِمْ قَدْ خَرَجُوا

قَدْ كَانَ لِي بِأُنْسِهِمْ سُلْوَانُ سَعَادَة ... وَمَا نَسِيتُ ذِكْرَهمْ إِذْ بَانُوا

[3] / ومن مشايخي رضي الله عنهم: الأستاذ ذو القراءات السبع، والأدب، والفقه، سيدي أبو العباس أحمد بن يحيى الرسموكي[1]، قرأنا عليه صغرى الشيخ السنوسي على العقائد، وكان رحمه الله ذا سِمَة حسنة، وَشِيَمٍ عجيبة، وساد على يده رحمه الله خَلْقٌ كثير، وكان ممن دَرَجَ ولحق بربه في حال طيبة، والله يجازيه عنا وعن المسلمين خيرا.

ومن مشايخي رضي الله عنهم أبو عبد الله محمد الدرعي[2]، رئيس أهل الحق والتحقيق، نزيل مدينة مراكش، سَمَحَ الله في أجله للمسلمين من بركاته، وهو من أصحاب العارف بالله سيد القوم أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه، طريقه المجاهدة والتقشف، كان من العلماء العاملين، نصب نفسه للتعليم والتنبيه، وإليه تنتهي المعضلات والمعوصات في كل فن فيحلها ويوضحها.

ومجلسه في جامع سيدي محمد بن صالح في ناحية باب أغمات[3]، لا يتخلف عنه إلا لعذر فادح، وكانت له عادة وسيرة حسنة في درسه، يُدَرِّسُ فيه مختصر الشيخ خليل أول النهار، درسا كبيرا حسنا تحضره طلبة المدينة، وله درس آخر بعد العصر في ألفية ابن مالك، يحضره أيضا جل الطلبة، وله دروس أخرى.

---

(1) ذكره المختار السوسي في خلال جزولة:(2/ 51) وقال: إنه كتب مؤلفا بعنوان: فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدرعي توفي عام:(1160هـ). انظر بعض أخباره في الإعلام:(6/ 63).

(3) باب أغمات: هو أحد الأبواب المشهورة في مراكش، وهي باب أيلان وباب البغ، وباب الخميس، وباب دكالة، وباب الرب، وباب القصبة، وباب أحمر. انظر السعادة الأبدية:(1/ 60).

وكان رحمه الله يلازم زيارة الشيخ الولي العارف بالله ذي الكرامات، والخوارق، والمقامات الفاخرة، سيدي أبي العباس السبتي[1]، أعاد الله تعالى علينا وعلى المسلمين من بركاته، يزوره في قبره، بزاويته أحيانا صباحا ومساء، صيفا وشتاء، يقصده كل يوم من نحو الميلين، وفي المدينة أعلام ستة، وسيدي أبو العباس سابعهم. عُلِمُوا وَعُرِفُوا في أقطار المغرب بسبعة رجال، فستراهم واحدا بعد واحد، وكل واحد منهم في رسوخه وثبوته كالطَّوْدِ العظيم، والبحر الجسيم، قد رَتَّبَ لهم أهل مراكش مزارا صبيحة يوم الجمعة، يخرج لزيارتهم الرجال والنساء والصبيان، ويرون لزيارتهم بركة عظيمة، وفرجا قريبا عند نزول الشدائد بهم، وكانوا يستسقون بهم فَيُسْقَوْنَ، ويهربون إليهم في الضيق والكرب فَيُكْشَفُ عنهم كل ما بهم، وشوهد ذلك وَعُوينَ.

إياك يا أخي وجحود الكرامات، فإن لأولياء الله تعالى كرامات ظاهرة ثابتة، فلا يسعك النكران عليهم، واحذرهم فإن لهم سموما يسقونها للمعترض عليهم!

[الطويل]

وَكُنْ صَادِقًا فِي حُبِّهِمْ وَمُصَدِّقَا ... بِأَحْوَالِهِمْ وَاحْذَرْ مُخَالَفَةَ الشَّمْسِ[2]

وَلاَ تَسْمَعَنْ مِنْ قَاصِرِ النَّفْعِ فِيهِمُ سَعَادَة ... عَلَى مَنْ يَكُنْ حَيًّا فَذَاكَ مِنَ الطَّلْسِ

---

(1) أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العباس السبتي، متصوف من علماء مراكش، وأحد الرجال السبعة بها، توفي عام: (601هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: (3/ 56)، الإعلام: (1/ 239)، كشف الظنون: (1/ 948)، الأعلام: (1/ 107).

(2) البيتان لأبي عبد الله محمد بن المبارك الهشتوكي المراكشي (ت 1313هـ)، ذكرهما في كتابه المفاخر السنية في الشمائل المهدية، وأوردهما صاحب السعادة الأبدية: (1/ 56).

وهم السبعة:

أبو يعقوب سيدي يوسف بن علي[1] بباب أغمات، ذو الكرامات الظاهرة، والعجائب الشهيرة، والمناقب المشهورة.

والإمام الأعظم قاضي القضاة سيد السادات عياض بن موسى اليحصبي[2] ذو القدم في كل علم، وشهرته في بلاد الله وعباده تغني وتكفي، قد بلغت صيته وذكره وكتبه أقصى بلاد الله تعالى، ومناقبُهُ وفضائلُهُ أكثر من أن تعد وتحصى، وهو بباب أَيْلان.

ثم الشيخ الأكبر الرباني سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي ذو إشارات صادقة، وكرامات باهرة، ومقامات سنية، كان رضي الله عنه يحب المساكين، ويجري عليهم حيا وميتا، ترى الناس رجالا ونساء، / صغارا وكبارا، عاكفين على قبره بلا [4] عدد ورزقهم يأتيهم من كل ناحية في رخاء وغلاء، والناس في القحط يموتون جوعا، والضعفاء والأرامل والعُمْيُ على قبره يأكلون ويشربون من رزق الله تعالى، وذلك بركة الشيخ، والمشاهدة تغني «وليس الخبر كالعيان»[3].

ومناقبه وذكره على ألسنة الناس، والاستغاثة به في البر والبحر تنبئ عن جلالته، وكفى بذلك شهيدا.

---

(1) أبو يعقوب يوسف بن علي الصنهاجي، دفين الغار، أحد سبعة رجال بمراكش توفي سنة:(593هـ). ترجمته في التشوف:(312)، الاستقصا:(2/ 211)، الإعلام:(10/ 311)، السعادة الأبدية:(1/ 70).

(2) عياض بن موسى بن عياض القاضي اليحصبي، عالم أهل المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، وهو أحد الرجال السبعة المشهورين بمراكش توفي سنة:(544هـ). ترجمته في وفيات الأعيان:(1/ 392)، بغية الملتمس:(352)، جذوة الاقتباس:(1/ 277)، الأعلام:(5/ 99).

(3) أورده ابن سعيد الأندلسي ضمن أمثال العرب التي ليست منسوبة إلى شخص معين في كتابه «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» ص(700).

ثم العلم الأعلى، والطود الأسمى، سيدنا الأشرف، مَحمد بن سليمان الجزولي[1]، صاحب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، وفضائله ومناقبه شهيرة لا تحصى ولا تحصر، ومقامه وَقَدَمُهُ في الطريق معلوم، وهو هناك في رياض العروس[2].

ثم يليه تلميذه سيدي عبد العزيز التباع[3]، ذو مقام رفيع، وهمة سامية.

ثم السيد الأسنى مولانا عبد الله الغزواني[4]، في القصور[5].

ثم الإمام الأفخم إمام أهل السيرة النبوية وأهل العربية، أبو القاسم السهيلي[6]، وناهيك بذلك شرفا له، إذ ملئت الدفاتر بذكره، واعتبرت أقاويله، واتبعت تأويلاته، ولزيارتهم ترتيب.

قال قائل في ذلك:

(1) محمد بن سليمان الجزولي، أحد الرجال السبعة بمراكش المعروفين، توفي عام:(870هـ). ترجمته في الضوء اللامع:(7/ 258)، النجوم الزاهرة:(16/ 203)، الإعلام:(4/ 57)، الأعلام:(6/ 15).

(2) رياض العروس:(مكان قبر الجزولي، وهو الآن مسجد أسسه أبو الحسن المريني عام:(715 هـ)، ثم بعد ذلك زاد فيه السلطان المولى إسماعيل عام:(1132هـ)، على الشكل الموجود الآن وأمر بإقامة الخطبة فيه. انظر السعادة الأبدية:(1/ 66).

(3) عبد العزيز بن عبد الحق التباع الحرار من كبار مشايخ مراكش وأحد سبعة رجال بها توفي سنة:(914هـ). ترجمته في سلوة الأنفاس:(2/ 211)، الإعلام:(8/ 413)، السعادة الأبدية:(2/ 360).

(4) عبد الله بن أحمد الغزواني من المشايخ الكبار، وأحد سبعة رجال بمراكش توفي سنة:(935هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس:(2/ 209)، السعادة الأبدية:(2/ 374)، موسوعة أعلام المغرب:(1/ 852).

(5) القصور: مكان ضريح عبد الله الغزواني، عليه مسجد، جدّده الوزير الوطاسي المعروف بالزكندري، انظر: السعادة الأبدية:(1/ 69).

(6) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الإمام المشهور وأحد سبعة رجال بمراكش توفي عام:(581هـ). انظر: وفيات الأعيان:(3/ 143)، نفح الطيب:(3/ 400)، سلوة الأنفاس:(2/ 225)، السعادة الأبدية:(2/ 431).

[الرجز]

يَـا سَـائِلاً عَـنْ سَبْعَـةِ رِجَـالِ فَاصْـغَ لَـهُمْ تَـفُوزُ بِالْكَمَـالِ[1]
مَـنْ زَارَهُـمْ فِي يَـوْمٍ وَاحِـد قَـضَـى إِلَاهُنَـا حَاجَـتَهُ كَـمَـا مَـضَـى
أَوَّلُـهمْ اِبْـنُ عَـلِـيٍّ يَـا فَـتَى قَبْـرُهُ مَعْـرُوفٌ بِبَـابِ غْـمَاتَـى
وَيَلِـي قَـاضٍ عِـيَاضٌ بُعَـيْدَهُ فِي بَـابِ أَيْـلاَنَ هُنَـاكَ قَـبْرُهُ
وَالْعَبَّـاسُ الـسَّبْتِيُّ فِي بَـابِ الْخَمِـيس ثُـمَّ الْجَـزُولِيُّ فِي رِيَـاضِ الْعَـرُوسْ
وَيَـلِـيـهِ الـتَّبَّاعُ لاَ تَـنْـسَاهُ فِـي ثَلاَثَـةِ أَفْحُـلٍ افْهَمَـنْهُ
وَالْغَـزْوَانِيُّ جَـاءَ فِـي الْقُـصُورِ وَالـسُّهَيْلِيُّ فِي بَـابِ الـرَّبِّ يَـا قَـارِي[2]
[هـذَا تَـمَـامُ عَـدَدِ الـرِّجَـالْ زُرْهُـمْ كَمَـا رَتَّبْتُـهُمْ تَـنَالْ][3]

ومدينـة مـراكش مـحفوظة مـحروسة، كثيرة البركـات، مـشحونة بالـصالحين والأولياء العارفين، وأرباب الأحوال القدسية والأنفـاس الزكيـة، والأنـوار الزاهـرة، والأسرار الكاملة.

ومنهم سيد الصوفية إمـام أهل الحق والتحقيق سيدي أحمد ابن العريـف[4]، وقـبره وسط السوق معروف يزار، بُنِيَ عليه مسجد.

---

(1) لم أقف على قائل هذه الأبيات في المصادر.

(2) باب الرب: من أبواب مراكش المعروفة وكان منذ أسس بباب الشريعة لإقامة الحدود فيه، ولهذا يقال لـه الآن: باب الرب. انظر السعادة الأبدية:(1/ 65).

(3) مـا بين معقوفين زيادة من(ب).

(4) أحمد بن محمد بن موسى عرف بابن العريـف، فاضـل شـهر بالـصلاح، لـه مـشاركة في العلـوم ، تـوفي بمـراكش عـام:(526هـ). ترجمتـه في: وفيـات الأعيـان:(1/ 168)، التـشوف:(118)، نفـح الطيب:(3/ 229)، الأعلام:(1/ 215).

ومنهم الفقيه العالم العلامة العامل العارف بالله سيدي عبد الله بن ياسين[1]، المدفون بباب جامع المواسين[2]، وقبره مشهور هناك يزار، وهو الذي صحب الأمير اللمتوني؛ إذ نشر الدين في هذه الأقطار، وَهَذَّبَ البلاد وَوَضَّحَهَا، ورسخ فيها الإسلام، والسيد عبد الله بن ياسين فقيه يعلم الدين، ويشير عليه في الأحكام الشرعية، وهما اللذان أسسا مراكش، وأزالا الشعراء مكانها، قيل: إن سيدي عبد الله قُتِلَ هناك في قتالهما لأهل تلك النواحي لَمَا امتنعوا من قبول دعائم الإسلام.

ومنهم السيد الجليل سيدي ميمون الصحراوي[3]، وغيرهم نفعنا الله تعالى ببركاتهم، فلا يحصرهم العد، ثم من مشايخنا سيدي محمد بن الصغير[4]، وهو عالم جليل ذو تصانيف وقصائد، أديب وإليه تشد الرحال في علوم الحديث والسير، وكنت أحضر عنده في درس بين العشاءين بجامع ابن يوسف بمراكش في سيرة الكلاعي، وكان يحثني عليها إذ ذاك، وهو ممن مد الله في أجله للمسلمين إلى الآن، فالله يحيي به الدين، ويخمد به البدع، ويجازيه عن المسلمين خيرا.

ومن مشايخي هناك أيضا سيدي مَحمد بن الحاج البوعبدلي قاضي المدينة[5].

---

(1) عبد الله بن ياسين الجزولي، الزعيم الأول للمرابطين ومؤسس دولتهم، قتل شهيدا في إحدى الغزوات مع البرغواطيين سنة 451هـ ودفن بجبل كريفلة في قبيلة زعير. ترجمته في: التشوف:(277)، الإعلام:(8/ 183)، السعادة الأبدية:(2/ 366). الأعلام:(4/ 144).

(2) جامع المواسين مسجد بمراكش أنشأه السلطان عبد الله الغالب بالله بن السلطان محمد المهدي السعدي. انظر السعادة الأبدية:(2/ 403).

(3) ميمون بن ياسين الصحراوي الصنهاجي اللمتوني، الولي الصالح دفين مراكش، كان عالما كبيرا وإماما شهيرا، توفي عام:(506هـ)، انظر: الإعلام:(7/ 307)، السعادة الأبدية:(2/ 329).

(4) محمد الصغير بن محمد بن عبد الله بن علي الإفراني المراكشي، مؤرخ أديب توفي بعد:(1155هـ). ترجمته في شجرة النور:(335)، الإعلام:(6/ 50)، السعادة الأبدية:(1/ 198)، الأعلام:(7/ 67).

(5) محمد بن محمد بن الحاج البوعبدلي من فقهاء وقته، ولي القضاء بمراكش، توفي في حدود سنة:(1160هـ). ترجمته في: الإعلام:(6/ 64)، طبقات الحضيكي:(2/ 119).

ومن شيوخنا رضي الله عنهم سيدي وأستاذي وسندي أبو العباس أحمد بن محمد الشهير في بلاد السوس الأقصى والمغرب بالعباسي[1]، وكان رحمه الله تعالى في أسنى المراتب، وأعلى المقامات، ماهرا في علم الفقه، إليه انتهت الرئاسة في الفتوى والمعاملات، يقصده الناس من بلاد بعيدة، ويجتمع إليه فقراء عصره وأكابر جيله، فَيَصِيرُونَ عنده كالأطفال في حِجْرِ مربيهم.

وقد أفنى رحمه الله عمره في التدريس، وأعطى كل نهاره لطلبة العلم، ولا ترى في بلاده متفقها ولا مدرسا إلا وهو تلميذ الشيخ رحمه الله، ولقد نشر الفقه رحمه الله تعالى في بلاده، وله عليهم مِنَّةٌ وَيَدٌ طولى.

وكان رحمه الله ناصرا لدين الله تعالى، متورعا لا يخاف في الله لومة لائم، وكان ذا جاه عظيم، وقدر جسيم، تهابه الجبابرة، وكان أمره في الناس مُمتَثَلاً، فلا يستطيع أحد من الخاصة ولا العامة مخالفته، لما ملأ قلوبهم من جلالة قدره، وجرى على ألسنتهم من محاسن ذكره، وهو ممن نصر الله به الدين، وأحيا به البلدان، ورد الله به أهل الفساد بغيظهم على أعقابهم مُدْبِرِينَ، وَقَدَّمَ به أهل الحق مُسْرِعين، وحضرنا مختصر الشيخ خليل عنده مرارا، والعاصمية على الأحكام[2]، وألفية ابن مالك، وألفية الاصطلاح[3]، والسيرة للزين العراقي[4]، وغير ذلك.

---

(1) أحمد بن محمد بن سعيد العباسي العلامة الجليل، المفتي القاضي، من أكبر علماء سوس توفي سنة: (1152هـ). ترجمته في: الإعلام: (8/ 311)، المعسول: (18/ 414)، خلال جزولة: (4/ 38).

(2) العاصمية: أرجوزة في الفقه المالكي عنوانها: «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام» من نظم محمد بن محمد ابن عاصم القيسي الغرناطي توفي عام (829هـ). شرحها جماعة من العلماء، كالتاودي بنسودة ومحمد ميارة وغيرهما.

(3) ألفية الاصطلاح: يعني بها ألفية العراقي في أصول الحديث، وقد لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، وعنوانها هو: التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح.

(4) زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي صاحب ألفية علوم الحديث، وألفية في السيرة النبوية توفي عام: (806هـ). ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب: (2/ 720).

ولازمته منذ أربعة أعوام فأكثر في الحضر والسفر، وتوفي رحمه الله وأنا مسافر للحج، وبلغنا خبر وفاته في إفريقية ونحن قَافِلُونَ من الحج متوجهين إلى بلادنا، فالله تعالى يعيد علينا وعلى المسلمين من بركته، ويجازيه عنا وعن المسلمين خيرا.

ومنهم السيد الكامل صاحب الكتب المشهورة نظمها بلسان العجم، وصارت في البلاد ينتفع بها فقراء العجم وطلبتهم، نفعا تاما، أبو عبد الله محمد بن علي الإندوزالي[1]، نسبة إلى قبيلة من قبائل سوس الأقصى، وهو ممن أخذ الطريقة عن العلم الأعلى سيدي أبي العباس أحمد بن محمد الدرعي[2]، نفعنا الله ببركاتهم، ورزقنا محبتهم، وكان ممن سمح الله تعالى في أجله، وفسح فيه للمسلمين.

ومنهم الشيخ المدرس شيخ المشايخ سيدي عبد الكريم الزيادي ثم المنبهي[3]، توفي رحمه الله تعالى ونحن في طريق الحج، وله تلاميذة كثيرة.

ومنهم الشيخ الجليل شيخ الطريقة، وإمام الحقيقة، سيدي الحسين الشرحبيلي[4]، تلميذ أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، وكان يقال: إنه لم يرث عِلْمَ الشيخ أبي العباس وَسِرَّهُ غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريقة، وظهر للناس بعد الشيخ، وقام مقامه، واشتهرت بركته، وانتشرت نفحاته في الناس والبلاد، وَأُحْيِيَتْ به

---

(1) أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الإندوزالي، شيخ جليل ناصري الطريقة، درس بتامكروت ثم بمساجد قبيلة إندوزال حتى توفي عام:(1162هـ)، له تآليف مختلفة بالأمازيغية. ترجمته في الإعلام:(1/ 191)، سوس العالمة:(191)، معلمة المغرب:(2/ 600).

(2) سبقت ترجمته في ص:(60).

(3) لم نقف على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

(4) الحسين بن محمد بن علي الشرحبيلي الدرعي، متفنن في العلوم العقلية والنقلية، من تلامذة ابن ناصر الدرعي، توفي بسوس الأقصى سنة:(1142هـ). ترجمته في خلال جزولة:(4/ 40)، موسوعة أعلام المغرب:(5/ 2029).

السنن والعباد، فيا له من فضل وعنايات، ظَهَرَ فُقْدَانُ ذَلِكَ يَوْمَ مات، وله رحمه الله تعالى ونفعنا به تآليف، وكان له قدم راسخة في العلوم الظاهرة والباطنة، وكراماتٌ ظاهرة، وخوارق باهرة، وكانت جبابرة زمانه وملوكهم تهابه، وَتَرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ عند ملاقاتهم له، ويخضع له كل متكبر جبار إذا رآه، فلا يجاوز أَمْرَهُ وَحَدَّهُ، وشهرته في البلاد والعباد تغني عن سرد مناقبه، وقد شاع وذاع ذكره في الناس، حتى إن النساء والصبيان والعامة لا يحلفون إلا باسمه، لما في قلوبهم له/ من الاحترام والإكرام، [5] رزقنا الله وإياكم بركته ومحبته آمين.

زرته حيا وهو على جناح السفر ببلدنا، واختليت معه في خبائه، وكنت حينئذ في سن البلوغ، فطلبت منه الوِرْدَ فقال: إنك طالب متعلم فلا يُلْهِينَكَ عن القراءة، ودعا لي فوجدت لدعائه بركة عظيمة، ثم بعد ذلك زرته في قبره رضي الله عنه، وأضاءت أنواره، وسرت أسراره في الناس على رغم أنوف الكفار والحسدة، واستنشقت الدنيا نفحاته، وتزخرفت بحياته، وافتخرت الأرجاء بطلعته، فلا جرم أنه من رجال الله وعرائسه وخلائفه في أرضه، نفعنا الله ببركاتهم ومحبتهم أجمعين آمين.

قال الشيخ عبد العزيز الدفريني[1] في منظومته: [الرجز]

مَشَايِخًا صَحِبْتُهمْ زَمَانَا ... أَوْ زُرْتُهُمْ تَبَرُّكًا أَحْيَانَا

مَشَايِخِي الْأَئِمَّةُ الْأَبْرَارُ ... وَإِخْوَتِي الْأَحِبَّةُ الْأَخْيَارُ

أَرْجُو بِذِكْرِهِمْ بَقَاءَ الذِّكْرِ ... لَهُمْ وَفَوْزِي بِجَزِيلِ الْأَجْرِ

فَإِنَّهُمْ عَاشُوا بِأُنْسِ الرَّبِّ ... سِرًّا وَذَاقُوا مِنْ شَرَابِ الْحُبِّ

فَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَعِيمِ الْحَضْرَةِ ... وُجُوهُهُمْ فِي نَضْرَةٍ مِنْ نَظْرَةِ

---

(1) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر.

وَكُلُّ شَيْخٍ نِلْتُ مِنْهُ عِلْمَا وَأَدَبًا فَهْوَ إِمَامِي حَتْمَا

وَكُلُّ شَيْخٍ زُرْتُهُ لِلْبَرَكَة فَقَدْ وَجَدْتُ رِيحَ تِلْكَ الْحَرَكَة

وَقَدْ عَدَدْتُ مِنْهُمُ جَمَاعَة اشْتَهَرُوا بِالْفَضْلِ وَالْبَلاَغَة

وَمَا سَكَتُّ عَنْ سِوَاهمْ صَدّا وَلَمْ أُطِقْ حَصْرَ الْجَمِيعِ عَدّا

فهؤلاء يا أخي أخذوا بالحظ [الأوفر][1]، وشربوا بالكأس الأكبر، وخاضوا في البحر الزاخر، وصاروا مع ربهم في حضرته وأنسه، وبقينا بعدهم دونهم لاعبين مخلفين [الرجز]

وَقَدْ بَقِيتُ بَعْدَهمْ فَرِيدا مُخَلَّفًا عَنْ رُفْقَتِي وَحِيدا

ومنهم الشيخان سيدي إبراهيم بن محمد[2]: من أولاد العامل العالم الصالح العارف بالله سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي[3]، وهو رضي الله عنه ذو سر ظاهر، وبركة ناشرة، والسيد [الأجل][4]، الزاهد الحاج، متصوف زماننا، وبركة جيلنا، شيخنا وسيدنا محمد بن يحيى الشبي[5]، نسبة إلى بلدته سميت بالشبِّ[6]، وهما أي الشيخان

---

(1) زيادة من النسخة(ب).

(2) إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي من أصحاب الشيخ أحمد الصوابي في سوس. ترجمته في: خلال جزولة:(4/ 45).

(3) عبد الله بن يعقوب السملالي توفي عام (1052هـ)، وهو الجد الأعلى للأسرة اليعقوبية الأدوزية السملالية في سوس، له أجوبة فقهية. ترجمته في المعسول:(5/ 5)، خلال جزولة:(2/ 49)، دليل مؤرخ المغرب:(1/ 48).

(4) زيادة من النسخة(ب).

(5) محمد بن يحيى الشبي حكيم العلماء ذكر في الإعلام:(6/ 82).

(6) الشب: منطقة حيال جبل أوراس مما يلي شرقه، بها جموع وبطون قوية. انظر: قبائل المغرب:(418).

الآن ركنا الدين في هذا الساحل وإليهما أمر الناس في شأن دينهم ودنياهم، يُـزَارَانِ في كل وقت وحين، ويرشدان الخلق للدين، ويحذرانهم عن المخالفة والمعاصي، فوجد الناس لأمرهما بركة وقبولا، فالله يجازيهما عن الإسلام خيرا، ويمد في أعمارهما نَصْراً لدين الله وطاعته.

ومنهم السيد الخير الدين الناصح سيدي أبو القاسم بن عبد الله الشبي[1]، وكان رجلا يسافر بين الناس، ويصلح بينهم.

ومنهم أستاذ بلادنا الساحلية أبو مسعود سيدي سعيد بن سيدي عبد الرحمن الشبي أيضا[2]، توفي رحمه الله، وهو راجع من الحج في الظهرة[3]، اسم لبلاد باردة، فيها ثمان مراحل أو تسع، وقد قطعناها في إحدى عشرة مرحلة، إذ كاد يموت الناس فيها بالبرد والثلج، أقمنا فيها نحو ثلاثة أيام لشدة البرد والثلوج، ومات رحمه الله تعالى، وقد بقي لنا لزاوية سيدي علي بن سامح[4]، فوق جبل درنة[5]، مرحلة ونصف، فغسلناه أنا وصاحب له من تلامذته، وصلينا عليه، وحملناه إلى تلك الزاوية، تنفيذا لوصيته رحمه الله، وقبره بإزاء قبة الشيخ سيدي علي بن سامح، أعاد الله علينا من بركاتهما، وهو ممن رافقناه وصحبناه من بلدنا للحرمين الشريفين، وجاور فيهما هو ومن معه سنتهم، وأنا بمصر، وهنا انتهى ذكر من ذكر من الأشياخ، ولا أطيق حصرهم، رزقنا

(1) لم أقف على ترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(2) لم أقف على ترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(3) الظهرة: منطقة جبلية باردة فيها مجرى نهر شلف وتطل على البحر فاصلة قبائل صنهاجة وكتامة. انظر قبائل المغرب:(338)، معلمة المغرب:(17/ 5820).

(4) من العلماء العالمين والأولياء الصالحين المدفونين في منطقة درنة.

(5) درنة: منطقة بجبال جرجورة بالمغرب الأوسط، وإليها أضيف الجبل المذكور. انظر قبائل المغرب:(309).

الله وإياك محبتهم، وحشرنا وإياك في زمرتهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولنشرع في ذكر من لقيناه في سفرنا للحج، وبعض مراحله، والله المستعان، وعليه التكلان، فأقول: لما تهيأ الناس وَعَوَّلُوا على الخروج للحج سنة اثنين وخمسين ومائة وألف، وكنت مع أصحاب لي وقتئذ نتذاكر في مسائل من العلم في بلدتنا ترسواطة[1] بوادي لكوسة[2]، لا يخطر لنا السفر للحج ببال، لِعَدَمِ النَّفَقَةِ إلا أني كنت أدعو وَأَلْهَجُ بزيارة النبي ﷺ قبل ذلك: [البسيط]

إِنِّي مَشُوقٌ إِلَى أَرْضِ الْبَقِيعِ عَسَى ... أَرَى ضَرِيحَكَ مِنْ قَبْلِ انْقِضَا أَجَلِي[3]

فبينما نحن كذلك جلوس نتذاكر إذ جاء الخبر، أن ابن عم لي كان ممن تهيأ للسفر، وَأَعَدَّ له من كل ما يحتاج إليه في طريقه من زاد وَمَرْكَبٍ، وقد نزلت به الحمى من عند الله تعالى، ووعك وَعْكاً، واهتم بالقعود، فأرسلت إليه ساعتئذ أن ادفع لي النفقة فَأَنْخَلِعُ لك من مالي، ففعل.

فارتحل الناس وارتحلنا معهم في الثالث من يومنا ذاك، وقد سَهلت بحمد الله الأمور، وانشرحت بحكمة الله الصدورُ، وفاحت نَسِيمٌ بالسرور والحبور، وأسفرت السرائر والوجوه عن مثل البدور، وَافْتَرَّتِ الأحبة عن مثل حب الغمام بِالْعُبُورِ،

---

(1) ترسواطة: حوض واسع جنوب مركز تافراوت ضمن قبائل أمانوز، تستقطب الأسر العلمية تركت بصماتها في تاريخ الحركة الفكرية بسوس. معلمة المغرب:(7/ 2325).

(2) وادي لكوسة: لعله أحد أنهار المنطقة الجنوبية التي عاش فيها المؤلف، وهو نهر صغير غير واد لكوس المشهور الذي يصب بالعرائش.

(3) البيت من قصيدة أم هانئ المعروفة، ومطلعها: [البسيط]

ما للمساكين مثلي مكثري الزلل ... إلا شفاعة خير الخلق والرسل

ودمعت الأعين فرحا، وتناثرت منها مثل خرزات الجمان والبلور بالحبور، واضمحلت الأحزان والأغيار، وتلاشت الأوهام والأكدار، وجاء الحق وزهق الباطل[1]، فما له من آثار، وثبت الحق مكانه فيا له من قرار، وتهللت الوجوه كالأزهار بالأفراح، وتذكرت القلوب مواطن الصلاح والفلاح، وموضع بيت الله الحرام، ونبي الله عليه الصلاة والسلام، مهبط الوحي، ونزول القرآن، ومأوى الأخيار والحكمة والتبيان، ومنبع الأسرار والأنوار، وبغية الأولياء والأبرار، فاستعنا بالله، واستقبلنا بيت الله ونبي الله فأنشدت[2]: [الخفيف]

وَعَدَتْنِي ازْدِيَارَهُ الْعَامَ وَجْنَا ... ءُ وَمَنَّتْ بِوَعْدِهَا الْوَجْنَاءُ[3]

أَفَلاَ أَنْطَوِي لَهَا فِي اقْتِضَائِـ ... ـهِ لِتُطْوَى مَا بَيْنَنَا الْأَفْلاَءُ[4]

فركبنا بحمد الله تعالى وشكره على ما ألهم من الهدى، وأسبغ من العطاء وأسبل من الغِطاء، ونعوذ بالله من نقل الخُطُوات إلى خِطَطِ الخطيئات، ومن سَوْقِ الشهوات إلى سُوقِ الشبهات. اللهم إنا نستوهب منك توفيقا قائدا إلى الرشد، وتحقيقا قائدا إلى القصد، اللهم حقق لنا هذه المنية، وأنلنا هذه البغية بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ.

فلما استوينا على متن الطريق، توادعنا مع الأهل والأخلاء، واستحللنا كل مظلمة/ منهم علينا للأموات والأحياء، وتبركنا بزيارة صالحي وادينا اللكوسة [6]

(1) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾. سورة الإسراء: الآية 81.

(2) البيتان للإمام البوصيري في ديوان شعره: (18) من قصيدته الهمزية المشهورة في مدح النبي ﷺ.

(3) الوجناء: الأرض الغليضة الصلبة. اللسان: وجن.

(4) الأفلاء: (جمع فلا الذي هو جمع فلاة وهي الأرض المستوية التي ليس فيها شيء. اللسان: مادة فلو).

واستغفرنا لهم، وتوسلنا بهم إلى الله أن هدانا السبيل، ثم رجال كرسيفة[1]، نفعنا الله بزيارتهم، فنزلنا يومنا ذلك بلدة بنارة[2]، ثم تزلغت، ثم السكتانة[3]، ونزلنا جوار المجير الذي لا تخفر ذمته[4] وجواره شيخنا السيد حسين الشرحبيلي[5]، من أئمة الطريقة التي تقدم ذكرها بصنهاجة، وزرناه في قبره هناك، وهو رضي الله عنه شيخنا في الطريقة الشاذلية التي هي أفضل وأعظم الطرق كما نص عليه علماء ذلك الشأن، وقالوا: أصح الطرق إلى الله وأقومها الطريقة الشاذلية، والطريقة القادرية، وليس لهما ثالثة، أخذها رحمه الله تعالى عن شيخه أبي العباس سيدي أحمد بن محمد الدرعي، [والسيد أحمد عن أبيه، عن أحمد بن علي الدرعي، عن أبي القاسم الغازي الدرعي][6]، عن أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي، عن أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني[7]، عن شيخه أبي العباس أحمد زروق[8]، عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي[9]، عن أبي

---

(1) كرسيفة: (أكرسيف قرية بقبيلة أمانوز في الأطلس الصغير، قرب تافراوت، بإقليم تيزنيت). معلمة المغرب: (20/ 6790).

(2) بنارة وتزلغت: من مناطق سوس بجنوب المغرب.

(3) سكتانة: (منطقة كبيرة بجبل جزولة (الأطلس الصغير) ولها دور مهم في تاريخ المنطقة لموقعها المتحكم في الممرات الطرقية). معلمة المغرب: (15/ 5018).

(4) لا تخفر ذمته: لا ينقض عهده، ولا يغدر. اللسان: خفر.

(5) الحسين بن محمد ابن شرحبيل الدرعي العالم الصالح له عدة مؤلفات توفي بزاوية سوس الأقصى سنة: (1142هـ). ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب: (5/ 5018).

(6) [. .] ما بين معقوفين زيادة من (ب).

(7) أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الذي انتسبت إليه الطائفة اليوسفية، الرجل الصالح توفي عام: (927هـ). ترجمته في سلوة الأنفاس: (2/ 188)، موسوعة أعلام المغرب: (2/ 842).

(8) أحمد بن أحمد زروق، فقيه محدث صوفي، غلب عليه التصوف وله عدة مؤلفات توفي عام: (899هـ). ترجمته في: الضوء اللامع: (1/ 222)، شذرات الذهب: (7/ 63)، الأعلام: (1/ 91).

(9) أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي شيخ أحمد زروق، وكان ينكر على ابن العربي بعض الأمور). ترجمته في: طبقات الشاذلية الكبرى: (114)، وفهرس الفهارس: (1/ 317).

الحسن علي القرفي[1]، عن تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري[2]، عن شيخه أبي العباس المرسي[3]، عن شيخه أبي الحسن الشاذلي[4]، عن شيخه عبد السلام ابن مشيش[5]، عن شيخه سيدي عبد الرحمن المدني ابن الحسن الشريف الشهير بالزياتي[6]، عن القطب تقي الدين الفقير[7]، عن القطب نور الدين أبي الحسن علي، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين الغزواني عن القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري، عن القطب أحمد المرواني، عن القطب سعيد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب جابر، عن أول الأقطاب الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

أثبتنا هذه السلسلة في هذا المحل رجاء فيض بركة مَنْ ذُكِرَ فيها من الأشياخ علينا، وَصَلَ الله حبلَنَا بحبلهم، ورزقنا وإياك محبتهم.

---

(1) أبو الحسن القرفي لم أجد له ترجمة.

(2) أحمد بن محمد ابن عطاء الله الإسكندري، متصوف شاذلي من العلماء، من أهم مؤلفاته الحكم العطائية وغيرها كثير توفي عام:(709هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة:(1/ 273)، كشف الظنون:(1/ 675)، الأعلام:(1/ 222).

(3) أحمد بن عمر المرسي أبو العباس، فقيه متصوف من أهل الإسكندرية توفي عام:(686هـ). ترجمته في: النجوم الزاهرة:(7/ 371)، الأعلام:(1/ 186).

(4) علي بن محمد بن خلف المنوفي الشاذلي أبو الحسن من فقهاء المالكية، له تصانيف مختلفة توفي عام:(807هـ). ترجمته في: شجرة النور الزكية:(272)، نيل الابتهاج:(1/ 212)، الأعلام:(5/ 11).

(5) عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر الحسني من أقطاب التصوف بالمغرب اشتهر برسالته:«الصلاة المشيشية» وعليها عدة شروح، توفي عام:(622هـ). ترجمته في: جامع كرامات الأولياء:(2/ 29)، طبقات الشاذلية:(58)، الأعلام:(4/ 9).

(6) عبد الرحمن المدني العطار، الملقب بالزيات، لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة، توفي في القرن الخامس الهجري). ترجمته في: جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية:(60- 61).

(7) تقي الدين الفقير النهروندي الواسطي العراقي المتوفى ببلدته نهرونـد من أعمال واسط بالعراق عام:(594هـ). ترجمته في: جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية:(61).

ثم لما قضينا زيارته، ارتحلنا ومررنا في ذلك اليوم على قبر ولي الله تعالى ابن وسْعدن[1]، وزرناه، ونزلنا بلاد ورزازات وهسكورة بعد أيام، ثم من هسكورة، ونزلنا وادي دادس[2]، وأقمنا فيه أياما ننتظر أهله.

فلما تهيأوا ارتحلنا معهم، ونزلنا تَدْغُوت[3]، ثم منها بتنا ببلدة أَفْرْكْرَا[4]، ثم منه ونزلنا بعد يومين سجلماسة ذات قرى كثيرة، وأسواق ومياه ونخيل وفواكه ومزارع، وأقمنا فيها نحوا من خمسة عشر يوما ننتظر خروج أهلها، وأمير الركب منها يخرج، ولم نجد في تلك البداوة حَمالة الحاج، فاشترى الناس إبلهم وأزوادهم، وما احتاجوا إليه في طريقهم إلى مدينة طرابلس[5].

ثم اعلم أيها الأخ أن من الأهم في ذاك الطريق أن تستعد وتختار أصحابا أمناءَ أقوياءَ أصحاءَ تعاشرهم ثلاثة وأنت رابعهم، وفي الحديث: «التمس الرفيق قبل الطريق»[6]، ومرافقة الأخيار وصحبتهم سُنَّة العقلاء، ولك أن تصرف دراهمك

---

(1) كان الشيخ محمد بن وسعدن من أكابر رجالات سوس في القرن العاشر، ومن شيوخ التصوف وقد بلغ طلبته سبعمائة طالب توفي أواخر القرن العاشر الهجري حوالي سنة: (987هـ)، انظر: دوحة الناشر: (102)، سوس العالمة: (159)، خلال جزولة: (3/ 153)، موسوعة أعلام المغرب: (2/ 937).

(2) وادي دادس: اسم أحد الروافد الرئيسية لنهر درعة، ينبع من الأطلس الكبير الأوسط، انظر: معلمة المغرب: (12/ 3899).

(3) تدغوت: عربت إلى تدغة، وهو مدشر قديم يقع على الطريق الواصلة بين تافلالت ومراكش، ومن ثم عرفت طوال التاريخ، كمرحلة رئيسية في تلك الطريق وسوق جهوي هام يلتقي فيه أهل دادس وأهل درعة بقبائل آيت سدرات وأيت عطا. انظر معلمة المغرب: (7/ 2308).

(4) افركرا: من مناطق الجنوب المغربي باللهجة الأمازيغية، لم أقف عليها في المصادر.

(5) طرابلس: من مدن إفريقية وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر، وبينها وبين سرت عشرة مراحل، انظر: الروض المعطار: (389).

(6) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير (4/ 319) بلفظ: «التمسوا الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه أبان بن المحبر وهو متروك». انظر مجمع الزوائد (8/ 164).

بالذهب فإنه هناك أرخص تَبْراً ومسكوكا مما اسْتَقْبَلْتَهُ إلى بلاد الشرق، وفيه فائدتان:

الأولى أنه يروج في كل بلد أمامك، وتصيب به غرضك حيث كنت وكيف شئت، بخلاف هذه الدراهم الإسماعيلية، وكذا الصغائر الرحمانية الآن، فرواجها في عمالة المغرب، فإذا خرجت منها فلا تروج إلا ببخس.

والفائدة الثانية: أنك إذا صرفتها ذهبا، تبرا كان أو مسكوكا خف عليك حمله، تشده على بطنك، أو تعلقه على جنبك فلا يثقلك، إذ من أهم الأمور أن تصاحب نفقتك، ولا تفارقها طرفة عين في الحركات والسكنات مخافة السراق، وتدفعه أيضا في بلاد الشرق، بأكثر مما أخذته به هناك، ولك أيضا أن تشتري العطرية، والكحل، والشب، والكبريت، والمشط، والمرآة، والجلود المدبوغة الحمر والصفر، والنعال، فإنك ستلقى العرب رجالا ونساء يسألون عن ذلك، ومعهم اللحم، والخضر، والفواكه، والسَّمْن، واللبن، وغير ذلك يدفعونه في العطرية، ولا تنال غرضك منهم إلا بها، ولكن اتق الله يا أخي فلا تَبِيعَنَّ شيئا من ذلك للنساء المفتنات، واحذر ما تفعله عامة الحجاج وسفلتهم من مخالطتهم مع نساء العرب، ومعاملتهم لهن، واختلائهم بهن، ومضاحكتهم مَعَهُنَّ إياك! وارتقب الشاهد ربك الذي﴿لا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1].

واذكر ما خرجت إليه، وَمَنْ أنت في قَبْضَتِهِ، ولا تعصه، فإن نساء العرب لا حياء في وجوههن إذا خرجن للقاء الحجاج، يتبرجن بزينتهن، ويفرحن بلقائهن، ولا يبالين، وَتَحَرَّ الرجال والعجائز اللواتي لا أَرَبَ[2] فيهن للرجال بحاجتك، وَأَفْضَلُ

---

(1) البقرة الآية: 254.

(2) الأرب: الحاجة. اللسان/ أرب.

مركوب في ذلك الطريق البغلة القوية السَّيَّارة، تريح بدنك عليها، ونفقتك معك، تركب متى شئت، وتنزل كذلك، وتصلي صلواتك في أوقاتها، تسير النجاءَ مع كل هوجاء، وإذا نزلت منزلا أو وردت مَنْهَلاً اختلست اللبث[1]، ولم تطل المُكْث، ثم إن بها مشايخ زرناهم منهم:

شيخ المشايخ وإمام الطريقة سيدي الغازي وشيخه سيدي علي بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، ونفعنا ببركتهما وتقدم ذكرهما في السلسلة، وشيوخ آخرون زرناهم هناك في قبابهم.

وفيها شيخ من شيوخ الوقت عظيم الشأن والقدر، طويل الباع في علوم الشرع، وله يد بيضاء في علوم القراءات، يزوره الناس من بلاد بعيدة، ملازم للخلْوَةِ لا يخرج منها إلا أحيانا، خضعت له رقاب الجبابرة والعامة، وَسَلَّمَتْ له العامة والخاصة في العلوم والعمل، وَنُشِرَ صيته في الغرب والشرق، وصار في نواحي الغرب فريدا وحيدا، بعلوم الحقيقة والشريعة، وظهرت لنا منه حين جالسناه سِمَةٌ عجيبة، وفاحت منه ريح ذكية طيبة، وقرأ عليه صاحبنا سيدي سعيد أستاذ ساحلنا الفاتحة، وأقام لسانه فيها في حروف، فمن ثَمَّ تُعْلَمُ جلالَةُ هذا الشيخ، وتمهره في علم القراءات، مع أن السيد سعيد هذا قد سُلِّمَ له في القراءات في بلادنا الساحلية، وباسطنا نفعنا الله به في المجلس، وَسَارَّنَا[2] بكلام يدل على مكاشفته وكرامته، وفشا على ألسنة أهل سجلماسة أنه كان من تلامذة الْبَقَرِي[3]، أستاذ مصر، يُجَوِّدُ القرآن في جامع الأزهر بمصر، وهو في بلده سجلماسة، والبقري في داره بمصر، وسألنا عن ذلك، ولم نسمع من ينكره منهم، بل

---

(1) اللبث: المكث. اللسان/ لبث.

(2) ساره مسارة: أعلمه بسره. اللسان/ سرر.

(3) محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري الشناوي، مقرئ، فقيه شافعي من أهل القاهرة، توفي عام (1111هـ)، انظر: تاريخ الجبرتي:(1/ 66)، معجم المطبوعات:(1/ 574)، الأعلام:(7/ 7).

قالوا: إن له درسا في العلوم، في جامع الأزهر بمصر، نصب فيه مجلسا لا يتخلف عنه، وهو رضي الله عنه نحيف الجسم، في سن الشيخوخة، والله يرزقنا وإياك صحبة أوليائه، ويحشرنا في زمرتهم، وودعنا رضي الله عنه وشهرته بابن الحبيب، واسمه أحمد بن الحبيب[1]، فلما خرج أمير الركب مولانا الشريف، خرج الناس معه رَامِينَ ببلادهم وراء ظهورهم، والفيافي والفجاج أمامهم، وارتحلنا / من سجلماسة، ونزلنا [7] القنادسة[2]، بلاد ذات نخيل وأشجار، بعد أيام خمسة، ثم منها إلى بلاد فكيك، بنحو خمسة أيضا، وهي ذات قرى كبيرة، ونخيل وفواكه، ترخص فيها الثياب، وفيها قباب شيوخ، زُرْهُمْ تحظ ببركاتهم، وهي من عمالة المغرب، ثم ارتحلنا منها فنزلنا بَاسَمْغُون[3]، بلاد ذات أشجار ومياه، سميت باسم شيخ حل فيها، وهناك قبره يزار، نفعنا الله به ورحمه. ثم منها فنزلنا قرية يقال لها: الغاسول[4] بعد أيام، وَتَسَوَّقَ الناس مع العرب، وهناك دفعنا جملين اشتريناهما بسجلماسة وهزلا، في جمل قعود[5].

ثم ارتحلنا ومررنا على قرية صغيرة يقال لها: النخيلة[6]، فيها مسجد معظم ومحترم على يسار الذاهب، ويمين الراجع، يرتحل إلى زيارته الناس من بلاد بعيدة، كان مأوى

---

(1) الشيخ العارف الشهير أحمد بن الحبيب البكري الصديقي الفلالي اللمطي توفي عام:(1195هـ)، انظر: موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2423).

(2) القنادسة: تقع داخل التراب الجزائري، قريبة من مدينة بشار، وحوالي 125 كلم جنوب غرب فكيك، وكانت تسمى العوينة أو عوينة القنادسة، نسبة للشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي، الذي أسس بها زاوية القنادسة، انظر: قبائل المغرب:(58)، معلمة المغرب:(20/ 6683).

(3) لم أقف عليها في المصادر.

(4) الغاسول: قرية بضواحي تلمسان في الجزائر، استولى عليها الأمير العلوي محمد بن الشريف. انظر الاستقصا للناصري:(6/ 30، 32).

(5) القعود من الإبل: ما أمكن أن يركب. اللسان/ قعد.

(6) النخيلة: مدينة صغيرة من مدن إمارة برغواطة، خربت ولم يبق منها إلا بعض الآثار كبقايا الأسوار، وصومعة كانت وسط مسجد. انظر معلمة المغرب:(22/ 7424).

الصالحين، ومجمع الأولياء، ولم تُقَدَّرْ لي زيارته ذاهبا وراجعا لبعده عن الطريق، غير أني أدعو إذا حاذيناه. ونزلنا وادي الشبُور[1]، بعد مراحل، واد كبير جار بالماء صيفا وشتاء، وغيضته الطرفاء[2]، وهناك جبل قطعه هذا الوادي قيل: إن أبا يزيد البسطامي[3]، المتصوف المشهور مدفون غربي ذلك الجبل، والله تعالى يجمعنا وإياه في رحمته ورضاه، وينفعنا ببركاته دنيا وأخرى. وفي ذلك الجبل جبل من الملح على طريق الحاج، تراه جروفا بيضا يسيل، وكانت الحجاج يأخذون منه الملح.

ونزلنا بعده قرية يقال لها: عين ماضي[4] فيها أجنة[5] تين وعنب، محفوفة بالحوائط والزروب، وللقرية كذلك سور ممنوع، ونساؤها يرعن بالحسن والجمال إياك ثم إياك يا أخي أن تدخل القرية! وَالْزَمْ منزلك وخباءَك، واغضض بصرك، فإنهن يفتن من رمقهن، ويخرجن للتسوق مع الحاج في منزله، ولا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالبا إلا النساء، ولقد افتتن بهن عامة الحجاج، إذ نزلنا بها والعياذ بالله من فتنة الأهواء، واتباع الشهوات، ولبعض أهلها نوع من مخالطة العلم، وأنت ترى نساءهم كذلك متبرجات بزينتهن، لا حياء معهن ولا دين، متغلبات عليهم، وَحُكِيَ أنهن لا يصلين أصلا، ولا يغتسلن من الحيض، ولا من الجنابة، مخافة من الماء، مع أنهم ادعوا الشرف.

---

(1) واد الشبور: واد يقع في الأراضي الجزائرية.

(2) الطرفاء: شجر من العضاة، وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب. اللسان: مادة طرف.

(3) طيفور بن عيسى البسطامي أبو يزيد، زاهد مشهور، له أخبار كثيرة توفي عام:(261هـ)، انظر: حلية الأولياء:(10/ 33)، وفيات الأعيان:(1/ 240)، طبقات الصوفية:(67)، الأعلام:(3/ 235).

(4) عين ماضي: منطقة توجد بتلمسان، انظر: الخبر في الاستقصا للناصري:(6/ 30، 32).

(5) أجنة وجنان جمع جنة: الحديقة ذات الشجر والنخل. اللسان: مادة جنن.

وارتحلنا منها ومررنا بالغد على قرية ذات نخيل، ومياه وفواكه، على يمين الطريق، يقال لها: الأغواط[1]، ثم بعد يومين أو ثلاثة نزلنا ماء، بواد في حد مسافة وعرة تعرف بعبد المجيد.

وبعدها نزلنا وادي سيدي خالد، ذو نخيل كثيرة ومياه، وفيه مسجد ومنارة، وبإزائه قبر سيدنا خالد قيل: إنه نبي الله خالد بن سنان[2]، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقيل: إنه من رسل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الذين أرسلهم للقبائل ليبلغوا رسالة أرسلها إلى قوم فقتلوه، ودفن هناك، وقيل غير ذلك، وكان مزارا عظيما، نفعنا الله ببركاته آمين.

ثم سرنا غير بعيد، فإذا بقرى كثيرة ونخيل، فلما دَنَوْنَا هناك فإذا بالخيل والرجال تخرج من خلالها متسلحة، تركض نحونا، فاجتمع الركب، وَنَصَبَ العَلَّامُ[3] الرايَةَ، وتأهب الناس لقتالهم، فلما رأونا كذلك، رجعوا خاسئين صاغرين، وبتنا في خلاء.

ثم مررنا في الغد على قبر خُلْوَةِ الشيخ العلامة الهمام سيدي عبد الرحمن الأخضري[4]، فزرناه في قبره رحمه الله ونفعنا به، وجاوزنا ذلك اليوم، على بلاد كثيرة النخيل والأشجار، في شمال الطريق تعرف بالزاب[5]، وبتنا في خلاء بينها وبين مدينة

---

(1) الأغواط: قرية بضواحي تلمسان استولى عليها السلطان العلوي محمد بن الشريف، انظر: الاستقصا للناصري:(6/ 30، 32)، قبائل المغرب:(137).

(2) خالد بن سنان العبسي: حكيم، من أنبياء العرب في الجاهلية، يدعو الناس إلى دين عيسى عليه السلام، وله أخبار كثيرة. ترجمته في: الإصابة:(1/ 466)، تاريخ الخميس:(1/ 199)، الأعلام:(2/ 296).

(3) العلام: رجل فارس يتقدم ركب الحاج ليستكشف الطريق والتأكد من سلامتها.

(4) عبد الرحمان بن محمد الأخضري من أهل بسكرة وصاحب (السلم المرونق) أرجوزة في المنطق، توفي عام(983هـ). انظر: كشف الظنون:(2/ 998)، معجم سركيس:(406)، الأعلام:(3/ 331).

(5) الزاب: أرض واسعة على أطراف الصحراء بها مدن كثيرة، منها: المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة. انظر: معجم البلدان:(3/ 123)، الروض المعطار:(281).

بسكرة، على ساقية من ماء تجري. ثم لما أصبح الصباح غلسنا الرحل وذهبنا، فإذا أهل بسكرة خرجوا للقاء الركب، بالترحيب والتحبيب، يلعبون بالخيل والبغال في زينتهم.

ونزلنا ضحوة، وأقمنا فيها ثلاثة أيام، وفيها نخيل وأجنة، ومزارع ذات قرار ومعين، وفي وسط النخيل مدينة عظيمة، ومسجد كبير ومنارته، غير أنها الآن خربت ولم يبق فيها إلا سوق في وسطها وذلك المسجد. وتركها الناس وسكنوا حولها من كل جانب، وهي على ما قيل: بلدة الصالحين ومأواهم، وفيها سادات قُبِرُوا هناك، وزرهم تغنم، والله ينفعنا وإياك ببركاتهم.

ثم ارتحلنا منها ونزلنا سيدنا عقبة رضي الله عنه[1]، وهو من التابعين الذين نصروا دين الله، وأقروه، ونشروه، نفعنا الله بهم، وقبره هناك يزار، في قرية كبيرة ذات مياه وأشجار.

ثم ارتحلنا وقطعنا واديا يقال له: وادي الناموس[2]، يكمن فيه السراق، ثم نزلنا واديا آخر يقال له: غِسْرَان[3]، وأعراب تلك البلاد سراق قطاع، ينتهبون الحجاج كثيرا، ويقطعون عليهم.

ثم نزلنا مدينة توزر[4]، بعد ليال بتناها خلاءً، وهي من أفضل بلاد الجريد، فيها نخيل وأَجِنَّة كثيرة، وثمرها أجود وأطيب من غيرها، وفيها مدينة كبيرة، وجامع بقي

---

(1) عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي، فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام، بنى مدينة القيروان وفتح إفريقية توفي عام:(63هـ). انظر: البيان المغرب:(1/ 19)، الاستقصا:(1/ 44)، الأعلام:(4/ 241).

(2) وادي الناموس: نهر يجري من المنحدرات الجنوبية بجبال الأطلس ويتجه نحو الصحراء. انظر: قبائل المغرب:(10).

(3) غسران: من أنهار المنحدرات الجنوبية لجبال الأطلس أيضا.

(4) توزر: مدينة في أقصى إفريقيا من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، معمورة بها نخل كثير. انظر: معجم البلدان:(2/ 57).

فيه آثار بنائه الأصلي واسع، متقن البناء، وفي قرب منه قبر الإمام العالم المشهور الشقراطيسي[1]، وأشياخ آخرين، وقد خربت الآن، ولم يبق حول ذلك الجامع إلا أبيات قليلة، والمدينة الآن خارج النخيل وفيها شيخ كبير محترم معظم يقال له: سيدي عبيد[2]، والآخر يسمى سيدي إبراهيم بن خليل.

ثم ارتحلنا منها، ومررنا على سيدي أبي هلال[3]، وذهبنا وعلى يميننا سَبَخَةٌ عظيمة واسعة ممتدة إلى جهة الجنوب، قيل: إن لطولها نحو أسبوع فأكثر، ونزلنا بلاد قابس[4]، في ثلاث مراحل، وهناك قبر أبي لبابة[5] صاحب رسول الله ﷺ، الذي قيل فيه: «إنه الذي يقود أهل الغرب إلى أن يسلمهم إلى النبي ﷺ في المحشر»[6]؛ لأنه الذي دفن في ناحية الغرب من أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ذات قرى كثيرة، وبلاد وأشجار، وليس منها القابسي الفقيه المشهور[7]، لكنه قروي من أقارب ابن أبي زيد المشهور[8]، وإنما كان يتعمم بعمائم أهل قابس، فسمي بذلك قابسيا.

---

(1) يحيى بن علي بن زكرياء الشقراطيسي، فقيه مالكي، له نظم ومؤلفات، توفي عام: (429هـ)، انظر: أعلام الأفارقة: (1/ 7)، الأعلام: (8/ 157).

(2) سيدي عبيد رجل من أهل سوسة، كان يخدم أبا جعفر في قرية قرب سوسة. انظر رياض النفوس: (2/ 228).

(3) أبو هلال لم أقف على ترجمته في المصادر.

(4) قابس: مدينة بين طرابلس وصفاقس، وهي ذات مياه جارية. معجم البلدان: (4/ 289).

(5) أبو لبابة مولى رسول الله ﷺ، من بني قريظة، ابتاعه النبي ﷺ فأعتقه. انظر: المحبر: (128)، والإصابة: (11/ 322، وتهذيب التهذيب: (12/ 214).

(6) لم أقف عليه.

(7) علي بن محمد المعروف بابن القابسي المعافري، محدث جمع بين الفقه والرواية توفي سنة: (403هـ). ترجمته في: نكت الهميان: (217)، وفيات الأعيان: (1/ 339)، كتاب رياض النفوس: (1/ 77)، الأعلام: (4/ 326).

(8) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني المالكي، فقيه مفسر صاحب الرسالة المشهورة توفي عام: (386هـ). ترجمته في: الفهرست: (201)، تذكرة الحفاظ: (3/ 211)، الديباج المذهب: (136).

فارتحلنا وسرنا بساحل البحر، ومدينةُ جربة[1] على يسارنا، وسط البحر لا يُعْبَرُ إليها إلا بالسفن، وهي ذات نخيل وفواكه ومياهٍ كثيرة، تشتمل على طوائف أهل الاعتزال، وأهل السنة فيها قليلون، ونزلنا بعد أيام قرى بها نخيل يقال لها: الزوارات[2] الغربيات إلى ناحية الغرب، والشرقيات إلى ناحية الشرق، وهي مبدأ عمالة طرابلس، وقابس، وتوزر، من عمالة تونس، وبسكرة: المتقدمة ذكرها/ من عمالة الجزائر، وكل [8] عمالة من هذه العمالات لها سكة تخصها، لا تجاوزها، واعلم ذلك واعرفه.

ثم منها ونزلنا طرابلس مدينة كبيرة على شاطئ البحر تضرب الأمواجُ بِسُورِها، كثيرة المزارع والبساتين والفواكه بأنواعها، تشتمل على أسواق ومساجد وجوامع، وفيها مشايخ مشهورون بالفضل والخير، فلا تنس حَضَّكَ من زيارتهم، والله تعالى يعيد علينا من بركاتهم، فبينما نحن كذلك نتزود ونستعد لمسافة برقة[3]، إذ استهل علينا هلال رمضان، وخرج الناس في ثالثه أو رابعه مستقبلين مَهَامِه برقة وسباسبها[4]، وبتنا خلاءً وراء تاجراء[5].

ثم منه ونزلنا بعد ذلك بمكان سيدي أبي العصيدة[6]، شيخ مشهور ذو كرامات وبركات، تصنع العصيدة عنده للحاج إذا قَدِمَ ولغيره، وهو في فَيَافٍ على طريق الحاج يزار، جمعنا الله [وإياه في رحمته، وعليك بزيارته.

---

(1) جربة: جزيرة في إفريقية أقرب المدن إليها قابس. انظر الروض المعطار:(158).

(2) الزوارات: جمع زوارة اسم مدينة قريبة من طرابلس، وتعرف منها بطون إلى اليوم، قبائل المغرب:(320).

(3) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية تربتها حمراء. انظر: الروض المعطار:(91).

(4) السباسب: جمع سبسب وهي المفازة والقفر. اللسان: مادة سبسب.

(5) تاجراء: موضع من أحواز قابس في مكان منه يقال له: لاقية. انظر الروض المعطار:(125).

(6) لعل المقصود بأبي العصيدة كنية الأمير المستنصر الثالث محمد بن يحيى الواثق بالله من ملوك الدولة الحفصية بتونس توفي عام:(709هـ). وأيامه كانت أيام هدنة ورخاء. ترجمته في: الدرر الكامنة:(4/ 285)، الأعلام:(7/ 138)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش:(1/ 560).

ثم ارتحلنا وسرنا غير بعيد، فإذا بمدينة عظيمة خُرِّبَتْ في ساحل البحر، وأعمدة الرخام ما زالت واقفة بها، وفي رسومها عبرة لشدة ارتقائها وإحكامها، قيل: إن الذي بناها وأسسها ولد الطاغية النمرود[1]، في زمن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهي على يسار الذاهب لجهة الشرق في ساحل بني حميدة[2]، وفيها نخيل كثيرة، وعلى يمينها جبل درن[3]، الممتد من بحر المحيط من سوس الأقصى، وانتهى لبرقة، وإلى أن بقي خمس مراحل للإسكندرية، ثم سرنا ونزلنا بعد مراحل سيدنا الإمام شيخ المشايخ، وسيد الصوفية سيدي أبا العباس أحمد زروق الفاسي، نفعنا الله به، زرناه رحمه الله هناك، وعليه قبة في جانب جامعه ومدرسة ما زالت عامرة إلى الآن، وفيها إذ ذاك طلبة يتعاطون العلم بحسب الإمكان، واعلم أنه منتهى العمارة، وليس أمامك إلا المَفَاوِز والفَلَوَات، ولك أن تشتري من ثَمَّ ومن مدينة طرابلس حياكا سودا، وطواقي، فإنك تلقى فيها ربحا، وتستخرج بها حوائجك في طريقك ذلك، ولكن قال بعض العلماء: يستحب للحاج أن لا يتجر في طريقه. وعليك أيها الأخ بمكارم الأخلاق، وحسن المعاشرة والصبر، وتحمل الأذى في طريقك مع الحجاج والخدام والجمالين، فإن هذا الطريق طويل، ينال فيه المشقة القوي والضعيف، يحتاج إلى زيادة صبر واحتمال، لا سيما مع البداوة الجمالين، فإنهم يحرصون على استخراج أدنى شيء منك، وارع دينك، وصُنْ عِرْضَكَ ومالك، واحفظ مُرُوءَتَكَ][4] ولا تتعاط معهم المساوئ، فإنهم أشحاء على الخير، وألسنتهم حداد، وَوَفِّ إليهم

(1) نمروذ بن كنعان بن سنخاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح، ترجمته في: المحبر:(394).

(2) ساحل بني حميدة: لعلها منطقة قريبة من جبل درن تكثر فيها الأشجار، وتتكون من قبائل مختلفة. انظر قبائل المغرب:(430).

(3) جبل درن: سلسلة جبال منيعة تخترق بلاد المغرب عرفت في القديم بجبال درن وتعرف اليوم بجبال الأطلس. انظر الروض المعطار:(234)، قبائل المغرب:(8).

(4) ما بين معقوفين سقط من النسخة(ب).

كِرَاءَهُمْ، ثم أحسن إليهم ولو بقليل من طعامك، تفز بالأجر من الله، ومن الرحمة منهم، وَأَلِنْ جَانِبَكَ ولا تَغْلُظْ.

ثم ارتحلنا فنزلنا مدينة كبيرة بعد مراحل ليس فيها أنيس، ولم يبق فيها إلا رسوم وأطلال، قيل إنها مدينة برقة، كان الشيخ عبد السلام سحنون[1] يُدَرِّسُ فيها العلمَ أربع سنين.

وارتحلنا وقطعنا مسافة هناك يقال لها: السروال، لا ماء بها، في تسع مراحل، وفي اليوم التاسع، نزلنا على الماء، وقد بلغ بالناس والدواب الجُهْدُ[2] مَبْلَغاً يُشْرِفُونَ فيه على الهلاك، لولا لطف الله تعالى ورحمته، وفي هذه المسافة استهل علينا شهر شوال، وصلينا صلاة العيد، ونحن سائرون بلا إقامة، ثم نزلنا بعد أيام مياها تسمى مياه العقبة[3]، وليس في برقة كلها جبل وعر إلا هذه العقبة، ولكنها سهل قفار أكثرها رمل ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً﴾[4]، والعرب تتسوق مع الركب أحيانا وهو يمشي. فارتحلنا وبتنا بعد مراحل واديا يسمى وادي الرهبان[5]، وهم فيه إلى الآن يترهبون في دور ثلاثة، تُجْعَلُ لهم أقواتُهُمْ في مَكَاتِلَ[6] وَقِفَافٍ فيرفعونها من سطوحها، ولم يفتحوا لها أبوابا، فلعن الله جميعهم، وجعلنا بَيْضَةَ الإسلام في حرزه، وأهل حزبه، وممن لزم ملة نبينا ﷺ.

---

(1) عبد السلام بن سعيد بن حبيب سحنون، قاض فقيه وولي القضاء بالقيروان، توفي عام(240هـ). انظر قضاة الأندلس:(28)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية:(105)، رياض النفوس:(1/ 249).

(2) الجهد: ما جهد الإنسان من مرض، أو أمر شاق. اللسان: مادة جهد.

(3) العقبة: عبارة عن تل مرتفع يتوسط منطقة برقة السهلية.

(4) سورة طه: الآية 107.

(5) وادي الرهبان: لم أقف عليها في المصادر، ولعلها منطقة في الحدود المغاربية قبل الدخول إلى الأراضي المصرية.

(6) المكتل: الزَّبِيل والزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب. اللسان: مادة كتل.

ثم نزلنا بعد الغد ريفَ مصر، ليلة خروج المحمل، وخروجه كل عام على الدوام، في السابع والعشرين من شوال والله أعلم، وقد قطع الركبُ بَرْقَةَ في نَيِّفٍ وخمسين يوما في شدة البرد، وكثرة السرى والسَّهر في الليل، وَرُبَّ ليال فيها لا ينزل الركب فيها إلا قَدْرَ ما يَتَعَشَّى، وكانت الرجالة المشاة الذين لا يركبون أشد الناس مقاساة للشدة والمشقة فيها، والله يجازي الكل بما عمل، فلما أشرف الناس على مصر وهي وراء النيل إلى جهة الحجاز، ورأوا النيل، ونظروا إلى خُضْرَةِ الأجنة والبساتين، تهللت وجوههم بالسرور، ونسوا ما قاسوه وكابدوه من المشقة والسهور، وأزهرت ذوات الصدور، لما دنت إلى مواضع النبوءة والنور، وذهب منها كل ما أَكَنَّتْهُ من الأضغان والأحقاد، وتجلت شموسها فلا كدر ولا أنكاد، وبرئت الأجساد من الأوجاع والأسقام، لما بلغت مواطن الاستراحة والاستقامة: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1]، فلله الحمد، وكنا به مومنين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فبتنا ليلتنا تلك في قرية من قرى الريف يقال لها المنصورية[2]، فرحين في رغد عيش، وهناء مع أهل البلد، فلما انصرم الليل صلينا الصبح، وغلسنا[3] الرحل، وبادرنا ركوب النيل، فجاءنا رجل من قبيلة هلالة[4]، سكن هناك بأولاده مع العرب بالريف، فاستودعنا، فَأَوْدَعْتُ عنده بغلتي وجملي، فقطعنا النيل، ونزلنا مدينة بِلاَقَ[5]، فلما

---

(1) سورة يوسف: الآية 99.

(2) المنصورية: قرية في الريف المصري بين القاهرة ودمياط. انظر أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك:(606).

(3) الغلس: أول الصباح حتى ينتشر الضوء في الآفاق، والتغليس: الخروج في الغَلَس. اللسان: مادة غلس.

(4) قبيلة هلالة: في مصر لم أقف عليها في المصادر.

(5) في معجم البلدان: بلاق بالكسر وآخره قاف: بلد في آخر عمل الصعيد وأول بلاد النبوة. انظر معجم البلدان:(1/ 478).

استقر بنا المنزل، جعل الناس يلمون شعثهم وزينتهم، حتى إذا اطمأن بهم المكان شرعوا يتزودون لسفر الدرب والحجاز، وهبت نسيم الحرمين، فاهتزت الأعالي والأعجاز، واستنشقتها القلوب، فلم يتمالكوا أن برزوا للانتياب والانتداب، وقال قائل: هذا مناد ينادي بالرحيل في الاقتراب، واستبق الناس الأبواب، وسارعوا لمرضاة رب الأرباب، واختلسنا يومئذ الزيارة من مشايخ الأزهر، فياله من زهرة الدين ونضرته وقدره! وما نسينا حظ التعلم فيه والجوار، إذا شفيت الصدور بالسلام على سيد الأبرار والأخيار، منبع الأسرار والأنوار، صلى الله عليه وعلى آله ما دام الليل والنهار.

[9] وما أحسن/ قول أبي الفضل عياض في شفائه رضي الله عنه، ونفعنا به: «وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائل، وَعَرَجَتْ منها الملائكة والروح، وَضَجَّتْ عرصاتها بالتسبيح والتقديس، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله عليه السلام ما انتشر، مدارس ومعاهد آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعادن البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيئين، حيث انفجرت النبوءة، وأين فاض عبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مسّ جلْدَ المصطفى صلى الله عليه وسلم تُرَابُهَا، أن تعظم عرصاتها، وتتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدراتها: [الكامل]

يَا دَارَ زَيْنِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ ... هُدِيَ الْأَنَامُ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ

عِنْدِي لِأَجْلِكِ لَوْعَةٌ وَصَبَابَة ... وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدُ الْجَمَرَاتِ

وَعَلَيَّ عَهْدٌ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي ... مِنْ تِلْكُمُ الْجُدُرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ

لَأُعَفِّرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بَيْنَهَا ... مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ

لَـوْلاَ الْعَـوَادِي وَالْأَعَـادِي زُرْتُـها ... أَبَـدًا وَلَـوْ سَـحْبًا عَلَى الْـوَجَنَـاتِ
لَكِـنْ سَأُهْدِي مِـنْ جَمِيـلِ تَحِيَّـتِي ... لِقَـطِيـنِ تِلْـكَ الدَّارِ وَالْحُجُـرَاتِ
أَذْكَى مِـنَ الْمِسْكِ الْمُـفَتَّقِ نَـفْحَة ... تَغْـشَاهُ بِالْآصَـالِ وَالْبُـكُرَاتِ
وَتَخُـصُّهُ بِزَوَاكِـيِّ الـصَّلَوَاتِ ... وَنَـوَامِيِّ التَّـسْلِيمِ وَالْـبَرَكَاتِ[1]

ثم برزنا، ونزلنا بركة الحاج، وهو أول منزل للحاج، إذا خرج من مصر، وآخر منزل له إذا قَفَلَ[2] ورجع، قال: [الخفيف]

أَفَـلاَ أَنْـطَوِي لَهَـا فِـي اقْتِـضَائِـ ... ـهِ لِتُطْـوَى مَـا بَيْنَـنَا الْأَفْـلاَءُ[3]
بِـأُلُوفِ الْبَطْحَـاءِ يُجْفِـلُهَا النِّيـ ... ـلُ وَقَـدْ شَـفَّ جَوْفَهَـا الْإِظْمَـاءُ[4]
أَنْكَـرَتْ مِـصْرَ فَـهْيَ تَنْفِـرُ مَـالاَ ... حَ بِنَـاءٌ لِعَـيْنِها أَوْ خَـلاَءُ
فَـأَفَـضَّتْ عَلَـى مَـبَارِكِهَا بِـرْ ... كَتُهَـا فَـالْبُوَيْـبُ فَالْخَـضْرَاءُ[5]

ثم ارتحلنا منها، فنزلنا البُوَيب[6]، خلاء يعرف الآن عند العامة بدار الحمراء.

---

(1) انظر النص في كتاب الشفا للقاضي عياض:(286، 287) والأبيات الواردة فيه من نظم المؤلف، أوردها أيضا صاحب ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج، مخطوط رقم: 7886 ورقة:(84).

(2) قفل من القفول وهو الرجوع من السفر. اللسان: مادة قفل.

(3) الأبيات للإمام البوصيري في ديوان شعره:(19) من قصيدته الهمزية في مدح النبي ﷺ.

(4) يجفلها: يزعجها. اللسان: مادة جفل. شف: أنحل. اللسان: مادة شفف.

(5) أفضت: فاضت وسالت من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل. اللسان: مادة فضض.

(6) البويب: بلفظ تصغير الباب: هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر، ويعرف الآن بدار الحمراء. انظر معجم البلدان:(1/ 512).

ثم منها فنزلنا الخضراء[1]، وهو بندر فيه بئر مـاؤه ملح أُجَاج يُسْهِلُ[2]، وعليـه الآن صهريج كبير يملأ لسقي الإبل من بيت المـال، ويعرف الآن بعجـرود، ثـم منـه فنزلنـا القباب[3]، أي كدى رمل أبيض تـشبه القبـاب، وتعـرف الآن في ألـسنة العامـة بـرأس النوادر، ثم منه ومررنا على مدينة سويس[4] على البحر في يمين الذاهب لناحية الحجاز، ونزلنا وادي التيه[5].

فارتـحلنا ونزلنا النخل بندر[6]، فيه بئران وصهاريج تـملأ من بيت المـــال للركـب المصري، ومـاؤها حلو، وهي أرض التِّيهِ التي أهلك الله بها بني إسرائيـل قيـل: إن بهـا ست مراحل في طولها وعرضها، والله أعلم.

ثم ارتحل الناس، ونزلنا خلاء يسمى بئر الصَّعَاليك[7]، ثم منه ونزلنا سطح العقبـة، فلمـا أصبح الصباح وقد بات الناس في شدة برد هبطوا ونزلوا بندرا يقال له: العقبـة[8] على شاطئ البحر، وهناك قرية خربت، وهـي أيلـة[9]، قيـل: هـي المـراد بقولـه تعـالى:

---

(1) الخضراء: اسم من أسمـاء منازل الحج من مصر إلى مكة المكرمة.

(2) إسهال البطن: كالخلف، وقد أسهل الرجل وأسهل بطنه. اللسان: مـادة سهل.

(3) القباب: لم أقف عليها في المصادر.

(4) سويس: بليدة على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مـصر اليـوم إلى مكـة و المدينـة. معجم البلدان:(3/ 276).

(5) وادي التيه: نسبة إلى أرض التيه وهو الموضع الذي ضل فية موسى عليه السلام وقومه، وهي أرض بـين أبلة وبحر القلزم. معجم البلدان:(2/ 69).

(6) النخل بندر: موضع مـاء في أرض التيه.

(7) بئر الصعاليك: لم أ قف عليها في المصادر.

(8) العقبة: موضع بعد أيلة لا يصعدها راكـب لـصعوبتها ولا تقطـع إلا في طـول اليـوم لطولهـا. الـروض المعطار:(70).

(9) أيلة: مدينة معروفة، وهي أول حد الحجاز بها يجتمع حاج مصر والمغرب. معجـم البلـدان:(1/ 292)، الروض المعطار:(70).

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ الآيات[1]، وفيه آبار كثيرة، وماؤه لا بأس به، ثم منه وبتنا وراء ظهر الحجاز مكان يسمى بذلك، ثم منه وبتنا مكانا يسمى الشرفات[2]، ثم منه ونزلنا مغارة شعيب، واديا يعرف بذلك، ويقال: نسبة لسيدنا شعيب نبي الله[3] على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ذو مياه كثيرة حلوة، وغيضة كبيرة[4]، وفيه نخيل تسكنه العرب، وفي يمينه على البحر قرية كبيرة ذات أشجار وفواكه على ما قيل، ثم منه ونزلنا واديا يسمى وادي القصب[5]، وماؤه حلو لا بأس به، ثم منه ونزلنا بندرا كبيرا يسمى الأمليليح[6]، يدخر فيه الحاج إلى أن يرجع، وفيه آبار كثيرة، وماؤه لا بأس به، وهو بساحل البحر، وأقمنا فيه يوما.

ثم ارتحلنا ونزلنا آبارا يقال لها أم السلطان[7]، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به، ثم منه ونزلنا بندرا يقال له الأزلام[8]، وماؤه ملح أجاج يُسْهِلُ شاربه.

ثم ارتحلنا منه ونزلنا بندرا يعرف بإسطبل عنتر، وفيه آبار، وماؤه لا بأس به، ثم منه ونزلنا بندرا يقال له: الوَجْهُ، وماؤه حلو لا بأس به.

ثم منه ونزلنا واديا تحفر فيه الحجاج المياه، وهي ملح أجاج يُسْهِلُ شاربه، وبعضه أشد ملوحة من بعض. ثم نزلنا خلاءً يعرف ببين الدركين قيل: إنه حد الحجاز من جهة الغرب.

---

(1) سورة الأعراف: من الآية 163.

(2) الشرفات: جمع شرفة، والشرف: موضع بمصر. معجم البلدان:(3/ 336).

(3) هو نبي الله شعيب بن يوبب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم عليه السلام كان بعد هود وصالح، انظر: المحبر:(296)، الأعلام:(3/ 165).

(4) الغيضة: مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. اللسان: مادة غيض.

(5) وادي القصب: لم أجده فيما توفر لدي من المصادر، ولعله سمي كذلك؛ لأن فيه قصب كثير.

(6) الأمليليح: موضع لم أقف عليه في المصادر.

(7) أم السلطان: بئر في طريق الحاج من مصر.

(8) الأزلام: لم أقف عليها في المصادر.

ثم منه ونزلنا مكانا يسمى الحوراء[1]، على شاطئ البحر، وماؤه ملح أجاج لا يُسَاغُ، وَيُضْنِي[2] شاربه، وبعضُه لا بأس به.

ثم منه ونزلنا ماء عذبا فراتا باردا يسمى النبَط[3]، ووراءه واد شديد الحرارة، تسميه العامة وادي النار، ثم منه وبتنا الخضير بلسان العامة الآن بعد يوم، ثم نزلنا الينبع[4]، وهي قرى كثيرة ذات نخيل ومياه، قيل: إنها من مدينة الرسول ﷺ، وأقمنا فيه يوما، وماؤه حلو طيب، وهي مرسى تخرج فيها أقوات أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وتحمل منه إليها، ثم منه ونزلنا وراءه.

ثم ارتحلنا ومررنا بين جبلين عظيمين من رمل، واستبق الناس فوقهما يستمعون صوت طبل يضرب هناك لأجل نصرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والفرح بها، فأخبرنا بعض من صعد ذلك الجبل أنه سمع صوتا هائلا يشبه صوت طبل الحرب، وذلك مكان وقعة بدر[5]، التي نصر الله بها الدين، وقد اختلف العلماء في سماع ذلك الصوت، فمنهم من أثبته وقال: إنه يسمعه هناك دائما يوم الاثنين والخميس، وفي غيرهما سمعه أحيانا.

(1) الحوراء: مدينة في مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز، وقيل: هي مرفأ سفن مصر إلى المدينة. معجم البلدان:(2/ 316).

(2) يضني من الضنى: وهو المرض. اللسان: مادة ضنن.

(3) النبط: بفتح الباء، هو الماء المستخرج بالحفر، وهو بئر في طريق الحاج بعد الحوراء، وهو البئر الذي واجه فيه محمد ﷺ كفار قريش في معركة بدر. معجم البلدان:(5/ 258)، الروض المعطار:(84).

(4) الينبع: بين مكة والمدينة، وهي قرية بها نخل كثير وماء وزرع، وبها وقوف لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. معجم البلدان:(5/ 450).

(5) مكان وقعة معركة بدر يسمى بالقليب وهو اليوم نخيل وموضع الشهداء خلفه. الروض المعطار:(84).

فنزلنا وراء ذلك الجبلين وفيه عين تجري، ونخيل، وقرية تعرف الآن ببدر حنين[1]، وفيه قبور الصحابة الذين استشهدوا به، تزار رضي الله تعالى عنهم / ونفعنا بمحبتهم، [10] اللهم أرضهم عنا يا ذا الرضى والرضوان، واجعلنا معهم من أهل الرحمة والغفران، واجمعنا وإياهم في دار السلام، واحشرنا في زمرتهم مع الإخوان، وارزقنا اتباعهم في الهدى والعرفان، اللهم يا رب إنا نعوذ بك من الخذلان، وسوء المنقلب والخسران، بجاه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذي الآيات والبرهان، وعلى آله وصحابته الأخيار أولي الفضل والعرفان.

ثم ارتحلنا منه ونزلنا البزواء[2]، ﴿فَاعاً صَفْصَفاً لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً﴾[3]، ثم منها ونزلنا رابغ[4]، قرية بها آبار، ونخيل على ساحل البحر، وبتنا فيها، فلما كشف الليل سرباله، وشمر أذياله، وأسبل النهار أضواءه وأزهاره، بادر الناس اغتنام سنة الإشعار والتقليد، وخلعوا المخيط بالتجريد، وعمدوا للتأزر والانتعال، بعد التنظف والاغتسال، واستأنسوا بالتلبية والابتهال، من طول الوحشة والأوجال، وركبوا وقد استهل ببزوة الهلال على متن الرواحل والجمال، ونادى مناديهم بالارتحال، وازدحموا للتحول والانتقال، وأهلوا بالحج على الجبال، مقبلين على مواطن الخيرات والأعمال، أماكن تحط فيها الأوزار والأثقال، وترفع فيها الأكف إلى الله مولانا المتعال، ومواضع الرجاء والتضرع والاستقبال، حيث يرضى المولى الجليل على عبده الحقير بالغفران والكمال، وإسباغ النعم ودرور الأرزاق، واسترسال مهبط الرحمة، والبسط، والأنس، والاعتدال، أم القرى، وحرم الله ذي الإكرام والجلال،

---

(1) بدر حنين مكان قريب من مكة، بينه وبين مكة بعضة عشر ميلا. معجم البلدان:(2/ 313).

(2) البزواء: موضع قرب المدينة من أشد بلاد الله حرا. معجم البلدان:(1/ 411).

(3) سورة طه: الآية 104.

(4) رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. معجم البلدان:(3/ 11).

سبحانه من إِلَهٍ بلا مثال، والله يوفق لصالح القول والفعال، اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه، ولا سمعة.

ثم سرنا غير بعيد فإذا بالجحفة[1]، على يسار الذاهب لمكة، قرية لليهود خربت الآن، ليس فيها أنيس لما روي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر لحمى المدينة بالانتقال إليها، فانتقلت إليها فجعلت عاليها سافلها[2]، وهي إلى الآن لا يمر بها أحد ولو طيرا في الجو تجاهها إلا حم على ما قيل، فنزلنا يومنا ذلك قَدِيدا[3]، ثم منه وطلعنا عقبة من رمل يقال لها: عقبة السكار، وعليها بناء منقوش عليه في يمين الذاهب، وعلى يساره خربة قيل: إنها من مساجد النبي ﷺ التي صلى فيها، ونزلنا كديدا[4]: عينا تجري وحولها قبتان الآن وصهريج، ثم منه وجاوزنا عسفان[5]، ونزلنا بينه وبين الوادي، ثم منه ونزلنا ضحى الوادي: وهو مر الظهران[6]، وتسميه العامة بوادي فاطمة.

---

(1) الجحفة: قرية كانت كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة، وهي ميقات أهل مصر والشام. معجم البلدان:(2/ 111).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب كراهية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعرى المدينة، ح(1889)، (3/ 23)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة، ح(1376)، (2/ 1003)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعا، ولفظه: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة». قال أبو حاتم: «العلة في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنقل الحمى إلى الجحفة أن الجحفة حينئذ كانت دار اليهود ولم يكن بها مسلم فمن أجله قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وانقل حماها إلى الجحفة». انظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني (5/ 467).

(3) قديد: اسم موضع قرب مكة. معجم البلدان:(4/ 313).

(4) الكديد: موضع بين مكة والمدينة، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير. معجم ما استعجم:(3/ 1119)، الروض المعطار:(490).

(5) عسفان: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. معجم البلدان:(4/ 121).

(6) مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة، والظهران هو الوادي. معجم البلدان:(5/ 104).

ثم ارتحل الناس عند الظهر، وزرنا سيدتنا وأمنا ميمونة[1] أم المومنين هناك بين مر الظهران ومكة، فيا لها رضي الله عنها من ذات فضل! ومن عجيب صنع الله تعالى وحكمته أن النبي ﷺ كان بنى بها، ثم دفنت رضي الله تعالى عنها حيث بنى بها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ [2]، وقبرها ثَمَّ مشهور معلوم على يمين الذاهب لمكة يزار دائما، ونزلنا يومنا ذلك ذا طوى[3]، وهو واد قرب مكة شرفها الله، فيه آبار بين مكة والتنعيم[4]، فلما أدبر الليل وولى، قام الناس واغتسلوا لدخول مكة، وقد امتلأت الصدور سرورا، وأبدت المُهَجُ حبورا، وأشرقت الوجوه نورا، فلنعم اليوم يومئذ.

وارتحل الناس من منزلهم، فما ساروا إلا قليلا فإذا نحن على ثنية الحجون[5]، مقبرة مكة كأنها أزهار بالقباب والمقامات يمينا وشمالا فيالها من ذات فضل وبركات! فسرنا نَصًّا[6]، ودخلنا من أعلى مكة مسرعين نحو البيت في شدة الفرح والخجل، فسألنا عن باب السلام، فدخلنا منه فإذا الكعبة بيت الله الحرام شرفها الله تعالى وأعزها وسط المسجد، وقصدنا الحجر الأسود بالتقبيل والاستلام، وبدأنا الطواف منه، فلما

---

(1) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المومنين آخر امرأة تزوجها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وآخر من مات من زوجاته سنة 51هـ. انظر: طبقات ابن سعد:(8/ 94)، أسد الغابة:(5/ 550)، الأعلام:(7/ 342).

(2) رواه الحاكم في المستدرك ح(6795)، (4/ 32)، من حديث ابن شهاب موقوفا، وقال الترمذي في جامعه (2/ 193): «اختلفوا في تزويج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ميمونة، لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تزوجها في طريق مكة، فقال بعضهم: تزوجها حلالا، وظهر أمر تزويجها وهو محرم، ثم بنى بها وهو حلال بسرف في طريق مكة، وماتت ميمونة بسرف حيث بنى بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ودفنت بسرف».

(3) ذو طوى: واد بمكة. معجم ما استعجم:(3/ 896).

(4) التنعيم: موضع بمكة في الحل وهو بين مكة وسرف، ومنه يحرم المكيون بالعمرة. معجم البلدان:(2/ 49).

(5) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان:(2/ 225).

(6) النص والنصيص: السير الشديد والحث. اللسان: مادة نصص.

كملت السبعة الأشواط ملنا للمقام، وركعنا الركعتين، وقد فرغ طواف القدوم بالتمام، فما برحنا أن خرجنا من باب الصفا[1]، وعلونا فوقها، وسعينا منها للمروة سعيا، ثم إليها حتى إذا انقضى السعي، وَتَمَّ فَرْضُهُ، ونزل الناس منازلهم كل بقدره.

ولا يخفى عليك أيها الأخ حال الناس ذلك اليوم، من بسط وابتهاج، واستبشار وانشراح وابتهاج، متوجهين ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰناً﴾[2]، وترى الناس حول البيت ما بين راكع وساجد وناظر، قال تعالى:﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[3]، كأنهم والكعبة أمامهم ذات أركان، وعليها ديباج تسر الناظرين بالحسن والإتقان، تفوح بأنواع الخلوف في القربان، تزهر بالألوان والبهاء كأنها الياقوت والمرجان، تشهي الناظر ولا ينساها ذو عيان، كأنها عند المواجهة تيجان، زادها الله شرفا وعزا، ورزقنا العود إليها وَفَوْزاً ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[4]، باب الكريم نازلون، وببغيتهم ظافرون، وبذنبهم معترفون، وَبَابَ ربهم يقرعون، ولمرضاته مسرعون، ولا يبغون لذلك المقام تبديلا، ولا يريدون عنه تحويلا.

فبينما الناس كذلك والركبانُ تتلاحق، ويأتون على كل ضامر[5]، البيتَ العتيق، ومن كل ناحية يأتون من كل فج عميق، إذ طلع الخطيب يوم التروية على المنبر، فأخبر

---

(1) باب الصفا: أحد أبواب المسجد الحرام، ومن الصفا المقابل للحجر الأسود يبدأ الحاج السعي بين الصفا والمروة.

(2) سورة المائدة: الآية 3.

(3) سورة الحج: الآية24.

(4) سورة إبراهيم: الآية22.

(5) هنا اقتباس من الآية 25 من سورة الحج: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.

الناس بمناسكهم، وَهَيَّجَ العِبَر، فلما زاغت الشمس يوم التروية، طفنا وخرجنا لإقامة صلاة الظهر بمنى، وما زلنا بمسجد الخيف هناك[1]، وبجنبه الغار الذي أُنْزِلَتْ فيه والمراسلات[2] على النبي ﷺ غاية المنى حتى إذا غشي الليل النهار يطلبه حثيثا[3]، اختلف الناس هل الليلة ليلة الوقوف، أو يبيتوا بياتا، فمنهم من بات، ومنهم من ارتحل، غير أننا ممن اغتنم سنة المبيت، لا ممن ارتحل، إذ لا شك أنها ليلة عرفة، لا ليلة العيد، حتى إذا أسفر الصبح، وَأَشْرَقَ ثَبِير[4]، ظعنا وما وراءنا قعيد، متوجهين تجاه عرفة، وقطعنا وادي النار، فمزدلفة[5]، والمشعر الحرام، وهي الجمع. ونزلنا بعرفة ضحى يوم عرفة، فلما دنا وقت الظهر اغتسلنا بلا دلك كالمتقدم بذي طوى، وجمعنا الظهر والعصر بمسجد نمرة[6]، وهي حد عرفة من جهة مكة، وركبنا على أكوارنا حينئذ واقفين، فسبحان من جمع الخلائق، لا تُحْصَى عددا، وأمرهم بالوقوف هناك حتما أبدا.

ولما استقر بالناس المكان، وثبت كل على راحلته، ضجوا بالتكبير، / والتهليل، والتبجيل، والتسبيح، والتقديس، والصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرف [11]

---

(1) مسجد الخيف: يوجد بمنى قرب الجمرات. معجم البلدان:(2/ 412).

(2) يعني سورة المرسلات.

(3) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ سورة الأعراف: 35.

(4) أشرق ثبير: ثبير جبل والجبل لايشرق نفسه، ولكن أرى أن الشمس كانت تشرق من ناحيته، فكأن ثبيرا لما حال بين الشمس والشرق خاطبه بما تخاطب به الشمس. انظر معجم البلدان:(2/ 73).

(5) المزدلفة: وهو مبيت للحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، وهو مكان بين بطن محسَّر والمأزمين. والمزدلفة: المشعر الحرام. معجم البلدان:(5/ 120).

(6) نمرة: ناحية بعرفة نزل بها النبي ﷺ، والمسجد منسوب إليها لا يزال قائما إلى الآن. معجم البلدان:(5/ 304).

وكرم، ثم إن الناس في غاية المسألة، وكثرة الإلحاح، والتضرع والإلحاف[1] على ربهم، وَجِلِينَ خائفين، فالله لا يخيب من قَصَدَهُ، ولا يحرم من سأله، ولا يمنع من استجاره، تراهم والخطيب يخطب على ناقته، وَيُسْمِعُ من حوله رافعين أكفهم إلى الله تعالى، حتى إذا غربت الشمس، وأفلت، وأسبل الليل سرباله، وسجافه[2] وَتُؤُدِّيَتْ فريضة الوقوف، وتحقق وقوعه، ولبثوا مَلِيًّا هنالك ومكثوا هنيهة بعد غروبها كذلك، ثم نفروا نفرة.

وفي عرفة عين ماء تجري وأصلها من فوق عرفة إلى جهة جبل طوى[3]، جبل كبير بين الطائف ومكة، [وتلك العين بعينها هي التي بين دور مكة، منها تملأ برك بعلات مكة][4]، وسقاية المروة، وميضأة المسجد الحرام، وغير ذلك راجعين للجمع بين العشاءين بمزدلفة، وتلك الليلة ليلة الجمع، وبها مسجد ومنارة، فلما لاحَ فلق الصبح صلى الناس صلاة الصبح، ووقفوا بالمشعر الحرام للدعاء، والتضرع حتى تغلس الزمان ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[5].

المهدوي[6] في أحكام القرآن: ومزدلفة كلها هي المشعر الحرام، وأمر الله تعالى بالوقوف بها أمر نَدْبٍ، توجهوا لرمي العقبة[7] بمنى وجبل ثبير[8] على يسارك إذ ذاك،

---

(1) الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. اللسان: مادة لحف.

(2) السجاف: الستر مأخوذ من الظلمة. اللسان: مادة سجف.

(3) جبل طوى: يوجد بين مكة والطائف. معجم ما استعجم:(3/ 896)، معجم البلدان:(4/ 44).

(4) ما بين المعقوفين سقط من(ب).

(5) سورة البقرة: 198.

(6) محمد بن إبراهيم المهدوي، فقيه نزل فاس، ودرس في القرويين وبها توفي عام:(595هـ)، له كتاب «الهداية». انظر: جذوة الاقتباس:(273)، سلوة الأنفاس:(3/ 267)، الأعلام:(5/ 296).

(7) الجمرة: موضع رمي الجمار بمنى، وسميت جمرة العقبة والجمرة الكبرى لأنه يرمي بها يوم النحر. معجم البلدان:(2/ 162).

(8) جبل ثبير: منى جبل بها وهو مشرف على مكة. معجم البلدان:(2/ 72).

وعلى يمينك ذاهبا لعرفة، ثم إن واديا بين مزدلفة ومنى يسمى وادي النار، يندب الإسراع ببطنه؛ لأنه مكان نزول العذاب على أصحاب الفيل حين قصدوا هدم البيت قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[1] السورة، فرمى الناس جمرة العقبة، وحلقوا، ونحروا، وأفاضوا الإفاضة، وقد كمل الحج بحمد الله وتوفيقه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2]، ثم إنهم بمنازلهم بمنى إذ تمموا فرضهم أظهروا من الزينة والحلي والحلل وأنواع الملابس، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، من نسج اليمن والعراقين، والهند والروم وخراسان[3]، وأنواع الطيب واختلاف ألوانه، تهب به الريح من كل جانب، ويفوح به الهواء، وأنواع السلع وأنفسها، وَتَشْرِيقِ اللحوم[4] بأطاييبها، وأبرزوا تجارتهم بأصنافها، فيا لذلك الموسم العظيم! والمربح الكبير الجسيم، من البركة العظيمة! ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5].

وأقبل الناس على عبادتهم، وفضل ربهم، ومن أراد أن يقضي عجب العجائب فليعل شرفا يرى ما جمع الله تعالى هناك من الخلق، وما فيه من زهرة الدنيا وزينتها، كأن أهل الدنيا حشروا إليه تلك الأيام، وهي الأيام المعلومات، وليس لها في الدنيا من نظير، ترى ما بين الجبلين كأنه روضة غناء، ذات أزهار عطرة، وألوان خضرة، والله إن

---

(1) سورة الفيل: الآيتين 1-2.

(2) سورة البقرة: الآية 200.

(3) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند. معجم البلدان: (2/ 350).

(4) تشريق اللحم: تقطيعه وتقديده وبسطه، ومنه سميت أيام التشريق. اللسان: مادة شرق.

(5) سورة البقرة: الآية198.

هذه الأيام لتذكر أيام الجنة من نعيم واعتدال، واستبشار واستجمال، ورغد عيش، وهناء وبهاء، وأقام الناس فيها للجمرات﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[1]، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٩﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾[2]، فلما رموا الجمرات بعد زوال الشمس من الثاني والثالث، تحللوا ورجعوا، وَسُنَّةُ التحصيبِ تَنَاسَاهَا الناسُ اليوم.

والمحصب[3]: على بطحاء مكة إلى جبل حراء في يمين الراجع من منى إلى مكة، وجبل حراء كذلك على يمين الراجع من منى، وعلى يسار الذاهب إليها معلوم اليوم بجبل النور، ولا تترك زيارة العقبة[4]: الشِّعب الذي بايع الأنصار فيه النبي ﷺ وهم سبعون؛ أهل العقبة الأولى، و[الثانية][5]، والثالثة، وسموا النقباء، والشِّعْبُ: أي العقبة تحت جمرة العقبة على يسار الذاهب لمنى، ويمين الراجع منها وهناك مسجد يزار إلى اليوم، فأقام الناس بمكة شرفها الله: [الخفيف]

فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لاَ يُحْـ ... ـمَدُ إِلاَّ فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ[6]

---

(1) سورة البقرة: الآية203.

(2) سورة البقرة: الآية199-200.

(3) المحصب: وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو بطحاء مكة. معجم البلدان:(5/ 62).

(4) العقبة: المراد العقبة التي واعد رسول اللهﷺ فيها النفر الذين بايعوه من الأوس والخزرج من أواسط أيام التشريق. الروض المعطار:(417).

(5) زيادة من(ب).

(6) البيت للإمام البوصيري في ديوان شعره:(20) من القصيدة الهمزية في مدح خير البرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمنهم من مال إلى الاستمتاع باللذات والطيبات، والاستراح والتنزيهات، وقد كانت الغيرة والافتخار بين أميرَي مصر والشام، كل يفاخر صاحبه بالقوة والشدة، وكثرة العدد، وسعة الأموال من القناطر المقنطرة، غير أن الشامي أكثر مالا، وأسخى مَنْ بَذَلَ، وَأَحْنَى على المساكين من المصري، وأمراء الأركاب غيرهما كل قد جاء على قدره واستطاعته، بأنواع الحلي والحلل، وتسوقوا أيام إقامتهم، كل سوق يفوح ويزهر كأزهار الربيع، وأهل مكة في نعيم ﴿فَاجْعَلَ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]، وهم أهل كرم وجود، وجوههم ﴿مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[2]، وألوانهم إلى الأدمة[3] ناضرة، ظهرت فيهم سِيماءُ المجاورة، وغطتهم محاسن الكعبة كأنهم إلى جواري الحبشة يأوون ويميلون، فإن منهن كاليواقيت، ومنهم من لازم الحرم قانتا ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[4]، فلا يفارقه، ويراقب مولاه بين إلحاف ونحيب، ويحاضن الملتزم[5]، والحطيم[6]، في كل وقتٍ وآنٍ، ويقبل الركنين، ويركع في المقام في كل أحيان، ويملأ من زمزم للسنة غير ظمآن، ويتوسل بكل ذلك في كل حين بأن يقول: اللهم بتلك الأماكن الشريفة ومواطن نزول رحمتك الجسيمة، أن تجعلنا من أهل خيرك وفضلك، وَمِمن شملتهم رحمتك، واستنشق نفحات محبتك،

---

(1) سورة إبراهيم: الآية40.

(2) سورة عبس: الآية 38، 39.

(3) الأدمة: السمرة وقيل البياض الواضح. اللسان: مادة أدم.

(4) سورة الزمر: الآية 10.

(5) الملتزم: وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة. معجم البلدان:(5/ 190).

(6) الحطيم: هو ما بين المقام إلى الباب وقيل: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. معجم البلدان:(2/ 273).

وممن اتبع رسولك واتصف بمحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وممن تجاوزْتَ عنه يا أرحم الراحمين: [الطويل]

فَهَذَا تَمَامٌ لِلْمَنَاسِكِ كُلِّهَا فَيَا رَبِّ سَلِّمْهَا مِنَ الْفِسْقِ سُمْعَة

وعليك أيها الأخ بملازمة حرم الله تعالى، وكثرة طواف وتضرع وخشوع وابتهال في الملتزم ونواح في البيت، وكثرة الشرب من ماء زمزم لما ورد في ذلك من الأحاديث، ولا بأس بإيراد شيء من ذلك.

ولنذكر أولا شيئا من فضائل مكة: قال الله العظيم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنَ اَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ اِلْبَلْدَةِ اِلذِے حَرَّمَهَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ـامِناً وَيُتَخَطَّفُ اُ۬لنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُۥٓ﴾[2]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده»[3].

وفي البخاري[4] أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، / لا ينفر صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد». الحديث. [12

---

(1) سورة النمل: الآية 93.

(2) سورة العنكبوت: الآية 67.

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحرم، ح(1587)، (2/ 147)، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها، ح(1353)، (2/ 986)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

(4) تقدم.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو واقف بسوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[1].

وعن مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض بالهند قال يا رب هذه أحب الأرض إليك أن تعبد فيها قال: مكة، فسار آدم حتى أتى مكة فوجد عندها ملائكة يطوفون بالبيت، ويعبدون الله، وقالوا مرحبا بآدم يا أبا البشر إنا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة»[2].

وكان وهب بن منبه[3]، يروي أن الله عز وجل يقول: «أنا الله ذو بكة أهلها جيراني، وجيران بيتي وعمارها وَزُوَّارُهَا وَفْدِي وَأَضْيَافِي، وفي كنفي وأماني ضامنون علي في ذمتي وَجِوَارِي»[4].

وفي الأثر: «أن الله تعالى ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول ما ينظر إلى أهل الحرم، وأول ما ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد فمن رآه طائفا غفر له، ومن رآه مصليا غفر له، ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له»[5].

---

(1) رواه الترمذي في الجامع، أبواب المناقب، باب في فضل مكة، ح(3925)، (6/ 207)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب فضل مكة، ح(3108)، (2/ 1037)، كلاهما من حديث عبد الله بن عدي ابن حمراء رضي الله عنه مرفوعا، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(2) رواه ابن عبد البر في الاستذكار: (8/ 222) عن مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) وهب بن منبه الابناوي الصنعاني، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، يعد من التابعين توفي عام: 114هـ. انظر: المعارف:(202)، حلية الأولياء:(4/ 33)، وفيات الأعيان:(2/ 180)، الأعلام:(8/ 126).

(4) رواه الأزرقي في أخبار مكة (2/ 153)، من حديث وهب بن منبه أنه قال في حديث حدث به، في الحرم، وطرفه: «ومن آمن أهله استوجب بذلك أماني، ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي، ولكل ملك حيازة مما حواليه، وبطن مكة حوزتي التي احتزت لنفسي دون خلقي، أنا الله ذو بكة ...».

(5) أورده ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص(285) منسوبا إلى بعض العلماء، والغزالي في الإحياء (1/ 242)، وتمامه: «... وأنه لا يغرب شمس يوم إلا ويطوف بالبيت رجل من الأبدال، ولا يطلع فجر ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد، فإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه؛ وذلك أن الكفر يعود مستوليا على ذلك المكان فينتقضون البيت».

قال المهدوي في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[1]: وكانت قد اندرست فأطلعه الله تعالى.

ابن عباس: وضع البيت على أركان الماء قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحته.

وفي الخبر[2]: أن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنى البيت من خمسة أجبل: طور سيناء[3]، وطور زيتا[4]، ولبنان[5]، وجودي[6]، وحراء[7].

وفيه أيضا: أنه نزل من الجنة ثم رفع أيام الطوفان، فكانت الأنبياء تحجه ولا تعرفه حتى أعلم الله إبراهيم مكانه فبناه، وإسماعيل ينقل الحجارة، فلما انتهى إلى موضع الحجر قال له: جئني بحجر حسن يكون علما للناس، فصاح أبو قبيس[8]: يا إبراهيم يا خليل الرحمن إن لك عندي وديعة فخذها، فإذا هو حجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة.

---

(1) سورة البقرة: الآية 126.

(2) رواه الأزرقي في أخبار مكة (1/ 63)، من تفسير قتادة لقوله عز وجل: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾.

(3) طور سيناء: اسم جبل بقرب أيلة وعنده بليد فتح في زمن النبي ﷺ. معجم البلدان:(4/ 48).

(4) طور زيتا: جبل مطل على المسجد الأقصى شرقي وادي جهنم. معجم البلدان:(4/ 48).

(5) لبنان: جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام. معجم البلدان:(5/ 11).

(6) الجودي: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل. معجم البلدان:(2/ 197).

(7) حراء: جبل من جبال مكة وهو معروف. معجم البلدان:(2/ 233).

(8) أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة، يقع شرق مكة. معجم البلدان:(1/ 80).

وقال عند قوله:﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[1]: يروى أن إبراهيم لما دعا بهذا أمر الله جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فاقتلع الطائف من الشام، وطاف بها حول البيت أسبوعا، فسميت الطائف لذلك، ثم أنزلها تهامة[2]. انتهى.

«قيل: لا تغرب الشمس إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال[3]، ولا يطلع فجر إلا طاف به واحد من الأوتاد[4]، فإذا انقطع ذلك كان سببا لرفعه من الأرض فيصبح الناس لا يرون له أثرا، وهذا إذا أتى عليه سبع سنين لم يحجها أحد، ثم يرفع القرآن من المصاحف، فيصبح الناس فإذا الأوراق بيض تلوح ليس فيها حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا تذكر منه كلمة، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية، ثم يخرج الدجال، وينزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتله، والساعة عند ذلك كمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها»[5]. انتهى من مناسك ابن هلال[6].

---

(1) سورة البقرة: الآية 125.

(2) تهامة: منطقة واسعة، ومكة تعد منها، والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض. معجم البلدان:(2/ 63). والخبر أورده مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية (5/ 3830)، والقرطبي في تفسيره (2/ 117)، بصيغة التمريض.

(3) الأبدال: يروون الحديث في هذه الأمة ثلاثون رجلا، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمان، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، ومن الأبدال ثلاثمائة شخص على قلب آدم لكل واحد منهم من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق، وأربعون شخصا على قلب نوح، وسبعة على قلب الخليل، وخمسة على قلب جبريل، وثلاثة على قلب ميكائيل، وواحد على قلب إسرافيل، وعشرة على قلب داود. انظر معجم مصطلحات الصوفية:(8).

(4) الأوتاد: هم الرجال الأربعة الذين على منازلهم الجهات الأربع من العالم، أي المشرق والمغرب والجنوب والشمال، بهم يحفظ الله تلك الجهات، لكونهم محال نظره تعالى. انظر معجم مصطلحات الصوفية:(264).

(5) انظر النص بكامله في إحياء علوم الدين للغزالي:(2/ 253).

(6) إبراهيم بن علي بن هلال السجلماسي خلف آثارا علمية مهمة في الفقه وغيرها توفي عام:(903هـ). ترجمته في الضوء اللامع:(1/ 99)، ونيل الابتهاج:(1/ 44)، وكفاية المحتاج:(1/ 164)، ومعلمة المغرب:(22/ 7515).

وفي الخبر: «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع، وقد هدم مرتين، ويرفع في الثالثة»[1].

قال مجاهد: سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾[2]، أن المسلمين واليهود تفاخروا فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة، وقال المسلمون: الكعبة أفضل فنزلت[3].

وروي لما أمر الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ببناء البيت فقال: يا رب بين لي صِفَتَهُ، فأرسل الله سبحانه غمامة على قدر الكعبة، فصارت معه حتى قدم فوقفت في موضع البيت، فنودي: اِبْنِ على ظلها لا تزد ولا تنقص[4].

وقيل في قوله تعالى: ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، منها: أن الطائر لا يعلو البيت صحيحا، ويعلوه مريضا للتشفي به، ومنها: أن الغيث إذا كان من ناحية اليماني كان الخصب باليمن، وإن كان من ناحية الشامي، كان الخصب بالشام والعراق كذلك، وإن عم الأركان عم الخصب الدنيا وغير ذلك، وفي المقام آية كذلك وهي أثر قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين وقف عليه وهو جماد صلد.

---

(1) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 276)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفا، لكن بلفظ: «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأني أنظر إليه حبشيا أصيلع أصيمع قائما يهدمها بمسحاته»، واللفظ الذي ذكره به المؤلف أورده الغزالي في الإحياء: (1/ 242)، ولم أجد من رواه بلفظه.

(2) سورة آل عمران: الآية 96، 97.

(3) ورد الخبر في الدر المنثور في التفسير المأثور: (2/ 93).

(4) أورده ابن الجوزي في مثير العزم الساكن: (1/ 354) منسوبا إلى أهل السير، وعزاه البكري في تاريخ الخميس: (1/ 99) لابن عباس رضي الله عنهما.

وروي: «أن الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

ابن العربي: خَلْقُ السواد في الأبيض، والبياض في الأسود من أهون مخلوقات الله تعالى.

وروي: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»[2].

ابن العربي: يحتمل أن يكون الباري طمس نورهما؛ لأن الخلق لا يحتملونه بأبصارهم، كما أطفأ حر النار حين أخرجها إلى الخلق من جهنم بِغَمْسِهَا في البحر.

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُبْعَثَنَّ هذا الحجر الأسود يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق»[3].

وعن ابن عباس: «الحجر يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله»[4].

---

(1) الجامع الكبير للترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، ح(877)، (2/ 218)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

(2) رواه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه، أبواب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، ح(878)، (2/ 218)، والفاكهي في أخبار مكة: (1/ 440)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا، وقال الترمذي: «وهو حديث غريب».

(3) رواه الترمذي في جامعه، أبواب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود، ح(961)، (2/ 286)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(4) رواه الفاكهي في أخبار مكة: (1/ 88)، وابن الجوزي في مثير العزم الساكن: (1/ 371)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا.

وعنه أيضا: «الركن الأسود يمين الله يصافح به عباده، كما يصافح أحدكم أخاه»[1].

أبو بكر بن فورك[2]: معناه أن الحجر من نعم الله تعالى؛ لأن العرب تعبر عن النعم باليمين واليد، جعله الله نعمة وسببا للثواب والأجر لمن صافحه وقربة إليه سبحانه لمن استلمه.

القرافي[3]: معنى ما روي أنه يمين الله تعالى في الأرض، إنه عهد الله الذي من استلمه كان له عند الله عهدا، ولما كانت العرب تسمي العهدَ يمينا إذا وضع أحد يمينه في يمين صاحبه، أو هو ضرب مثل كما جاء أن المصلي يسجد على قدم الرحمن، فمن وصل إلى قدم الملك فقد قرب منه أو لأنه يمين بيت الله.

ابن هلال في مناسكه: ضَعَّفَ حديث الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده حتى قال ابن العربي في عارضته: هو حديث باطل لا تلتفتوا إليه.

وروي: «استقبل رسول الله ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه، عليه فبكى طويلا ثم التفت، فإذا بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي، فقال يا عمر: ها هنا تسكب العبرات»[4].

---

(1) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 324)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا.

(2) محمد بن الحسين بن فورك أبو بكر، متكلم، فقيه، أصولي، أديب نحوي، لغوي، عارف بالرجال له مؤلفات كثيرة توفي عام: (406هـ). ترجمته في الدر الثمين: (1/ 23)، وإنباه الرواة: (3/ 110)، ووفيات الأعيان: (4/ 272)، وسير أعلام النبلاء: (17/ 214).

(3) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، من علماء المالكية، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول توفي عام: (648هـ). ترجمته في: الديباج المذهب: (62)، وشجرة النور: (188)، ومعجم المطبوعات: (1501)، والأعلام: (1/ 94، 95).

(4) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، ح(2945)، (2/ 982)، والفاكهي في أخبار مكة: (1/ 114)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، وضعفه الألباني في إرواء الغليل: (4/ 308).

وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: «قَبَّلَ الحجر ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[1].

زاد في بعض طرق هذا الحديث: ثم بكى حتى علا نَشِيجُهُ، فالتفت إلى ورائه، فرأى عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات/ وتستجاب الدعوات[2]. [13]

قال الخطابي[3]: في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنك حجر لا تضر ولا تنفع... إلخ، فيه اتباع السنن وإن لم تُعْرَفْ عِلَلُهَا[4].

أبو الفضل عياض: «فيه الاقتداء، وترك الاعتراض على السنن بالعقول، وإن تقبيل الحجر ليس عبادة له بل لله تعالى بامتثال أمره فيه كما أمر بسجود الملائكة لآدم، وشرع مع ذلك التكبير للناس إظهارا أن ذلك تذللا لِلَّهِ لا لغيره، وأن التحسين والتقبيح من قبل الشارع لا من قبل العقل، وأن ما جاء به الشرع فهو المحمود، وسر ذلك محض العبودية»[5].

ومعنى قوله: لا تضر ولا تنفع، أي في ذاتك وقدرتك، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء عليه والثواب، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نبّه على مخالفة الجاهلية من تعظيم الأحجار، وأخبر أنه إنما قَبَّلَهُ للسنة لا لعادة الجاهلية.

---

(1) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ح(1597)، (2/ 149)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، ح(1270)، (2/ 925)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

(2) أورد هذه الزيادة الغزالي في الإحياء: (1/ 242)، ولم أقف عليها مسندة.

(3) ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي المعروف بابن خبازة متصوف وواعظ وشاعر من الكتاب المترسلين توفي عام: (673هـ). ترجمته في أزهار الرياض: (2/ 379)، الأعلام: (7/ 341).

(4) ورد النص في معالم السنن للخطابي: (2/ 439)، مطبوع بهامش سنن أبي داود.

(5) الخبر ورد برواية مختلفة في أوجز المسالك: (7/ 124).

ويقال عند استلام الركن: بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك، وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك، واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ، «وكره مالك ذلك في المدونة»[1].

ابن حبيب[2]: إنما كرهه خوفا أن يرى واجبا، وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما يفعلانه، وابن رشد[3] لا يكره مالك لأحد أن يقوله، وإنما أنكر أن يكون هذا القول أمرا قد جرى به العمل فلا يتعدى إلى ما سواه، ابن حبيب.

وكان النبي ﷺ يقول عند استلامه الركن اللهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْاَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]، ويقول: اللهم إني أعوذ بك من مقام خزي في الدنيا والآخرة، ويقول أيضا: اللهم إني أستجير بك من النار[5].

وعن ابن عباس قال: «إن الله خلق ملكا حين خلق السماوات والأرض، فجعله عند الركن الأسود يقول: آمين، فإذا مررتم بالركن فقولوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[6].

---

(1) «المدونة في فروع المالكية» لأبي عبد الله عبد الرحمان ابن القاسم المالكي توفي سنة 191هـ، وهي من أجل الكتب في مذهب مالك وعليها عدة شروح واختصارات وتنبيهات، والكتاب مطبوع عدة طبعات، والنص في المدونة: (1/ 313).

(2) عبد الملك بن حبيب الإلبيري القرطبي، عالم الأندلس وفقيه عصره، رأسا في الفقه المالكي، له تصانيف كثيرة توفي عام: (238هـ)، ترجمته في تاريخ علماء الأندلس: (1/ 225)، بغية الملتمس: (364)، ميزان الاعتدال: (2/ 248)، الأعلام: (4/ 157).

(3) محمد بن أحمد ابن رشد أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية توفي عام: (520هـ). ترجمته في: قضاة الأندلس: (98)، كتاب الصلة: (518)، أزهار الرياض: (3/ 59)، الديباج المذهب: (278)، الأعلام: (5/ 316).

(4) سورة البقرة: الآية 199.

(5) رواه الفاكهي في أخبار مكة: (1/ 146)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

(6) رواه الفاكهي في أخبار مكة: (1/ 110)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

«وأنكر مـالك وضع الخد والجبهة على الحجر الأسود وقال هذه بدعة»[1].

ابن حبيب: ولا أحسب كراهة مـالك السجود عليه إلا في الْفُتْيَا خـشية أن يـرى أن ذلك واجب، فأمـا في خاصة الرجل في نفسه فلا بأس به قد جاء عن عمر بن الخطاب، وابن عباس رضي الله عنهمـا أنهمـا قبلا وسجدا عليه[2].

«ولا يرى مـالك بأسا في الزحام عليه مـا لم يكن مؤذيا»[3].

ابن حبيب: وجاز أن يستلم الركن من ليس في طواف.

وأمـا الـركن اليمـاني فقـد روي أن مَلَكـا موكـل بـه منـذ خلـق الله الـسمـاوات والأرض، فإذا مررتم به فقولوا:﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، فإنه يقول آمين، آمين[4].

وروي «أنه وكل به سبعون ألف ملك يؤمنون على الدعاء عنده»[5].

وروي عـن ابـن عمـر أنـه يكثـر اسـتلام الـركنين فقـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول:«إن مسحهمـا يـحط الخطايا حطا»[6].

---

(1) انظر النص في المدونة الكبرى:(1/ 296).

(2) الرأي ورد في أوجز المسالك:(7/ 122).

(3) ورد النص في المدونة:(2/ 304)، و في أوجز المسالك إلى موطأ مـالك:(7/ 122).

(4) تقدم قبلُ.

(5) رواه ابن مـاجه في سنـنه، كتـاب الـمناسك، باب فضل الطـواف، ح(2957)، (2/ 985)، والفـاكهي في أخبار مكة: (1/ 138)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا.

(6) رواه الطبراني في الكبير ح(13446)، (12/ 392)، وابن خزيمة في صحيحه ح(2729)، (4/ 218)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهمـا مرفوعا.

وأما الميزاب فإنه روي عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو في الطواف يقول: اللهم إني أسألك الراحة عند الممات، والعفو عند الحساب[1].

وفي الإحياء يقول: «اللهم أظلنا تحت العرش يوم لا ظل إلا ظلك وظل عرشك، اللهم اسقني بكأس محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شربة لا أظما بعدها أبدا.

ويقول عند الركن الشامي: اللهم اجعله حجا مبرورا، وسعيا مشكورا، وذنبا مغفورا، وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفار، يارب ارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الأعز الأكرم.

وعند الركن العراقي: اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك، والكفر والنفاق، والشقاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صلوا في مصلى الأخيار، وقيل: وما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب»[3].

وأما الملتزم فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين الركن والباب ملتزم من دعا الله عنده من ذي حاجة أو ذي كربة، أو ذي غم فرج عنه[4].

وفي الحديث: كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتزم من البيت عند وداعه ما بين الأسود إلى الباب، ويلصق به بطنه ووجهه»[5].

---

(1) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 319)، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما مرفوعا.

(2) ورد النص في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي مع تقديم وتأخير: (1/ 252).

(3) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 318)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا.

(4) رواه البهقي في السنن الكبرى، ح(9766)، (5/ 268)، موقوفا من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(5) لم أجده، وقد روى الفاكهي في أخبار مكة: (1/ 186)، من حديث نافع، أن ابن عمر رضي الله عنهما كان لا يلتزم من البيت شيئا.

مالك: المتعوذ ما بين الركن والباب لا بأس [باعتناقه][1] والتعوذ به.

مطرف[2]: سمعته يستحبه ويراه.

وفي الإحياء: «إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم، وهو ما بين الحجر والباب، وهو موضع [استجابة][3]، الدعاء وليلزق بالبيت، وليتعلق بالأستار، وليلصق بطنه بالبيت، وليضع عليه خده الأيمن، وليبسط عليه ذراعيه وكفيه، وليقل: اللهم رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار، وأعذني من الشيطان الرجيم، وأعذني من كل سوء، وقنعني بما رزقتني، وبارك لي فيما آتيتني، اللهم إن هذا البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم اجعلنا من أكرم وفدك عليك.

ثم ليحمد الله تعالى كثيرا، وليصل على رسول الله ﷺ كثيرا، وليدع بجميع حوائجه وكان بعض السلف يقول: في هذا الموضع لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي»[4].

وعن القاسم بن محمد[5]، وعمر بن عبد العزيز، وجعفر بن محمد[6]، وأيوب

---

(1) زيادة من النسخة(ب).

(2) مطرف بن طريف أبو عبد الرحمن الكوفي، الإمام المحدث القدوة توفي سنة:(142هـ). انظر الطبقات الكبرى:(6/ 241)، تاريخ الإسلام:(5/ 132)، تهذيب التهذيب:(10/ 174)، سير أعلام النبلاء:(6/ 127).

(3) زيادة من النسخة(ب).

(4) ورد النص بكامله في الإحياء للإمام الغزالي:(1/ 296).

(5) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد الفقهاء السبعة في المدينة توفي سنة:(107هـ). انظر: نكت الهميان:(230)، وفيات الأعيان:(1/ 418)، صفة الصفوة:(2/ 49)، الأعلام:(5/ 181).

(6) جعفر بن محمد الملقب بالصادق كان من أجلاء التابعين، أخذ عنه جماعة منهم: أبو حنيفة ومالك توفي عام:(148هـ). انظر وفيات الأعيان:(1/ 105)، صفة الصفوة:(2/ 92)، الأعلام:(2/ 126).

السختياني[1]، وحميد الطويل[2]، أنهم كانوا يلتزمون ظهر البيت بين الركن اليماني والباب المؤخر. وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ذلك الملتزم وهذا المتعوذ. ابن عبد البر فكأنه جعل ذلك موضع رغبة وهذا موضع استعاذة.

وأما فضل الشرب من ماء زمزم فعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطع». الحديث[3].

وفي سنن الدارقطني[4]:«جاء رجل فقال لابن عباس شربت من زمزم، فقال له ابن عباس: أشربت منها كما ينبغي، قال: وكيف ذلك يا ابن عباس؟ فقال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثا، وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله، فإن رسول الله ﷺ قال: آية بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من زمزم».

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق»[5].

---

(1) أيوب السختياني بن أبي تميمة كيسان البصري، سيد فقهاء عصره، تابعي من حفاظ الحديث توفي عام:(131هـ). انظر حلية الأولياء:(3/ 3)، سير أعلام النبلاء:(6/ 15)، تهذيب التهذيب:(1/ 297)، الأعلام:(2/ 38).

(2) حميد بن أبي حميد الطويل، تابعي من أهل الحديث، مات وهو قائم يصلي سنة 142هـ. انظر شذرات الذهب:(1/ 211)، خلاصة تهذيب الكمال:(80)، الأعلام:(2/ 238).

(3) الحديث بزياة «إن شربته تستشفي...» باطل موضوع كما قال الألباني في إرواء الغليل: (4/ 329)، وقد أخرجه كذلك الدارقطني في سننه ح (2739)، (3/ 354)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

(4) ح (2736)، (3/ 353)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة: (3/ 208): «هذا إِسْنَاد صحيح رِجاله ثقات».

(5) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 52)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، وإسناده موضوع؛ آفته الواقدي فإنه كذاب. انظر السلسلة الضعيفة ح(2682)، (6/ 203).

وعن ابن عباس: «اشربوا/ من شراب الأبرار، وصلوا في مصلى الأخيار، وشراب الأبرار ماء زمزم، ومصلى الأخيار تحت الميزاب»[1]. [14]

قد جاء أنه لا يعمد إليها امرؤ يتضلع منها ابتغاء بركتها إلا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء وأحدث له شفاء.

ابن العربي: ولقد كنت بمكة سنة تسع وثمانين وأربعمائة أشرب ماء زمزم كثيرا وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربته لهما!

وعن الحميدي[2]: «كنا عند سفيان بن عيينة[3]، فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شُرِبَ لَهُ، فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال له: يا أبا محمد أليس الحديث الذي حدثتنا في زمزم صحيحا؟ فقال سفيان: نعم، فقال: إني شربت الآن دلوا من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث»، فقال سفيان: اقعد، فحدثه بمائة حديث[4].

ابن حبيب: يُسْتَحَبُّ لمن حج أن يستكثر من ماء زمزم تبركا ببركته، ويكون منه شربه ووضوءه واغتساله ما أقام بمكة، ويكثر من الدعاء عند شربه، ويتزود منه إلى بلده، فإنه شفاء لمن استشفى به.

---

(1) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 318)، موقوفا من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(2) عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أحد الأئمة في الحديث من أهل مكة، وهو شيخ البخاري، توفي بمكة سنة: (219هـ). ترجمته في تهذيب التهذيب: (5/ 215)، سير أعلام النبلاء: (10/ 112- 116)، الأعلام: (4/ 87).

(3) سفيان بن عيينة محدث الحرم المكي، كان حافظا ثقة، واسع العلم، كبير القدر توفي عام: (198هـ). ترجمته في تذكرة الحفاظ: (1/ 242)، ميزان الاعتدال: (1/ 397)، تاريخ بغداد: (9/ 174)، الأعلام: (3/ 105).

(4) أسنده الدينوري في المجالسة وجواهر العلم: (2/ 342)، وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن: (ص324)، من حديث الحميدي عن ابن عيينة.

الغزالي: «وليستق بيده من غير استنابة إن أَمْكَنَهُ. وكان ابن عباس يقول، إذا شرب من زمزم: اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا واسعا، وشفاء من كل داء وسقم، وارزقني الإخلاص واليقين، والمعافاة في الدنيا والآخرة»[1].

ابن شعبان[2]: لا يغسل بماء زمزم ميت، ولا نجاسة، ابن أبي زيد قوله خلاف قول مالك وأصحابه.

وتعقب التونسي[3] أيضا قول ابن شعبان وقال: ليس بظاهر أبي الحسن اللخمي على القول بطهارة الميت يجوز غسله بماء زمزم بل هو أولى لما يرجى من بركته، وذكر بعضهم أن من استنجى به يحدث الباسور[4]، وأن أهل مكة يتقون الاستنجاء به.

وروي عن ابن حنبل كراهة الاغتسال به.

وأما فضل الطواف، فمما روى فيه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت، فستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»[5].

---

(1) ورد النص في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (1/ 269).

(2) أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان العماري، كان صاحب سنة وإتباع، فقيه مع ورع وتقوى، توفي عام: (355هـ). ترجمته في ميزان الاعتدال: (4/ 14)، لسان الميزان: (5/ 348)، الديباج المذهب: (2/ 194)، شجرة النور الزكية: (80).

(3) محمد بن محمد بن أبي القاسم التونسي، من فضلاء المالكية، تونسي الأصل، توفي سنة: (763هـ). ترجمته في الدرر الكامنة: (4/ 264)، الأعلام: (7/ 37).

(4) الباسور: داء معروف وجمعه البواسير. اللسان: مادة بسر.

(5) أخرجه الطبراني في الكبير ح(11475)، (11/ 195)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، وقال الهيثمي في المجمع: (3/ 292): «وفيه يوسف بن السفر، وهو متروك».

وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا خرج المرء يريد الطواف، أقبل يخوض في الرحمة فإذا دخله غمرته الرحمة، ثم لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا كتب الله عز وجل بكل قدم خمسمائة حسنة، وحط عنه خمسمائة سيئة، أو قال خطيئة، ورفعت له خمسمائة درجة، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكتب الله له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل عليه السلام، واستقبله ملك الركن ويقول: استأنف العمل فيما بقي، فقد كفيت ما مضى، ويشفع في سبعين من أهل بيته»[1].

وعن ابن عباس: «أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ، وعليه عصابة حمراء قد علاها الغبار، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الغبار الذي أرى؟ فقال: إني زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن، فهذا الغبار مما تثير أجنحتها»[2].

وعليك أيها الأخ بالسكينة والوقار، وحسن الأدب، فإن الطائف بالبيت في صلاة. وروي: «الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير»[3].

سئل مالك هل يقرأ الرجل في الطواف بالبيت الواجب عليه ويتحدث مع الرجل؟ فقال: لا أحب ذلك[4].

---

(1) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 4)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا.

(2) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 35)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الحج، باب ما جاء في الكلام في الطواف، ح(960)، (2/ 285)، وقال: «وقد روي هذا الحديث، عن ابن طاووس وغيره، عن طاووس، عن ابن عباس موقوفا، ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عطاء بن السائب والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم: يستحبون أن لا يتكلم الرجل في الطواف إلا لحاجة، أو بذكر الله تعالى، أو من العلم».

(4) انظر القضية في الموطأ: (1/ 507).

وفي المدونة: كان مالك يوسع فيما خف من الحديث في الطواف، ولا ينشد فيه شعرا. وكره في المدونة قراءة القرآن في الطواف[1].

وإياك أيها الأخ ومعاصي الله، وألزم حسن الأدب والسكينة والوقار، ولا تطوفن مع النساء، ولا تزاحمهن، وليكن طوافهن خلف الرجال، واغضض بصرك عن المحارم، وخصوصا زمن الإحرام، فيجب التحفظ إذ يكشف النساء عن وجوههن، وازجر هواك في مثل هذا المقام تعظيما له وتوقيرا له ومهابة.

قال أبو الفرج ابن الجوزي[2]: وقد فسد خلق كثير بإطلاق أبصارهم هناك، روي أن رجلا كان يطوف فرمق ساعد امرأة، فوضع ساعده عليه، فلصقت ساعداهما، فأتى بعض الشيوخ فقال: له ارجع إلى المكان الذي فعلت به، فعاهد ربك ألا تعود، ففعل، فخلى سبيله.

وعن أبي نجيح[3]: أن رجلا وامرأة حجا من الشام، فقبلها وهما يطوفان، فَمُسِخَا حجرين، ولم يزالا في المسجد الحرام حتى جاء الله بالإسلام فأخرجا[4].

---

(1) ورد النص في المدونة الكبرى للإمام مالك:(1/ 318).

(2) عبد الرحمن بن علي الجوزي أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف، توفي عام:(597هـ).

ترجمته في: وفيات الأعيان:(1/ 297)، البداية والنهاية:(1/ 13/ 28)، مفتاح السعادة:(2/ 207)، الأعلام:(3/ 317).

(3) أبو نجيح، يسار مولى الأخنس بن شريق الثقفي المكي، وثقه وكيع، وجماعة أخرى، توفي سنة:(109هـ). ترجمته في: تهذيب الكمال:(11/ 95)، تاريخ الإسلام:(2/ 1209)، تهذيب التهذيب:(11/ 377).

(4) النص ورد بتصرف في أوجز المسالك:(7/ 160).

وروي: «أن أسافا ونائلة كانا في البيت فقبل أحدهما الآخر فمسخا حجرين»[1].

وعن حويطب بن عبد العزى[2] قال: «كنا جلوسا بفناء البيت فجاءت المرأة إلى البيت تعوذ من زوجها فجاء زوجها، فمد يده إليها، فيبست يده، وأنا رأيته بعد في الإسلام وإنه لَأَشَلّْ»[3].

وعن وهيب بن الورد[4] قال: «كنت أطوف أنا وسفيان الثوري بالبيت ليلا، فانقلب سفيان، وبقيت في الطواف، فدخلت الحجر، فصليت تحت الميزاب، فبينما أنا ساجد إذ سمعت كلاما بين أستار الكعبة والحجارة وهو يقول: يا جبريل أشكو إلى الله ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من تفكههم في الحديث، ولغطهم، وسهوهم[5].

زاد في الإحياء: لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه»[6]، قال وهيب: فأولت أن البيت شكا إلى جبريل.

---

(1) ذكر الخبر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: (15/ 13)، وقيل: إساف وأساف بكسر الهمزة وفتحها: اسم صنم لقريش، قال الجوهري وغيره: إساف ونائلة صنمان كانا لقريش وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة، وزعم بعضهم أنهما كانا من جرهم، وهما إساف ابن عمرو ونائلة بنت سهل، ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين عبدتهما قريش. انظر اللسان مادة أسف. والخبر أسنده الأزرقي في أخبار مكة: (1/ 119) من طريق محمد ابن إسحاق، ورواه البزار (كشف الأستار) ح(1173)، (2/ 47)، من حديث عائشة رضي الله عنها موقوفا، وقال البزار: «لا نعلمه عن عائشة إلا بهذا الإسناد».

(2) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود، صحابي من المعمرين، توفي سنة: (54هـ). ترجمته في المحبر: (91)، المعارف: (176)، الأعلام: (2/ 289).

(3) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (3/ 292).

(4) وهيب بن أبي الورد المخزومي من العباد الحكماء توفي سنة: (153هـ). ترجمته في حلية الأولياء: (8/ 140)، صفة الصفوة: (2/ 123)، مرآة الجنان: (1/ 323)، الأعلام: (8/ 126).

(5) أورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور: (1/ 252).

(6) ورد النص بتصرف في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (2/ 254).

وروي عن الموفق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «أنه رقد في الحجر فسمع البيت يقول: لئن لم ينته الطائفون حولي عن معاصي الله، لأصرخن صرخة أرجع إلى المكان الذي جئت منه»[2].

تنبيه: ابن شاس[3] في شروط الطواف أن يطوف خارج البيت، ولا يمشي على شاذروانه، وتبعه ابن الحاجب[4]، وتبعهما أبو المودة[5]، ولم يتعقب ابن عبدالسلام[6]، ولا ابن عرفة[7]، على ابن الحاجب، وهو نحو قول الغزالي في الإحياء: «أن الشاذروان من البيت وهو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار»[8].

---

(1) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي موفق الدين، فقيه من أكابر الحنابلة، له تصانيف صاحب المغني توفي عام:(620هـ). ترجمته في البداية والنهاية:(13/ 99)، فوات الوفيات:(1/ 203)، شذرات الذهب:(5/ 88)، الأعلام:(4/ 67).

(2) الخبر ورد عند السيوطي في الدر المنثور:(1/ 252)، برواية مختلفة.

(3) عبد الله بن محمد بن شاس المصري، شيخ المالكية في عصره بمصر، مات بها سنة:(616هـ). ترجمته في شذرات الذهب:(5/ 69)، شجرة النور الزكية:(165)، كشف الظنون:(1/ 613)، الأعلام:(4/ 124).

(4) عمر بن محمد المعروف بابن الحاجب عالم بالحديث ورحل في طلبه رحلة واسعة، توفي عام:(630هـ). ترجمته في شذرات الذهب:(5/ 138)، الأعلام:(5/ 62).

(5) أبو المودة، لم أقف على ترجمته.

(6) عبد العزيز بن عبد السلام، فقيه شافعي بلغ الاجتهاد توفي عام:(650هـ). ترجمته في فوات الوفيات:(1/ 287)، النجوم الزاهرة:(7/ 208)، الأعلام:(4/ 21).

(7) محمد بن محمد بن عرفة، فقيه مالكي له مؤلفات كثيرة توفي عام:(803هـ). ترجمته في نيل الابتهاج:(274)، الضوء اللامع:(9/ 240)، غاية النهاية:(2/ 243)، الأعلام:(7/ 43).

(8) انظر النص في إحياء علوم الدين:(2/ 261).

وصرح ابن الصلاح أيضا بأنه من البيت، وتعقب ذلك كله عليهم الشيخ الخطيب الأديب الراوية الرحالة المحدث أبو عبد الله محمد بن عمر/ ابن رشيد الفهري[1] في رحلته فقال: «إن الشافعية رأوا أن الشاذروان من البيت، وأن قريشا لما بنته نقصوا من عرض جدار أساسه ذلك»[2]. [15]

وصرح ابن الصلاح منهم بذلك قال: وما قاله ابن الصلاح لم يرد به حديث صحيح، ولا ورد عن قول صحابي يصح سنده، ولعل ذلك من نقل التاريخيين ولو صح هذا النقل.

وقد هدم ابن الزبير رضي الله عنهما الكعبة، وأسسها على قواعد إبراهيم عليه السلام، والحجاج لم يهدم مما بناه ابن الزبير إلا ناحية الحجر، وذلك أمر مقطوع به، مجمع عليه، منقول بالسند الصحيح في الكتب المعتمدة، فإذا ثبت هذا فكيف يقال: إن هذا القدر الظاهر الآن مما نقصته قريش من عرض الجدار، وهل بقي لبناء قريش أثر.

فالسهو والغلط في ما نقله ابن الصلاح مقطوع به، والعصمة للأنبياء.

ونقل أبو عبيد[3] أن ابن الزبير لما هدم الكعبة، وألصقها كلها بالأرض من جوانبها جميعا، وظهرت أُسُسُهَا، وأشهد الناس عليها، ثم وضع البناء على ذلك الأساس. قال:

---

(1) محمد بن عمر أبو عبد الله ابن رشيد الفهري السبتي، رحالة عالم بالأدب والتفسير والتاريخ، توفي عام: (721هـ). ترجمته في الدرر الكامنة: (4/ 111)، بغية الوعاة: (1/ 85)، سلة الأنفاس: (2/ 191)، الأعلام: (6/ 314).

(2) انظر رحلة ابن رشيد السبتي: (5/ 21).

(3) هو القاسم بن سلام أبو عبيد الهروي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، توفي سنة: (224هـ). ترجمته في وفيات الأعيان: (1/ 418)، تذكرة الحفاظ: (2/ 5)، تهذيب التهذيب: (7/ 315)، الأعلام: (5/ 176).

فهذا الذي يسميه الناس اليوم الشاذروان اسم حادث على شيء وُضِعَ لِيُصَانَ به الجدار خِيفَةَ إحفاف السيول. [وذكر ابن عبد ربه في صفة البيت ما فيه إشارة أيضا أنه جعل حول البيت ليقيه من السيول][1].

وقال تقي الدين ابن تيمية في مناسكه:«وليس الشاذروان من البيت، بل جعل عمادا للبيت، ومما يؤيد ذلك أن داخل الحجر تحت حائط الكعبة شاذروانا نظير الشاذروان الذي خارج البيت».

وقول ابن رشيد لم يهدم الحجاج مما بناه ابن الزبير إلا ناحية الحجر يشهد له ما في مسلم[2]:«لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أُسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك، أما ما زاد في طوله فأقره وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه».

وتعقب أيضا الشيخ الفقيه العلامة أبو العباس القباب[3]، أحد أعلام فاس في شرح القواعد لعياض ما حذر منه من ذلك، واستبعد صحته، وتعجب من ذلك بأن هذه الدقيقة كيف يمكن أن تخفى على الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أهل العلم، فلا ينتبه أحد لها، أو ينبه عليها، مع تكرار الحج كل عام، انتهى.

وقد اختلف في الطواف بعد العصر والصبح بالجواز والكراهة، وعلى الجواز يؤخر الركعتين إلى الغروب وطلوع الشمس.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من نسخة(ب).

(2) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ح(1333)، (2/ 970)، ضمن حديث طويل لعطاء.

(3) أبو العباس القباب أحمد القباب أحد أعلام المغرب في الفقه المالكي، توفي سنة:(979هـ). ترجمته في موسوعة أعلام المغرب:(2/ 924).

قال إمامنا مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موطئه: «ومن طاف بالبيت بعض سبعة، ثم أقيمت صلاة الصبح، أو صلاة العصر، فإنه يصلي مع الإمام ثم يبني على ما طاف حتى يكمل سبعا ثم لا يصلي حتى تطلع الشمس أو حتى تغرب، وإن أخرهما حتى يصلي المغرب فلا بأس بذلك»[1].

قال الشيخ خليل[2] في مختصره: «وقطعه للفريضة وندب كمال الشوط له وبنى»[3].

فإذا علمت أنه لا يقطع لغير الفريضة المقامة عليه فإن هذه المسألة تقع هناك كثيرا، وهي أن المسجد الحرام فيه أربع مقامات لأهل المذاهب الأربعة، فهل يقطع إذا أقيمت عليه صلاة أحد هذه الأئمة الأربعة المرتبين في مقاماتهم في المسجد الحرام أم لا؟

فجرى بعض المتأخرين على أن مقاماتهم هل تعد كمساجد أو كمسجد واحد، وأن الإمام الراتب هو الأول وما عداه كجماعة بعد جماعة في مسجد واحد له إمام راتب، فعلى الأول يقطع إذا أقيمت عليه صلاة أحدهم، وعلى الثاني لا يقطع لغير صلاة الأول.

وأفتى الإمام أبو محمد عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عطاء الله المالكي[4] مؤلف البيان والتقريب في شرح التهذيب[5]، المعاصر لابن الحاجب، ورفيقه في القراءة على أبي

---

(1) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ: (1/ 503).

(2) خليل بن إسحاق فقيه مالكي صاحب المختصر المشهور في الفقه توفي سنة: (776هـ). ترجمته في الدرر الكامنة: (2/ 86)، حسن المحاضرة: (1/ 252)، الديباج المذهب: (115)، الأعلام: (2/ 315).

(3) ورد النص في مختصر الشيخ خليل ص: (79).

(4) أبو محمد عبد الكريم بن عبد الرحمن ابن عطاء الله الإسكندري المالكي، إمام الفقه والأصول والعربية في عصره، له مؤلفات كثيرة، توفي عام: (612هـ). ترجمته في حسن المحاضرة للسيوطي: (1/ 456)، الديباج المذهب: (2/ 43)، شجرة النور الزكية: (1/ 67).

(5) البيان والتقريب في شرح التهذيب لعبد الكريم بن عبد الرحمن ابن عطاء الله الإسكندري، وهو كتاب كبير جمع فيه علما جما، وفوائد غزيرة، وأقوالا غريبة، نحو سبع مجلدات ولم يكمله رحمه الله.

الحسن الأبياري[1]، بما نصه: الصلاة خلف كل إمام من الأئمة الذين أمر بترتيبهم إمام المسلمين خليفة الله في الأرض أعزه الله و نصره، وأعلى أبدا كلمته في مقاماتهم المذكورة تامة لا كراهة فيها، إذ مقاماتهم المذكورة كمساجد متعددة لأمر الإمام بذلك، وسواء في ذلك الأول ومن بعده، وإذا كان الإمام الأول يصلي في أول الوقت فالصلاة خلف غيره ممن يؤخر إلى ربع الإقامة أفضل في غير الصبح والمغرب، والمصلي خلف إمام المقام كالمصلي خلف غيره والله أعلم. وكتبه عبد الكريم بن عبدالرحمن بن عطاء الله، وأجاب بعده العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي الأنصاري[2]، بما نصه: «كذلك أقول، غير أن ترتيب الأئمة في الوقت إن كان بإذن الإمام فلا سبيل إلى مخالفته، وإن كان بغير إذنه فكل إمام يحافظ على ما هو الأفضل عند إمامه، ولا يجوز لمتبع إمام أن يخالف مذهب إمامه بغير موجب شرعي، والله أعلم».

وكتبه أحمد بن عمر القرطبي، وتوفي بالإسكندرية سنة ست وعشرين وستمائة. ووافقهما العلامة عبد الله بن سعيد الريغيني الإسكندري[3]، والعلامة قاضي القضاة محمد بن الحسين بن رشيق[4]، قاضي الإسكندرية، وقال بعضهم: إن الإمام الراتب هو

---

(1) هو علي بن إسماعيل بن علي بن عطية الأبياري، فقيه أصولي متكلم مقرئ، له تصانيف، توفي عام: (626هـ). ترجمته في حسن المحاضرة: (1/ 454)، الديباج المذهب: (2/ 121)، معجم المؤلفين: (7/ 37).

(2) أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي يعرف بابن المزين، محدث، فقيه، رحالة توفي سنة: (656هـ). ترجمته في البداية والنهاية: (13/ 213)، حسن المحاضرة: (1/ 260)، نفح الطيب: (2/ 5)، معجم المؤلفين: (2/ 27).

(3) لم أقف على ترجمته.

(4) محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق قاضي الإسكندرية، مفتيا في المذهب المالكي توفي سنة: (680هـ). ترجمته في الوافي بالوفيات: (1/ 237)، الديباج المذهب: (2/ 322)، شجرة النور الزكية: (1/ 182).

إمـام المقام، ولا شيء لأمر الخليفة في رفع الكراهة الحاصلة في جمع جمـاعة بعد جمـاعة. وألف في ذلك تأليفا.

ثم اعلم أن المسجد الحرام كان صغيرا، ولم يكن عليه جـدار، وإنمـا كانـت الـدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل النـاس مـن ناحيـة، فـضاق المـسجد عـلى النـاس، فاشترى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دورا فهدمها، ثم أحاط عليه جدارا قصيرا.

ثم وسع المسجد عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشترى من قوم، ثم زاد فيـه ابـن الـزبير رضي الله عنهمـا، اشترى دورا فأدخلها فيه، ثم زاد المنصور في شـقه الـشامي، ثـم زاد المهـدي: وكانت الكعبة في جانب، فأحب أن تكون وسطا، فاشـترى دورا ووسـطها، وأول مـن نفذ إليه أساطين الرخام وسقفه بِالسَّاج[1] المزخرف الوليـد بـن عبـد الملـك، وليقـصد الداخل الدخول من باب بني شـيبة، وهـو الآن معـروف ببـاب الـسلام، وراء المقـام، ويقف على بابه ناظرا إلى البيت ثم يرفع/ يديه للدعاء. [16]

ثم إن النظر للبيت عبادة ، كمـا روى ابن المـسيب[2]:«مـن نظـر إلى الكعبـة إيمـانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه»[3].

وقال عطاء:«الناظر إلى البيت بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سـبيل الله، ونظرة إلى البيت تعدل عبادة سنة قيامها وركوعها وسجودها»[4].

---

(1) الساج: الطيلسان الضخم الغليظ. اللسان: مـادة سوج.

(2) سعيد بن المسيب القرشي سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحـديث والفقـه والزهـد والورع، توفي سنة:(94هـ). ترجمته في الطبقات الكبرى:(5/ 88)، وفيات الأعيـان:(1/ 206)، صـفة الصفوة:(2/ 44)، الأعلام:(3/ 102).

(3) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 9).

(4) أورده الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 9)، بلاغا عن عطاء، كمـا عزاه إليه أيضا ابن الجوزي في مثير العـزم الساكن: (1/ 388).

أبو السائب[1]:«من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر»[2].

وحجت امرأة عابدة فجعلت تقول: أين بيت ربي فقيل لها: الآن ترينه، فلما لاح البيت قالوا: هذا بيت ربك، فاشتدت نحوه، فألصقت جبينها بحائط البيت، فما رُفِعَتْ إلا وهي ميتة[3].

وسئل مالك عن دخول البيت والصلاة فيه فقال: ذلك واسع حسن.

وكان محمد ابن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]، إذا دخله صلى فيه ثمان ركعات في كل زاوية ركعتين. وكان الحسين بن علي رضي الله عنهما يكبر في نواحي الكعبة إذا دخله.

ومن تعذر عليه دخول البيت فليدخل الحجر فإنه بعض البيت، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:«كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه فأخذ النبي ﷺ بيدي فأدخلني على جدار الحجر»[5].

---

(1) عتبة بن عبيد الله بن موسى أبو السائب، قاض متصوف وزاهد، توفي سنة:(350هـ). ترجمته في تاريخ بغداد:(12/ 320)، شذرات الذهب:(3/ 5)، الأعلام:(4/ 201).

(2) رواه الأزرقي في تاريخ مكة: (2/ 9)، من حديث أبو السائب المديني موقوفا.

(3) أسنده الفاكهي بنحوه في أخبار مكة: (1/ 167)، من حديث عبد المجيد بن أبي رواد عن أبيه، وذكره بلفظه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن: (1/ 389).

(4) محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، كان واسع العلم، ورعا، أسود اللون، توفي سنة:(81هـ). ترجمته في: الطبقات الكبرى:(5/ 66)، حلية الأولياء:(3/ 173)، وفيات الأعيان:(1/ 449).

(5) أخرجه من حديث عائشة أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الصلاة في الحجر، ح(2028)، (2/ 214)، والترمذي في جامعه، أبواب الحج، باب ما جاء في الصلاة في الحجر، ح(876)، (2/ 217)، والنسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب الصلاة في الحجر، ح(2912)، (5/ 219). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وتمامه: «فقال: صلي في الحجر إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت».

ولنذكر هنا بعض ما يحتاج إليه من الأدب وما يطلب اجتنابه في ذلك المقام الشريف منها[1]:

- استحباب دخول مكة نهارا، ويرمل ثلاثا في طواف القدوم، ولا يرمل في طواف الإفاضة، ولا في طواف العمرة إن لم يحرم من الميقات، وكذا سائر الأطوفة.

- ويستحب الدنو للبيت كالصف الأول منه، وليحذر مما يفعله بعض العوام من وقوفهم عند كل موضع ليقولوا أذكارا، ومن جَبْذِ بعضهِم الحلق التي بباب الكعبة، وضربها على الباب، وربما قال: ندق باب ربنا.

- وليحذر أيضا الداخل للبيت مما يفعله بعضهم من كشف سرته، ووضعها على مسمار وضعه بعضهم وسط البيت، وسموه بسرة الدنيا. ومن مس ما وضع في الجدار المقابل للباب ويسمونه العروة الوثقى فيقاسي عليه العوام حتى يصلوا إليه، وقد بطل الأمران في هذا الزمان والحمد لله.

- وليعظم حرمة البيت، قالت عائشة رضي الله عنها: «عجبا للمرء المسلم إذا دخل البيت كيف يرفع بصره قِبَلَ السقف، لِيَدَعْ ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاما، دخل رسول الله ﷺ الكعبة، فما خلف نظره موضع سجوده حتى خرج منها»[2].

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «الدعاء مستجاب في خمسة عشر موضعا: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعند الصفا، وعند المروة، وفي

---

(1) وردت أحاديث كثيرة في الكتب الصحاح والسنن تبين هذه الآداب كلها، سواء تعلقت بدخول مكة المكرمة، أو بجميع مناسك الحج.

(2) رواه ابن خزيمة في صحيحه ح(3012)، (4/ 332).

السعي، وخلف المقام، وفي عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث»[1].

وأصل السعي بين الصفا والمروة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2]، وسعي هاجر أم سيدنا إسماعيل بينهما، ويستحب النزول بنمرة في عرفة؛ لأن بها ضربت قبة النبي ﷺ فنزل بها، والسنة قصر الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة، فإذا صليت أيها الأخ الظهرين قصرا فخذ بالتكبير والتهليل والتحميد والصلاة على النبي ﷺ، واستند إلى الهضاب من سفح الجبل، وحيث يقف الإمام أفضل، وإن وقفت عند الصخرة من سفح الجبل فهو أفضل؛ لأنه موقف رسول الله ﷺ، قال مالك: «لا أحب أن يقف على جبال عرفة، ولكن مع الناس، وحيثما وقفت من عرفات أجزاك».

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عرفة كلها موقف»[3]، و«ارتفعوا عن بطن عرنة»[4].

---

(1) عزاه إلى الحسن البصري في رسالته المشهورة إلى أهل مكة ابن الإمام في كتابه سلاح المؤمن في الدعاء (ص175).

(2) سورة البقرة: الآية 157.

(3) طرف من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما جاء في أن عرفة كلها موقف، ح(1218)، (2/ 893)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، ولفظه: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت هاهنا، وجمع كلها موقف».

(4) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح(2282)، (2/ 379)، والصغير ح(157)، (1/ 110)، من حديث عمرو بن معدي كرب الزبيدي مرفوعا، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن شرقي بن القطامي إلا محمد بن زياد بن زبار الكلبي».

وينبغي الإقبال فيه على الذكر والتضرع، ولا يفعل ما يفعل العوام من بيعهم وشرائهم يومئذ، بل يقبل على الدعاء راغبا، وراهبا، وراجيا، مستشعرا أنه واقف بين يدي رب العالمين، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وليقطع جميع العلائق قبل الزوال: «فإن الحج عرفة»[1]، وفيه تستقال العثرات، وتنجح الطلبات، وتستمنح الخيرات، وتغفر الزلات، وإنه لموقف عظيم، ومجمع جليل، يجتمع فيه خيار عباد الله كذلك إلى غروب الشمس، ففي الحديث: «لم يزل النبيﷺ واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة»[2]، فقال في الإكمال: فيه الاحتياط بالمكث حتى تزول الصفرة. وإن تحقق المغيب ليأخذ جزءا من الليل.

وقد روي عن بعض السلف أن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات، ويظن أن الله تعالى لم يغفر له، وكذلك قال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لسائل سأله عن أخسر الناس صفقة، فقال سفيان: أخسر الناس صفقة من ظن أن الله تعالى لم يغفر لهؤلاء.

روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه دعا لأمته عشية يوم عرفة بالمغفرة فأجيب إني غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه، فقال إي ربي إن شئت أعطيت المظلوم من الخير، وغفرت للظالم، فلم يُجَبْ عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك رسول الله ﷺ، أو قال تَبَسَّمَ، فقال أبو بكر وعمر: إن هذه لساعة ما

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، ح(1949)، (2/ 196)، والترمذي في جامعه، أبواب الحج، باب ما جاء فيمن أرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، ح(889)، (2/ 229)، والنسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة، ح(3016)، (5/ 256)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، ح(3015)، (2/ 1003)، جميعهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي مرفوعا.

(2) قطعة من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل فى حجة النبى ﷺ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ح(1218)، (2/ 890).

كنت لتضحك فيها، فما الذي أضحكك؟ أضحك الله سنك، قال: إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي، وغفر لأمتي، أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فأنا أضحك مما رأيت من جزعه»[1].

وفي رواية عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المغفرة تنزل مع الحركة الأولى فإذا كانت الدفعة العظمى فعند ذلك يضع إبليس التراب على رأسه يدعو بالويل والثبور فيجتمع عليه شياطينه فيقولون مالك؟ فيقول: قوم فتنتهم منذ ستين وسبعين سنة، غفر لهم في طرفة عين»[2].

وفي الصحيح: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما رُؤِيَ الشيطان يوما هو أصغر ولا أحقر ولا أدخر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا أن الرحمة تنزل فيه فيتجاوز فيه عن الذنوب العظام»[3].

[17] وعن أبي هريرة قال: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:/ «إن الله يباهي الملائكة بأهل عرفة وأهل المشعر، يقول لهم: انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثا غبرا أشهدكم أني قد غفرت لهم»[4].

---

(1) أخرجه البوصيري في مصباح الزجاجة ح(1058) (3/ 202)، من حديث عباس بن مرداس السلمي، وقال البوصيري: «هذا إسناد ضعيف، عبد الله بن كنانة قال البخاري: لا يصح حديثه. اهـ. ولم أر من تكلم فيه بجرح ولا توثيق، روى أبو داود بعضه عن عيسى بن إبراهيم البركي، وأبي الوليد عن عبدالقاهر بن السري به رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث العباس أيضا، ورواه البيهقي في سننه الكبرى من طريق أبي داود الطيالسي عن عبد القاهر فذكره بالإسناد والمتن جميعه، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن إبراهيم بن الحجاج ثنا عبد القاهر بن السري فذكره، وله شاهد من حديث عائشة رواه مسلم وغيره».

(2) رواه الفاكهي في أخبار مكة: (4/ 310)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا.

(3) رواه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن: (1/ 248)، من حديث طلحة ابن عبيد الله مرفوعا.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده ح(8047) (13/ 415)، مرفوعا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (3/ 252): «ورجاله رجال الصحيح».

وليكثر من دعاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: «يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا تضجره مسألة السائلين، أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك»(1).

وسميت عرفات لتعارف آدم وحواء عليهما السلام بها، وقيل: لقول النبي ﷺ لجبريل: عرفت لما قال له هذا موضع كذا، هذا موضع كذا، فيقول له النبي ﷺ: عرفت(2)، وقيل غير ذلك.

فإذا انتهيت إلى منى، فارم جمرة العقبة من أسفلها من بطن الوادي، بعض العلماء يقول عند كل حصاة: لا إله إلا الله والله أكبر رغم الشيطان وحزبه، واستحب بعضهم أن يقول عند كل حصاة: الله أكبر في طاعة الرحمن وغضب الشيطان، قال ابن جزي(3) في أصل رمي الجمار: إن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من البيت، أتاه جبريل فأراه الطواف، ثم أتى به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعا، وقال له: ارم وكبر، فَرَمَيَا، وَكَبَّرَا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، [ثم أتى به الجمرة الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعا، وقال له: ارم، فرميا، وكبرا مع كل رمية حتى غاب

---

(1) ورد النص في الإحياء للإمام الغزالي: (2/ 266).

(2) رواه الفاكهي في أخبار مكة: (4/ 305)، عن عطاء موقوفا، ولكنه محكي عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وليس النبي محمد ﷺ كما يفهم من الحديث، ولفظه عند الفاكهي: «عن عطاء قال: إنما سميت عرفات؛ لأن جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يري إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ المناسك، ثم يقول: عرفت؟ فيقول: عرفت. ثم يقول: عرفت؟ فيقول: عرفت. فسميت عرفات».

(3) محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، له مؤلفات كثيرة، توفي عام: (741هـ). ترجمته في أزهار الرياض: (3/ 184)، الدرر الكامنة: (3/ 356)، نفح الطيب: (3/ 356)، والأعلام: (2/ 325).

الشيطان][1]، ثم أتى به الجمرة القصوى، ففعلا كذلك. وقيل: إن الكبش الذي فُدِيَ به ولد إبراهيم عليهما السلام، هرب من إبراهيم عليه السلام، فأتبعه، فرماه عند الجمرة الأولى بسبع حصيات، فأفلت عندها، فجاء الجمرة الوسطى، فرماه عندها بسبع حصيات، ثم كذلك في الجمرة القصوى.

ثم اعلم وفقنا الله وإياك أن التبرك بما مسه النبي ﷺ، أو شرب فيه، أو كان له به سبب. قال القاضي عياض رحمه الله: «لم يزل المسلمون على تعظيم ما كان له منه سبب، والتبرك به بالصلاة فيها والدعاء»[2].

وفي الموطأ عن محمد بن عمران الأنصاري[3]، عن أبيه أنه قال: «عدل إلي ابن عمر وأنا نازل تحت سرحة[4]، بطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلها، فقال: هل غير ذلك، فقلت: ما أنزلني غير ذلك، فقال عبد الله بن عمر، قال رسول الله ﷺ: إذا كنتَ بين الأَخْشَبَيْنِ[5] من منى، وَنَفَحَ بيده نحو المشرق، فإن هناك واديا يقال له: السُّرَرُ به سَرْحَةٌ سُرَّ تحتها سبعون نبيا»[6].

والأخشبان: الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد، ونفح بالحاء المهملة أي أشار، وقوله: سر تحتها سبعون نبيا: عياض، قيل: من السرور أي بشروا بالنبوءة،

---

(1) ما بين معقوفين زيادة من (ب).

(2) ورد النص في الشفا للقاضي عياض: (175 بتصرف).

(3) محمد بن عمران الأنصاري المدني من رواة الحديث المصدوقين، توفي سنة: (154هـ). ترجمته في: الطبقات الكبرى: (6/ 386)، تاريخ الإسلام: (4/ 208)،

(4) السرحة: من عظام الشجر لها شعب. اللسان: مادة سرح.

(5) الأخشبان: هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد. معجم البلدان: (1/ 122).

(6) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ: (1/ 559). وسُرَّ: أي قطعت سُرَّتُهُمْ، إذ وُلِدُوا تحتها، وقيل: هو من السرور أي تنبأوا تحتها. انظر تنوير الحوالك: (1/ 371).

وقيل: «ولدوا تحتها، وقطعت سررهم بكسر السين وضمها، ما تقطعه القابلة من المولود عند الولادة»[1].

ابن عبد البر: وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين، ومقامهم، ومساكنهم، وآثارهم، وإلى هذا قصد ابن عمر رضي الله عنهما بحديثه هذا، ومن ذلك أماكن بمكة:

➢ أولها: البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، وقد جعلته الخيزران[2]، جارية المهدي مسجدا يصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له: زقاق المولد.

➢ والثاني: منزل خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ، الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة، وفيه ولدت أولادها منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه توفيت خديجة رضي الله عنها، ولم يزل النبي ﷺ مقيما به حتى هاجر، فأخذه عقيل، ثم اشتراه منه معاوية، فجعله مسجدا يصلى فيه وبناه.

➢ والثالث: مسجد في دار الأرقم عند الصفا ويقال لها: دار الخيزران، كان النبي ﷺ مستترا فيه في بداية الإسلام.

➢ والرابع: مسجد بأعلى مكة عند الردم[3]، عند بني جبير بن مطعم[4].

➢ الخامس: مسجد بأعلى مكة أيضا يقال له: مسجد الجن، يقال: موضع الخط الذي خطه لابن مسعود ليلتئذ، ويقال له: مسجد البيعة؛ لأن الجن بايعوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هناك.

---

(1) ورد النص في أوجز المسالك إلى موطأ مالك: (8/ 180).

(2) الخيزران زوجة المهدي العباسي، متفقهة أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، توفيت سنة: (173هـ)، ترجمتها في تاريخ بغداد: (14/ 430)، البداية والنهاية: (10/ 163)، الأعلام: (2/ 328).

(3) الردم: هو ردم بني جمح بمكة المكرمة. معجم البلدان: (3/ 40).

(4) بنو جبير بن مطعم له صحبة مع النبي ﷺ وروى عنه الحديث. جمهرة أنساب العرب: (116).

> السادس: مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الشجرة، يقابله مسجد الجن يقال: إن النبي ﷺ دعا شجرة كانت في موضع ذلك المسجد، فأقبلت تخط الأرض حتى وقفت بين يديه، ثم أمرها فرجعت.

> السابع: مسجد يسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن علي[1]؛ لأنه بناه.

> الثامن: مسجد على يمين الموقف يقال له مسجد إبراهيم وهو غير مسجد عرفة الذي يصلي فيه الإمام.

> التاسع: مسجد بمنى يقال له: مسجد الكبش؛ لأن الكبش الذي فُدِيَ به ولد إبراهيم عليه السلام، نزل هناك.

> العاشر: مسجد على جبل أبي قبيس يقال له: مسجد إبراهيم بعضهم، وليس هذا بالخليل.

> الحادي عشر: مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم يقال: إن رسول الله ﷺ بايع الناس عنده يوم الفتح.

> الثاني عشر: مسجد العقبة حيث بايعه الأنصار.

> الثالث عشر: مسجد بذي طوى.

> الرابع عشر: مسجد الجعرانة[2]، حيث أحرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

> الخامس عشر: مسجد التنعيم، حيث أحرمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(1) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس أمير عباسي، والي مكة والطائف توفي عام:(185هـ). ترجمته في وفيات الأعيان:(1/ 296)، نكت الهميان:(193)، شذرات الذهب:(1/ 307)، الأعلام:(4/ 11).

(2) مسجد الجعرانة: بناه رسول الله ﷺ عندما نزل بها أثناء عودته من غزوة حنين وأحرم منها. معجم البلدان:(2/ 142).

➢ السادس عشر: جبل حراء حيث يتعبد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➢ السابع عشر: جبل ثور الذي اختفى فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر في الهجرة أي غار له بابان، بابه الأصلي الذي دخل منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جهة المغرب، فيه ثلاثة أشبار عرضا، وفي ارتفاعه أزيد من شبر، وبابه الشرقي أوسع، وفي وسطه قدر قامة الإنسان، وسعته نحو عشرة أذرع.

ولا يخفى فضل مقبرة مكة. ابن عمر رضي الله عنهما: «من أقبر بمكة مسلما بعث آمنا يوم القيامة»[1].

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «نعم المقبرة هذه»[2].

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحجون مقبرة مكة والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة»[3].

ومشهد أم المؤمنين وهناك قبة فيها الفضيل بن عياض[4]، / وخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا [18] بالحجون، في قبة حمراء مبنية بحجارة حمراء على يسار السالك ذاهبا إلى مكة، وهناك زرناها مرارا غير أنا لا نخصها بتلك القبة.

---

(1) أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن: (2/ 219)، عن ابن عمر موقوفا. وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة: (2/ 173)، وقال: «ومن حديث ابن عمر أخرجه الجندي في فضائل مكة».

(2) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 209)، والفاكهي في أخبار مكة أيضا: (4/ 26)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، ولفظ الفاكهي: « نعم المقبرة هذه، قال ابن جريج: يعني: مقبرة مكة»، والحديث ضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة ح(6244) (13/ 529).

(3) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة: (ص301)، بلفظ: «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة، وهما مقبرتا مكة والمدينة»، ثم قال: «أورده الزمخشري في الكشاف، وبيض له الزيلعي في تخريجه، وتبعه شيخنا».

(4) الفضيل بن عياض شيخ الحرم المكي ثقة في الحديث، أخذ عنه الإمام الشافعي توفي عام:(187هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:(1/ 415)، تذكرة الحفاظ:(1/ 225)، طبقات الصوفية:(6/ 14)، الأعلام:(5/ 153).

وعن محمد بن سابق[1]:«مات نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام بمكة، فقبروهم بين زمزم والحجر، وكان النبي إذا هلكت أمته، لحق بمكة، فيتعبد فيها ومن معه حتى يموت»[2].

وعن ابن سابق قال:«بين المقام والركن قبور تسعة وتسعين نبيا، وإن قبر هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل في تلك البقعة»[3].

وقال وهب بن منبه: قال صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للذين آمنوا به: إن هذه دَارٌ سَخَطَ الله عليها، وعلى أهلها، فاظعنوا، فأهلوا من ساعتهم بالحج، فوردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فقبورهم بين دار الندوة ودار بني هاشم[4]، وكذلك فعل هود ومن آمن معه، وشعيب ومن آمن معه.

قال ابن إسحاق: لما توفي إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، دفن في الحجر مع أمه، فيرون أن قبره بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي.

قال صفوان الجمحي[5]: حفر ابن الزبير الحجر فوجد فيه سبطا من حجارة أخضر، فسأل قريشا عنه فلم يجد عند أحد منهم فيه علما، فأرسل إلى أبي فسأله فقال: هذا قبر إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلا تحركه فتركه.

---

(1) محمد بن سابق أبو جعفر البزاز الكوفي البغدادي، راو ثقة في الحديث توفي عام:(213هـ). ترجمته في: ميزان الاعتدال:(3/ 60)، تهذيب التهذيب:(9/ 174).

(2) ورد الخبر برواية مختلفة في الدر المنثور في التفسير المأثور:(1/ 241).

(3) ورد الخبر برواية مختلفة في الدر المنثور في التفسير المأثور:(1/ 243).

(4) بنو هاشم بن عبد مناف بطن من قريش من العدنانية. انظر نهاية الأرب للقلقشندي:(395).

(5) صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي صحابي فصيح جواد توفي عام:(205هـ)، ترجمته في: المحبر:(140)، الإصابة ترجمة رقم:(4068)، تهذيب التهذيب:(4/ 424)، الأعلام:(3/ 205).

وقال ابن الزبير: هذا المحدودب، يشير إلى ما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام، قبور عذارى بنات إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تنبيه: روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لسائل: «فإذا رميت الجمار فلك بكل حصاة ترمي بها تغفر لك بها كبيرة من الكبائر الموجبات الموبقات»[1].

قال الإمام الغزالي: «وأقصد برمي الجمار الانقياد للامتثال، وإظهار العبودية وإرغاما لأنف الشيطان، وتشبها بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع. واعلم أنك في الظاهر ترمي العقبة بالحصى، وفي الحقيقة ترمي وجه الشيطان، وتقصم به ظهره»[2]، ولهذا استحب بعضهم أن يقول مع كل حصاة: الله أكبر في طاعة الرحمن وغضب الشيطان.

وقد روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا قال: «قلت يا رسول الله هذه الجمار التي يُرْمَى بها كل عام فنحسب أنها تنقص فقال: إنها قربان ما تقبل منها رفع ولولا ذلك لكان أعظم من ثبير»[3].

وروى أبو منصور بسنده أيضا، عن سعيد بن جبير قال: «الحصى قربان فما قبل منها رفع وما لم يقبل بقي»[4].

---

(1) جزء من حديث رواه البزار (كشف الأستار) ح(1082) (2/ 8)، ضمن حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا، وقال عقبه: «قد روي هذا الحديث من وجوه، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق، وقد روي عن إسماعيل بن رافع، عن أنس وحديث ابن عمر نحوه».

(2) النص في إحياء علوم الدين: (2/ 281).

(3) أورده المنذري في الترغيب والترهيب، (2/ 134) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، قال المنذري: وفي إسنادهما يزيد بن سنان التميلي مختلف في توثيقه».

(4) رواه الأزرقي في أخبار مكة: (2/ 177)، وابن الجوزي من طريق ابن أبي منصور في مثير العزم: (1/ 287)، كلاهما عن سعيد بن جبير موقوفا.

ابن عبد البر: أحسن ما قيل في الجمار بمنى من كثرة الرمي ما حدثناه عبدالوارث[1]، بسنده إلى أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الحصى قربان فما تقبل منها رفع.

وانظر أيها الأخ فإن هذه من الآيات الظاهرة لا خفاء فيها للشاهد، ونحن نعلم أن الحاج خلق كثير، والمرمى مكان صغير، وهو من زمن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل واحد يرمي سبعين حصاة من غير التي رمى بها غيره، وترى الـمُرْمَى من الحصى قليلا.

تنبيه ثان: اختلف العلماء في المجاورة بمكة شرفها الله تعالى، وفي العتبية[2]: سئل مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الحج: الْقَفَلُ أعجب إليك أم الجوار؟ فقال: ما كان الناس إلا على الحج والقفل. ورأيت أن ذلك أعجب إليه. ابن رشد: استحب مالك رحمه الله القفل من الحج على الجوار اتباعا للسلف.

قال بعض شراح المختصر عند قوله في باب النذر والمدينة أفضل ثم مكة ما نصه: وعدم المجاورة بمكة والمدينة أفضل.

قال الإمام مالك: الرجوع أفضل من الجوار وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر الناس بالقفول والرجوع.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: كره أبو حنيفة المجاورة بمكة، فمن كرهها لأربعة أوجه: أحدها خوف الملل، والثاني قلة الاحترام بالمداومة للأنس بالمكان، والثالث

---

(1) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، حافظ ثبت كان فصيحا من أئمة الحديث توفي عام:(180هـ). ترجمته في: الطبقات الكبرى:(7/ 289)، تذكرة الحفاظ:(1/ 237)، شذرات الذهب:(1/ 293)، الأعلام:(4/ 178).

(2) العتبية: وهي مجموعة مسائل في مذهب الإمام مالك، منسوبة لمصنفها فقيه الأندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي، توفي عام:(254هـ).

لتهييج الشوق بالمفارقة فتنشأ داعية العود، فإن تعلق القلب بالكعبة والأنس في بيته خير من تعلقه بها والأنس عندها، والرابع خوف ارتكاب الذنوب هناك فإن ارتكابها ثَمَّ أشد من ارتكابها في غيره؛ لأن المعصية تضاعف عقوبتها إما لكثرة علم فاعلها فليس عقاب من يعلم كمن لا يعلم، أو لشرف الزمان كالمعصية في شهر رمضان، والطاعة فيه، وقد قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «عمرة في رمضان كحجة معي»[1].

وقال الزهري[2]: تسبيحة في رمضان خير من ألف في غيره، أو لشرف المكان كالحرم، ولهذا المعنى ضوعف أجر أزواج النبي ﷺ على الخير وَتُوُعِّدْنَ بمضاعفة العقاب على الشر بقوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[3]، وقوله: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[4]، فعلى هذا تكون الكراهة لقصورهم عن القيام بحق المكان.

وقد قال مالك في العتبية: بلغني أن عبد الله بن عمرو بن العاص[5]: كان إذا قدم مكة لم يضرب بناءه إلا خارجا من الحرم. قال: يريد إعظاما للخطيئة في الحرم.

وقال ابن رشد: تأويل مالك صحيح بَيِّن؛ لأن من تعظيم الحرم ألا يعصى الله فيه، قال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[6]، إلى قوله: ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

---

(1) الحديث أورده الإمام السيوطي في الجامع الكبير: (1/ 582)، وعزاه للطبراني.

(2) محمد بن مسلم الزهري أول من دون الحديث الشريف، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء تابعي، توفي سنة: (124هـ). ترجمته في: حلية الأولياء: (3/ 360)، وفيات الأعيان: (1/ 451)، تذكرة الحفاظ: (1/ 102)، الأعلام: (7/ 97).

(3) سورة الأحزاب: الآية 30.

(4) سورة الأحزاب: الآية 31.

(5) عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش، صحابي من النساك من أهل مكة توفي سنة: (65هـ)، ترجمته في: المحبر: (293)، حلية الأولياء: (1/ 283)، صفة الصفوة: (1/ 270)، الأعلام: (4/ 111).

(6) سورة الحج: الآية 28.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لأن أعمل عشر خطايا بركبة[1]، موضع بين الطائف ومكة أحب إلي من أن أعمل واحدة بمكة»[2].

والمعنى في ذلك أن السيئة تضاعف فيها كما تضاعف الحسنات فيها، وكان لابن عمر رضي الله عنهما فسطاطان أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم، وإذا أراد الأمر ببعض شأنه دخل فسطاط الحل، صيانة للحرم.

وسئل ابن حنبل: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة فقال: لا إلا بمكة لتعظيم البلد وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، يدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمل ذلك..

[19] ابن عطية[4]: فلعظم/ حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك إلا في مكة.

وقال الضحاك: إن الرجل ليهم بخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه وهو لم يعملها.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه»[5].

---

(1) ركبة: أرض بين مكة والطائف، وقيل هو واد من أودية الطائف. معجم البلدان: (3/ 63).

(2) الخبر أورده المفضل بن محمد بن تميم الجندي بإسناده في كتابه فضائل مكة، وفي أوجز المسالك إلى الموطأ مالك: (14/ 12).

(3) سورة الحج: الآية 23.

(4) عبد الحق بن غالب بن عطية، مفسر، فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث توفي سنة: (542هـ)، انظر: بغية الملتمس: (376)، بغية الوعاة: (1/ 295)، نفح الطيب: (1/ 593). الأعلام: (3/ 282).

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب تحريم حرم مكة، ح(2020)، (2/ 212)، من حديث موسى بن باذان، قال: أتيت يعلى بن أمية، فقال: إن رسول الله ﷺ، قال، فذكره. قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام: (5/ 69): «وهو حديث لا يصح، لأن موسى بن باذان مجهول».

ابن عمر: كنا نتحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الإنسان بمكة: لا والله، بلى والله.

وذكر عبد الرزاق[1] عن الثوري عن المغيرة عن إبراهيم[2]، قال: كان الاختلاف إلى مكة أحب إليهم من الجوار، ويستحب لمن قدم مكة ألا يخرج منها حتى يختم القرآن، وأما من لم يكره المجاورة بمكة ورآها فضيلة، فالإمام ابن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجماعة من العلماء استحبوها، لفضيلة المكان ومضاعفة الحسنات[3].

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه كله، وقام منه ما تيسر، كتب الله عز وجل له مائة ألف شهر رمضان بغير مكة، وكتب له بكل يوم حسنة، وكل ليلة حسنة، وكل يوم عتق رقبة، وكل يوم حِمْلان فرس في سبيل الله، وكل ليلة حِمْلان فرس في سبيل الله تعالى»[4].

وقد جاور بمكة خلق كثير، وسكنها من المعول عليهم بَشَرٌ عظيم، فمن كره ذلك إنما كرهه خشية عدم القيام بحق الموضع، قال أبو حامد رحمه الله: «فمعنى قولنا إن ترك المقام بها أفضل، أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير، والتبرم، وأما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقها فهيهات»[5].

---

(1) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات، وله عدة مؤلفات في الحديث وعلومه، توفي سنة: (211هـ)، انظر: وفيات الأعيان: (3/ 216)، ميزان الاعتدال: (2/ 126)، تهذيب التهذيب: (6/ 310)، الأعلام: (3/ 353).

(2) إبراهيم بن أدهم التميمي مشهور توفي سنة: (161هـ)، انظر: حلية الأولياء: (7/ 367)، البداية والنهاية: (10/ 135)، فوات الوفيات: (1/ 3)، الأعلام: (1/ 31).

(3) ورد الخبر في أوجز المسالك: (14/ 12).

(4) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب صيام شهر رمضان بمكة، ح(3117)، (2/ 1041)، مرفوعا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وتمامه: «وفي كل يوم حسنة، وفي كل ليلة حسنة»، قال البوصيري في إتحاف الخيرة (3/ 72): «وفي سنده زيد العمي، وهو ضعيف، وله شاهد من حديث ابن عمر رواه البزار في مسنده».

(5) انظر النص في إحياء علوم الدين: (2/ 254).

وكان بعض المجاورين لا يقضي حاجته في الحرم بل يخرج إلى الحل. وبقي على هذا أبو عمرو الزجاج الصوفي[1] أربعين سنة، «وجاور بمكة أبو محمد الحريري[2] سنة، فلم يستند إلى حائط ولم ينم فمر به أبو بكر الكناني[3]، فقال: يا أبا محمد بم قدرت على هذا؟ فقال: علم صدق باطني فأعانني على ظاهري». انتهى[4].

[الطويل]

لَـكَ الحَمْـدُ يَـارَبِّي عَلَى كُلِّ نِعْمَـة ... أَنْـعَمْتَهَا عَلَيَّ فِـي كُلِّ لَحْظَـة

وَأَعْظَمُهَـا رَبِّي عَلَيَّ طَوَافُنَـا ... لِبَيْـتِكَ الْحَـرَامِ وَالصَّفَا مَـرْوَة

بِـتَقْبِيلِ رُكْـنٍ وَالْمَقَـامِ وَزَمْـزَم ... وَمُلْـتَزَمِ الْحَطِـيمِ مُـنَّ بِـتَوْبَة[5]

اللهم امنن علينا بالعود إلى تلك الأماكن الشريفة، ومواطن النبوءة، بفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين، وبجاه سيد المرسلين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ.

ثم نرجع لما كنا بصدده فنقول: لما مضت أيام منى رجع الناس إلى مكة بعد رميهم في اليوم الثالث، وأقاموا بمكة حتى دنا وقت الارتحال والقفول، ثم طافوا طواف الوداع. ابن حبيب: إذا أردت الخروج فطف بالبيت سبعا، ثم صل خلف المقام

---

(1) عمرو بن عثمان بن كرب المكي الصوفي، له مؤلفات كثيرة وأجوبة لطيفة، توفي بمكة عام: (297هـ)، ترجمته في: حلية الأولياء: (10/ 291)، تاريخ بغداد: (12/ 213)، الأعلام: (5/ 81).

(2) أحمد بن محمد الحريري شيخ الصوفية، توفي عام: (311هـ)، ترجمته في: صفوة الصفوة: (2/ 446)، الوافي بالوفيات: (7/ 378)، سير أعلام النبلاء: (14/ 467).

(3) يحيى بن عمرو الكناني الأندلسي، فقيه مالكي عالم بالحديث، من موالي بني أمية، له مؤلفات كثيرة توفي عام: (289هـ)، ترجمته في: جذوة المقتبس: (377)، سير أعلام النبلاء: (13/ 462)، الأعلام: (8/ 160).

(4) ورد الخبر في صفة الصفوة: (2/ 446).

(5) الأبيات من نظم الحضيكي، والشطر الثاني من البيت الأول منها مكسور.

ركعتين، ثم تأتي زمزم فتشرب من مائها، ثم تأتي الملتزم، وهو ما بين الركن والباب، فتدعو كثيرا رافعا يديك، راغبا إلى الله أن يتقبل حجك، وأن يقبلك عتيقا من النار، وألصق صدرك ووجهك بالملتزم، ثم استلم الحجر وقبله إن قدرت، وانفر إلى بلدك، فقد قضى الله حجك.

رُوِي عن رسول الله ﷺ قال:«إذا قضى أحدكم حجه فليعجل الرحلة إلى أهله فإنه أعظم لأجره»[1].

تنبيه: قال الخطابي رحمه الله، في شرح سنن أبي داود:«يكره إخراج شيء من حجارة مكة، أو من أجرافها وتربتها لتعلق حرمة الحرم بها، إلا ماء زمزم لبركته فتأمله»[2]، وخرجوا من أسفل مكة وما هم براضين بمفارقة الحرم، غير أنهم إذا ذكروا أن إمامهم سيد المرسلين، وإمام المتقين، تسلوا وانبسطوا، وبات الركب يومه ذلك بمر الظهران[3]، ويقال له اليوم وادي فاطمة، ثم منه وبتنا بعسفان، ثم منه ونزلنا كديدا ضحوة، وَقِلْنَا فيه ساعة، فارتحلنا، وبتنا قديدا.

ثم ارتحلنا منه وبتنا وراء رابغ، ثم منه وبتنا قاع بزواء[4]، ثم منه وبتنا بَدْراً محل الوقعة، ثم منه مائلين عن طريق مصر، قاصدين طيبة، مستقبلين محل الرحمة، متوجهين إلى تربة سيد الخليقة صلى الله عليه، وعلى آله أهل السعادة، وصحابته أولي

---

(1) رواه الدارقطني في سننه، كتاب الحج، باب المواقيت، ح(2790)، (3/ 375)، والحاكم في المستدرك ح(1753)، (1/ 650)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا. وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(2) النص ورد للخطابي في كتاب معالم السنن بهامش سنن أبي داود:(2/ 521).

(3) مر الظهران: موضع قرب مكة بها عيون كثيرة. معجم البلدان:(5/ 104).

(4) البزواء: قرب المدينة بلدة بيضاء مرتفعة عن الساحل من أشد بلاد الله حرا يسكنها بنو ضمرة. معجم البلدان:(1/ 411).

العزم والهداية، ومررنا على الصفراء[1]، قرى فيها عيون ماء تجري ونخيل، وبتنا قرية كبيرة يقال لها جديدة[2]، ثم منها وبتنا خلاء.

ثم ارتحلنا منه، وسرنا غير بعيد، ومررنا بشرف الروحاء[3]، وهو المسمى الآن بقبور الشهداء، وَأُخْبِرْنَا أن الشهداء الذين سمي بهم المكان قوم هناك ظلماء، فإذا مدينة الرسول ﷺ تلوح وتضيء أمامنا، كأنها قبة من در، والناس في غاية الفرح والسرور إذ ذاك، ولا ترى فيهم من بائس ولا شاك، قد بلغوا مناهم، وعانقوا هواهم، وانتهوا إلى باب مولاهم، محط الرحال والأوزار، ومنزل الأخيار والأبرار، ومنتهى كل الأسفار، ومفخر الافتخار والأقدار، ومجمع الأحلام قبة الإسلام: [السريع]

وَحُطَّ أَحْمَالَ الرَّجَا عِنْدَهُ ... فَإِنَّهُ الْمَامَنُ وَالْمَعْقِلُ[4]

وَنَادِهِ إِنْ أَزْمَةٌ أَنْشَبَتْ ... أَظْفَارَهَا وَاسْتَحْكَمَ الْمُعْضِلُ

وقل إذا: [السريع]

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى رَبِّهِ ... يَا خَيْرَ مَنْ فِيهِمْ بِهِ يُسْأَلُ

كَمْ مَسَّنِي الْكَرْبُ وَكَمْ مَرَّة ... فَرَّجْتَ كَرْبًا بَعْضُهُ يُذْهِلُ

---

(1) الصفراء: قرية قرب المدينة المنورة كثيرة النخل والمزارع وماؤها عبارة عن عيون. معجم البلدان: (3/ 412).

(2) جديدة: لعلها قرية في طريق الحاج إلى المدينة المنورة.

(3) شرف الرجا: هذا المكان سمي مضافا لكلمة شرف، وهو المكان العالي وهو موضع قرب المدينة المنورة. معجم البلدان: (3/ 336).

(4) الأبيات الأربعة لمحمد بن الطاهر المجذوب في ديوان شعره من قصيدة في التوسل بالنبي ﷺ.

ثم إن الناس نزلوا للطهارة بالبيداء[1]، ويعرف الآن بأبيار علي، فتطهروا، وصلوا الظهر، ولم يتمالكوا أن رحلوا طائرين لشدة الشوق، وما عاينوه من الأنوار، وماشموه من الأطياب: [الخفيف]

وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْمِسْكِ ... فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجِرْبِيَاءُ[2]

فَإِذَا شِمْتَ أَوْ شَمِمْتَ رُبَاهَا ... لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ[3]

أَيَّ نُورٍ وَأَيَّ نُورٍ شَهِدْنَا ... يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا الْقِبَابَ قُبَاءُ

قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطِبَارِي ... فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ

فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ ... قِ إِلَى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

كُلُّ نَفْسٍ لَهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ ... وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ وَابْتِغَاءُ

/ وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْهَا ... مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرُّحَضَاءُ[4] [20]

وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا ... مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ

ثم صلينا العصر في مسجد هناك على يمين الطريق، وفي جنبه صهريج، وطلعنا فوق الحرة على قبة الإسلام والروضة الشريفة وسطها عالية، تغشاها أنوار باهرة، ونزلنا بباب المدينة الغربي، ويدعى باب الشامي[5]، قبل الغروب، وحط الناس رحالهم، وحططنا بفناء كرمه ﷺ، نستحضر سحائب القبول والإنعام، ونستقيل

---

(1) البيداء: المفازة اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب. معجم البلدان:(1/ 523).

(2) الأبيات مقتطفة من القصيدة الهمزية في مدح النبي ﷺ للبوصيري في ديوانه:(20-21). والجربياء: الريح التي تهب بين الجنوب والصبا. اللسان: مادة جرب.

(3) الكباء: عود البخور. اللسان: مادة كبى.

(4) الرحضاء: العرق في أثر الحمى. اللسان: مادة رحض.

(5) الباب الشامي: أحد أبواب المدينة المنورة من جهة الشام.

عثرات التقصير والآثام، قال الله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[1].

[الخفيف]

فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ مِنْ حَيْثُ يُحَطُّ الْـ ـوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحَوْجَاءُ[2]

وَقَرَأْنَا السَّلاَمَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ

وأنشد الشيخ في رحلته حينئذ: [الطويل]

وَقُمْنَا وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُنَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ شَكَكْنَاهُ

وَرَدَّ عَلَيْنَا بِالسَّلاَمِ سَلاَمَنَا وَقَدْ زَادَنَا فَوْقَ الَّذِي أَرَدْنَاهُ[3]

ثم اعلم أيها الأخ أنه ينبغي للزائر تحسين الهيئة، بعد تحسين النية، وخلو السر بالغسل والتنظف والتطيب، ومن الأدب النزول إذا أشرف على المدينة، كما فعل وفد عبد القيس[4] لما رأوا النبيﷺ، ألقوا أنفسهم عن رواحلهم، وسارعوا إليه، فلم ينكر عليهم ذلك[5]، وحسبك فعل أولئك السادات الأجلاء أمام رسول الله ﷺ، وفي ذلك إسوة حسنة.

---

(1) سورة النساء: الآية 63.

(2) البيتان من القصيدة الهمزية للبوصيري انظر الديوان:(21).

(3) الَّذِيَّ: بتشديد الياء، لغة في الذي، وتشديد الياء في البيت تقتضيه الضرورة الشعرية.

(4) بنو عبد القيس بن أقصى بن دعمي بن جديلة:(بطن من أسد من ربيعة العدنانية وفدوا على النبي ﷺ وأسلموا. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب:(311).

(5) ضمن حديث طويل أورده الهيثمي في المجمع: (9/ 388) من حديث مزيدة جد هود العبدي، وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى، ورجالهما ثقات وفي بعضهم خلاف».

ولما دنا أبو الفضل الجوهري[1] إلى ذلك المقام العظيم، والمكان الجسيم، نزل ومشى برجله منشدا: [الطويل]

[وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا] فُؤَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَّا[2]

نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ يُلَمَّ بِهِ رَكْبَا[3]

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول ﷺ أنشأ يقول:

[الكامل]

رُفِعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تُقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ[4]

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ[الثَّرَى] فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا، فقيل له في ذلك، فقال: العبد الآبق لا يأتي إلى بيت مولاه راكبا، لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي[5].

وكان الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ركب في المدينة دابة قط، ويقول: أنا أستحيي أن أطأ تربة وطئها رسول الله ﷺ[6] بحافر دابته.

---

(1) عبد الله بن الحسين المصري ابن الجوهري، العلامة أبو الفضل واعظ العصر، توفي سنة:(480هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء:(18/ 495).

(2) البيتان لأبي الطيب المتنبي في الديوان:(1/ 40)، والشطر الأول من البيت الأول في الديوان برواية:([وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا]).

(3) الأكوار: جمع كور وهو رحل البعير. اللسان: مادة كور.

(4) الأبيات لأبي نواس في الديوان:(432) من قصيدة مدح بها أمين الدولة. [الحصى] في الديوان.

(5) الخبر في الشفا للقاضي عياض:(286).

(6) ورد القسم الأول من الخبر في حلية الأولياء:(6/ 347)، وورد كاملا في وفيات الأعيان:(4/ 136)، وفي أوجز المسالك:(14/ 9).

ثم إذا دخلت المدينة فعليك بالسكينة والوقار، ولا تعرج على شيء حتى تدخل المسجد المقدس، وقل: بسم الله والحمد لله والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله وملائكته عليك يا رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، واحفظني، من الشيطان الرجيم واقصد الروضة الشريفة، وهي ما بين المنبر والقبر، فاركع بها ركعتين وإن بدأت بالسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلهما فواسع، ثم تتقدم إلى القبر الشريف من ناحية القبلة، لقول مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قيل له: كيف يسلم على القبر؟ قال: تأتي من قبل القبلة، حتى إذا دنوت، سلمت وصليت عليه، ودعوت لنفسك، ثم انصرفت، وإن جعلت طريقك إليه من جهة أرجل صاحبيه رضي الله عنهما، فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه الكريم، وتقف قبالة وجهه المكرم، صلوات الله وسلامه وبركاته ورحمته عليه.

ابن فرحون[1]: بل تقف قبالة مسمار الفضة الذي في الحائط، وذلك على نحو ثلاثة أذرع من السارية، التي عند رأس القبر في أصلها الصندوق، وإن شئت وقفت داخل الشباك، وهو أولى من الوقوف خارجه، وعلامة الوقوف مقابلة الوجه الكريم، اليوم مسمار فضة مضروب في رخامة حمراء إذا قابلها الإنسان، وانظر إلى ما قابله من الأساس كان موافقا للوجه الكريم، وموقف الزائرين اليوم هو عرصة بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال المطري[2]: الشباك الذي حول الحجرة اليوم، أحدث سنة سبع وستين وستمائة، وقد أنكره العلماء؛ لأنه دخل فيه قطعة من الروضة مما يلي بيت

---

(1) إبراهيم بن علي ابن فرحون عالم بحاث، من أصل مغربي، وهو من شيوخ المالكية، صاحب الديباج المذهب وغيره من المؤلفات، توفي عام:(799هـ). ترجمته في: تعريف الخلف:(1/ 197)، الدرر الكامنة:(1/ 48)، الأعلام:(1/ 52).

(2) عبد الله بن محمد المطري الخزرجي، حافظ للحديث، مؤرخ من أهل المدينة، كان رئيس المؤذنين بالحرم النبوي توفي سنة:(765هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة:(2/ 284)، الأعلام:(4/ 126).

رسول الله ﷺ، وكان ارتفاعه نحو قامتين، ثم رفعه ثانيا بعض الملوك حتى أوصله السقف، فإذا وقفت أيها الأخ الزائر هناك، فاعلم أن ذلك المقام مقام الهيبة والتعظيم، واحترامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوفاة كاحترامه في الحياة، واستحضر أنك واقف بين يديه، وسماعه لسلامك.

قال القاضي في شفائه: «فصل واعلم أن حرمة النبي ﷺ، بعد وفاته، وتوقيره، وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره عليه السلام، وذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه، وسيرته، ومعاملة آله، وعترته، وتعظيم أهله وصحابته رضي الله عنهم»[1].

قال أبو إبراهيم التجيبي[2]: واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذُكِرَ عنده، أن يخضع، ويخشع، ويتوقر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله، بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به، قال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية[3]، ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية[4]، وذم قوما فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ / ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية[5]، وإن حرمته ميتا، كحرمته حيا، واستقبله أيها الزائر، [21] واستشفع به، فيشفعك الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية[6].

---

(1) انظر النص في كتاب الشفا للقاضي عياض: (275).

(2) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبي الطليطلي العلامة شيخ المالكية بالأندلس، فقيه ورع صالح، توفي عام: (352هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء: (16/ 79)، الديباج المذهب: (1/ 296)، شجرة النور الزكية: (1/ 90).

(3) سورة الحجرات: الآية 2.

(4) سورة الحجرات: الآية 3.

(5) سورة الحجرات: الآية 4.

(6) سورة النساء: الآية 63.

روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال:«من صلى علي عند قبري سمع». الحديث[1].

وعن سليمان بن سحيم[2]: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله ! هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأردّ عليهم[3].

فلتقف بالقبر متواضعا، مُتَوَقِّراً، وصلّ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَثْنِ عليه بما يحضرك، وسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وادع لهما، وأكثر من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ بالليل والنهار، ولا تلصق بالقبر ولا تنحن إليه، كما تفعله العامة، ولا تقف عنده طويلا، وأحب مواضع التنفل فيه، مصلاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث العمود المخلق.

وأما الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء، أحب من التنفل في البيوت والعمود المخلق، هو المعروف الآن والله أعلم بالأسطوانة المخلقة، وتعرف بأسطوانة المهاجرين؛ لأن أكابر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يصلون إليها، ويجلسون حولها، وتسمى أسطوانة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لو عرفها الناس لتضاربوا على الصلاة عندها بالسهمان، ويقال: إن الدعاء عندها مستجاب.

ابن حبيب: واجعل أكثر شغلك ما كنت بالمدينة الوقوف بالقبر، والسلام على من فيه كلما دخلت المسجد وخرجت منه.

---

(1) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (4/ 468)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ح(1698)، (2/ 330)، من حديث أبي هريرة مرفوعا، ولفظه: «من صلى علي عند قبري وكل الله بها ملكاً يبلغني، وكفى أمر دنياه وآخرته، وكنت له شهيداً أو شفيعاً».

(2) سليمان بن سحيم أبو أيوب المدني روى الحديث، وثقه النسائي. ترجمته في: تهذيب الكمال:(4/ 378)، تاريخ الإسلام:(3/ 878)، تهذيب التهذيب:(4/ 193).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح(3868)، (6/ 54)، وفي حياة الأنبياء بعد وفاتهم ص(105)، مرفوعا من حديث سليمان بن سحيم.

ابن رشد: يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به، ومتى ما مر به، وليس عليه أن يمر به ليسلم عليه إلا للوداع عند الخروج، ويكره له أن يكثر المرور به، أو الإتيان كل يوم إليه، لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه انتهى، ولا يدار بحجرة النبي ﷺ وهو من فعل الجهال.

وقال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انهدم حائط بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره، فخرج عمر بن عبدالعزيز، واجتمع قريش، فأمر عمر بن عبد العزيز فستر بثوب، وأمر مزاحما[1] مولاه أن يدخل ليخرج ما فيه، فدخل فَضَمَّ ما كان فيه من لُبن، وأصلح في القبر شيئا أصابه حين انهدم الحائط، ثم خرج وَسَتَرَ القبر، ثم بُنِيَ.

ابن رشد: إنما ستره إكراما، وخشي أن يدخل الناس البيت فيتزاحموا على القبر فيؤذوه بالوطء رغبة في التبرك به، وبنى عليه بيتا صيانة له، و مخافة أن ينقل ترابه، ويحفر ليستشفى به.

وعن أبي يزيد الهمداني[2]: رأيت حُجَرَ أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبدالعزيز، كانت بيوتا باللَّبن، ولها حجر من جريد، ورأيت بيت أم سلمة وحجرها من لُبن، فسألت ابن ابنها فقال: لما غزا رسول الله ﷺ دومة[3]، بَنَت أم سلمة حجرتها بلبن، فلما قدم رأى اللُّبن فقال: ما هذا اللبن والبناء؟ فقالت: أردت أن أكف أبصار الناس، فقال: يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان.

---

(1) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز كان أنجب مواليه وكان ذا فضل وعبادة توفي سنة:(100هـ). ترجمته في: تهذيب الكمال:(9/ 574)، تاريخ الإسلام:(2/ 1169).

(2) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني، قاضي دمشق توفي سنة:(130هـ). ترجمته في: تاريخ الإسلام:(5/ 187)، وسير أعلام النبلاء:(5/ 437)، وتهذيب التهذيب:(11/ 345).

(3) دومة: هي دومة الجندل، حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب. معجم البلدان:(2/ 487).

وقال عطاء الخراساني[1]: أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، وحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يأمر بإدخال حجر النبي ﷺ في مسجد النبي ﷺ، فما رأيتني باكيا أكثر من ذلك اليوم، وسمعت سعيد ابن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ نَاسٌ من أهل المدينة، ويقدم القادم من غيرها فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون مما يزهد في التكاثر والتفاخر.

وعن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلغني أن عائشة رضي الله عنها كانت تدخل للبيت الذي فيه قبر النبي ﷺ وأبي بكر حاسر[2]، فلما دفن فيه عمر لم تكن تدخله إلا جمعت عليها ثيابها. ابن رشد. إنما كان ذلك لما جاء به القرآن، وتواترت به الآثار، أن الأرواح لا تموت بموت الأجساد، وقد جاء أنها بأفنية القبور، وإنها تطلع رُمُوسَهَا، وإن أكثر اطلاعها يوم الخميس، وليلة الجمعة، وليلة السبت، فلما لم تأمن عائشة رضي الله عنها أن يكون روح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بفناء قبره في الوقت الذي تدخل البيت، لم تدخله إلا جمعت عليها ثيابها، وهذا منها نهاية في الورع، والتوقي، وليس بلازم؛ لأن الستر إنما يلزم من الأحياء لا من أرواح الموتى.

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] قال: لأن أطأ على جمرة، أو على حد سيف، أحب إلي من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أفي القبور قضيت حاجتي أو في السوق والناس ينظرون.

---

(1) عطاء الخرساني بن ميسرة أبو مسلم نزيل بيت المقدس، مفسر توفي عام:(135هـ)، ترجمته في: سير أعلام النبلاء:(6/ 140)، شذرات الذهب:(1/ 192 الأعلام:(4/ 235).

(2) امرأة حاسر، بغير هاء، إذا حسرت عنها ثيابها والانحسار الانكشاف. اللسان: مادة حسر.

(3) عقبة بن عامر الجهني صحابي وهو أحد من جمع القرآن وكان فقيها قارئا شاعرا توفي سنة:(58هـ). ترجمته في: تاريخ الإسلام:(1/ 29)، جمهرة الأنساب:(416)، سير أعلام النبلاء:(2/ 467)، الأعلام:(4/ 240).

ابن عبد البر: يريد أن الموتى يجب الاستحياء منهم، كما يجب من الأحياء؛ لأن الأرواح بأفنية القبور، ولذلك جاءت السنة بالسلام على القبور.

روي عن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بلغه أن الأرواح تسرح كيف شاءت، روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن، كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»[1].

وأما منبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد احترق في جملة حريق المسجد سنة أربع وخمسين وستمائة، ودثر وأخذ ما بقي من أعواده، فعملت أمشاطا للتبرك، ولم يبق له أثر الآن بالكلية.

ابن فرحون: والمنبر الموجود الآن، ليس له فضيلة منبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان فضله عظيما، لكونه في البقعة الشريفة، نفعنا الله ببركتها، ويستحب الدعاء عنده، لشرف محله، ولا تنس أيها الأخ زيارة البقيع، فإنه روي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تعالى يبعث من مقبرة البقيع يوم القيامة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب»[2].

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها»[3].

---

(1) عزاه القرطبي في التذكرة ص(410) إلى ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، ولم أجده فيهما، وقال عقبه: «صححه أبو محمد».

(2) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة: (1/ 93)، من حديث ابن المنكدر، ولفظه: «يحشر من البقيع سبعون ألفا على صورة القمر ليلة البدر، كانوا لا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ح(3888)، (6/ 66)، وابن النجار في الدرة الثمينة ص(49)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

ابن العربي: إن للشفاعة أسبابا من الطاعة من جملتها: سكنى المدينة، ومجاورة تلك الذات الشريفة الكريمة.

[22] وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مقبرتان / تضيآن لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا البقيع: بقيع الغرقد، ومقبرة بعسقلان»[1].

وعن كعب الأحبار[2]: نجد في التوراة أن: مقبرة المدينة موكل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفأوها في الجنة.

وعن الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مات ودفن بها من الصحابة أكثر من عشرة آلاف رضوان الله عليهم أجمعين.

وبها شهداء أحد، وشهداء الخندق، وشهداء الحرة، والخلفاء الراشدون، وأزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبناته، وأكثر أهل بيته، والجم الغفير من أصحابه وأنصاره، وأولادهم، وأتباعهم، وأتباع أتباعهم رضي الله عنهم، وأول مشاهد البقيع بالتقديم:

مشهد ذي النورين سيدنا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في قبة عالية شرقي البقيع بموضع يقال له: حش كوكب[3]، ثم تثني بمشهد سيدنا إبراهيم بن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو بقي لكان نبيئا ولكن لم يكن ليبقى؛ لأن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الأنبياء[4].

---

(1) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة ص(164)، عن أبي عبد الملك يرفعه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(2) كعب بن ماتع الأحبار، تابعي أسلم في زمن أبي بكر الصديق كان من أكبر علماء اليهود توفي سنة:(32هـ)، بحمص، ترجمته في: حلية الأولياء:(5/ 364)، تذكرة الحفاظ:(1/ 49)، النجوم الزاهرة:(1/ 90)، الأعلام:(5/ 228).

(3) حش كوكب: موضع عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وزاده في البقيع، ولما قتل، ألقي فيه ثم دفن في جنبه. معجم البلدان:(2/ 262).

(4) أورده ابن حجر في فتح الباري: (10/ 579)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعزاه لأحمد وابن منده وصححه.

وفي مشهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هذا سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا عثمان بن مظعون[1]، أول من دفن بالبقيع من المهاجرين، وكان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور قبره، وأعلمه بحجر، وفي هذا المشهد عبد الله بن مسعود لما روي أنه قال: ادفنوني عند قبر عثمان ابن مظعون، كما روي عن عبد الرحمن أنه عاهد ابن مظعون أن يدفن كل إلى جانب صاحبه.

وفي هذا المشهد أيضا سعد بن أبي وقاص، وخنيس بن حذافة[2]، زوج حفصة قبل النبي ﷺ بوصيته أيضا، وأسعد بن زرارة[3]، فينبغي السلام عليهم كلهم في هذا المشهد رضي الله عنهم.

وفي شامي مشهد عثمان مشهد إلى جانب الطريق ينسب إلى حليمة السعدية رضي الله عنها مرضعته عليه السلام، بقبة لطيفة.

ومن مشاهده مشهد مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، ولما علم من نفسه الزكية الموت بعث إلى عائشة رضي الله عنها، يستأذنها أن يدفن عند النبي ﷺ، فأذنت له فبلغ ذلك بني أمية، فلبسوا السلاح، وقالوا: لا يدفن الحسن عند النبي ﷺ ويدفن عثمان في حش كوكب، ولبس أخوه الحسين مع جماعة السلاح رضي الله عنهم، فأرسل إليهم الحسن وقال: لا حاجة لي بهذا ادفنوني عند أمي بالبقيع.

---

(1) عثمان بن مظعون الجمحي صحابي، يعد من حكماء العرب في الجاهلية توفي سنة:(2هـ). ترجمته في: حلية الأولياء:(1/ 102)، صفة الصفوة:(1/ 178)، الأعلام:(4/ 214).

(2) خنيس بن حذافة بن عدي القرشي، كان من السابقين، وشهد بدرا، وكان زوج حفصة بنت عمر ولما استشهد يوم أحد تزوجها النبي ﷺ بعده. ترجمته في: المحبر:(54)، الإصابة في تمييز الصحابة:(3/ 157).

(3) أسعد بن زرارة بن عدس النجاري من الخزرج، صحابي من أهل المدينة، دفن بالبقيع سنة (1هـ)، انظر: الطبقات الكبرى:(3/ 138)، سير أعلام النبلاء:(1/ 299)، الأعلام:(1/ 300).

وهذا الخبر يدل على أن أمه فاطمة رضي الله عنها دفنت بالبقيع، وكذا ذكر المحب الطبري[1]، عن سيدي أبي العباس المرسي رحمه الله ونفعنا به، أنه كان إذا زار البقيع ودخل القبة، سلم على فاطمة البتول رضي الله عنها، ويذكر أنه كشف له عن قبرها هناك، وصرح بدفنها أيضا رضي الله عنها بالبقيع القاضي أبو عبد الله ابن الحذاء[2]، وقيل: قبرها رضي الله عنها في بيتها، الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في مسجده صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك المشهد الشريف:

- قبر عم النبي ﷺ سيدنا العباس رضي الله عنه.
- وفيه قبر زين العابدين سيد التابعين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
- وقبر ابنه جعفر الصادق أحد شيوخ مالك بن أنس رضي الله عنهم.
- ويلي هذه العقبة بيت يعرف ببيت الحزن يقال: إنه الذي أوت إليه فاطمة رضي الله عنها، والتزمت الحزن فيه عند وفاة رسول الله ﷺ.
- ومنها مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق[3]، يقابل مشهد العباس من الغرب في داخل السور رضي الله عنهما.
- ومنها مسجد على يسارك وأنت مار في زقاق البقيع، يقال إنه لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

---

(1) أحمد بن عبد الله الطبري محب الدين، حافظ فقيه شافعي، متفنن من أهل مكة مولدا ووفاة توفي سنة:(694هـ). ترجمته في: النجوم الزاهرة:(8/ 74)، شذرات الذهب:(5/ 425)، الأعلام:(1/ 159).

(2) محمد بن يحيى ابن الحذاء الأندلسي، من العلماء بفقه الحديث والتاريخ والأدب توفي عام:(416هـ)، ترجمته في: الديباج المذهب:(272)، شجرة النور الزكية:(112)، الأعلام:(7/ 136).

(3) إسماعيل بن جعفر الصادق وإليه نسبة الإسماعيلية من فرق الشيعة توفي عام:(143هـ)، ترجمته في: تاريخ ابن خلدون:(4/ 30)، دائرة المعارف الإسلامية:(2/ 188)، الأعلام:(1/ 311).

➢ ومشهد أبيه مـالك بن سنان[1]، وهو من شهداء أحد، غرب المدينة، يلصق السور من داخله، وعليه قبة عند أحجار الزيت[2]، في محل السوق، وفيه ابن عمه أبـو سفيان ابن الحارث[3].

➢ ومنها مشهد عقيل بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

➢ ومشهد سيدنا عبد الله بن ذي الجناحين جعفر بـن أبي طالـب رضي الله عنهمـا، وهذه القبة دار عقيل بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وينبغي الدعاء والوقوف في ذلك الموضـع، قيل: إنه موقف النبي ﷺ من الليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع.

واعلم أن الدعاء عند قبر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهمـا مرجـو الإجابـة، وقـد جرب ذلك، وهناك حوش مبلط بحجارة سود اشتمل على تربة أمهات المؤمنين أزواج النبيﷺ وعلى آله وأزواجه وأصحابه.

ومنها مشهد سيدتنا فاطمة بنت أسد[4]، أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وجعفر، وعقيل رضي الله عنهم أجمعين، هـي وقبـة سـيدتنا حفـصة بنـت عبـد المطلـب، عمـة النبيﷺ، أم الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يليان باب المدينة.

(1) مـالك بن سنان بن عبيد الخدري من شهداء أحد. ترجمته في: جمهرة أنساب العـرب:(362)، الإصابـة في تـمييز الصحابة:(9/ 50).

(2) أحجـار الزيـت: موضـع بالمدينـة قريـب مـن الـزوراء، وهـو موضـع صـلاة الاستـسقاء. معجـم البلدان:(1/ 109).

(3) المغيرة بن الحارث أبو سفـيان الهاشـمي أخـو رسـول الله ﷺ مـن الرضاعـة تـوفي عـام:(20هـ). ترجـمته في: الطبقات الكبرى:(4/ 35)، صفة الصفوة:(1/ 209)، الأعلام:(7/ 276).

(4) فاطمة بنت أسد بن هاشم، أم سيدنا علي كـرم الله وجهـه، أسـلمت بعـد وفـاة زوجهـا وتوفيـت نحـو سـنة:(5هـ)، ترجمتهـا في: الإصـابة: قـسم النـساء رقـم:(731)، الاسـتيعاب:(4/ 381)، الأعلام:(5/ 130).

ولا تغفل عن مشهد إمام المسلمين، عالم مدينة إمام المرسلين، سيدنا مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في قبة، مع شيخه نافع[1] رضي الله عنهما، على ما قيل.

ولا يحصر الحد مشاهد البقيع وَلَا يُحْصَى مَنْ دُفِنَ به من السادات، حماة الدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم إلا علم الله تعالى، فالله تعالى يجمعنا وإياهم في رحمته، اللهم إني أسالك بجاه نبيك ﷺ محبة أولئك السادات، والدخول في زمرتهم، والوفاة في بلد رسولك ﷺ، إنك على كل شيء قدير.

وعليك بزيارة مسجد قباء وشهداء أحد، أما مسجد قباء ففضائله مأثورة، منها:

أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة»[2].

عن عائشة[3] بنت سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل.

---

(1) نافع المدني: أبو عبد الله من أئمة التابعين بالمدينة، كثير الرواية للحديث، ثقة، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه، توفي سنة:(117هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:(2/ 150)، تاريخ الإسلام:(5/ 10)، الأعلام:(8/ 6).

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح(7530)، (2/ 149)، ومن طريقه ابن شبة في تاريخ المدينة: (1/ 41)، من حديث سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة: (3/ 263): «رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسند ضعيف، لضعف موسى بن عبيدة الربذي».

(3) عائشة بنت أبي وقاص، من ثقات راويات الحديث، أقامت بالمدينة، وتوفيت سنة:(117هـ).
ترجمتها في: تاريخ الإسلام:(4/ 262)، الإصابة:(13/ 42)، الأعلام:(3/ 240).

وفي الصحيح: «كان رسول الله ﷺ يزور قباء ماشيا وراكبا»[1].

وكان ابن عمر يأتيه كل سبت إلى غير ذلك.

ومن المساجد المتبرك بالصلاة بها والتعبد:

× مسجد الجمعة[2]: على يمين المار إلى مسجد قباء، صلى فيه النبي ﷺ الجمعة أول هجرته، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، قال ابن فرحون: وهو اليوم خراب/ . [3:]

× ومنها مسجد الفضيخ[3]: ويعرف الآن بمسجد الشمس، بشرقي مسجد قباء، على شفير الوادي، ذكر أن النبي ﷺ، لما حاصر بني النضير، ضرب قبته في موضع المسجد وأقام به ستا.

× ومنها مسجد قريظة: بقرب الحرة الشرقية، وقد دثر، كان بناه عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صلى في بيت امرأة من بني قريظة، فجعل مسجدا، وبإزائه مشربة مارية[4]، أم إبراهيم بن النبي ﷺ وفيها ولدته، وهذا الموضع قريب من الحرة، بموضع يعرف بالمدشت[5]، بالشين المعجمة.

× ومنها مسجد بني ظفر: شرقي البقيع، ويعرف الآن بمسجد البغلة.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته، ح(1399)، (2/ 1006)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفا.

(2) مسجد الجمعة: هو مسجد بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، فكانت أول جمعة جمعت فيه في الإسلام. معجم البلدان:(4/ 302).

(3) هذا المسجد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد:(4/ 12).

(4) مارية بنت شمعون القبطية، زوج النبي ﷺ، أم المومنين ماتت بالمدينة سنة:(16هـ). ودفنت بالبقيع. ترجمتها في: المحبر:(76)، الإصابة:(ترجمة رقم:(984)، أسد الغابة:(5/ 543)، الأعلام:(5/ 255).

(5) المدشت: لم أقف عليها فيما بين أيدينا من المصادر.

× ومنها مسجد الإجابة: التي دعا فيه رسول الله ﷺ، بثلاث دعوات لأمته:

دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يظهر عليهم عدو من غيرهم فأعطيها، وأن لا يهلكهم بالسنين فأعطيها، وأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها. وهو بشمال البقيع على يسار الذاهب إلى العريض[1].

× ومسجد الفتح[2]: ومصلاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موضع الأسطوانة الوسطى هناك.

وجاء أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعا في مسجد الفتح يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له بين صلاتي الظهر والعصر، فعرف البشر في وجهه الكريم ﷺ». قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ راوي الحديث فما نزل بي أمر يهمني إلا توخيت تلك الساعة فأعرف الإجابة»[3].

× ومنها مسجد القبلتين: أسفل المدينة على نحو ثلاثة أميال منها.

× ومنها مسجد العيد: الذي يصلي فيه الناس اليوم.

وبالجملة، إن مدينة الرسول ﷺ كلها شريفة طيبة عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائل، وضجت عرصاتها بالتسبيح، والتقديس، واشتملت تربتها على سيد البشر[4]: [الكامل]

يَا دَارَ زَيْنِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ هُدِيَ الْأَنَامُ وَخُصّ بِالْآيَاتِ[5]

---

(1) العريض: هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي. معجم البلدان: (4/ 114).

(2) مسجد الفتح: يقع على سفح جبل سلع، وكان يسمى بمسجد الأحزاب. انظر سبل الهدى والرشاد.

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده ح(14563)، (22/ 425)، وابن النجار في الدرة الثمينة ص(125)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه موقوفا.

(4) انظر الشفا للقاضي عياض: (285).

(5) انظر تخريج الأبيات في ص: (96).

عِـــنْدِي لِأَجْلِـكِ لَوْعَـةٌ وَصَبَابَـةٌ ... وَتَـــشَوُّقٌ مُتَوَقِّـــدُ الْجَمَـــرَاتِ

وَعَـــلَيَّ عَهْـدٌ إِنْ مَـلَأْتُ مَحَـاجِرِي ... مِـنْ تِلْكُـمُ الْجُـدُرَاتِ وَالْعَرَصَـاتِ

لَأُعَـــفِّرَنَّ مَـــصُونَ شَـــيْبِي بَيْنَهَـا ... مِـــنْ كَـــثْرَةِ التَّقْبِيـلِ وَالرَّشَفَـاتِ

لَـــوْلَا الْعَـــوَادِي وَالْأَعَادِي زُرْتُهَـــا ... أَبَـدًا وَلَـــوْ سَـحْبًا عَلَى الْوَجَنَـاتِ

لَــكِنْ سَـأُهْدِي مِـنْ جَمِيـلِ تَحِيَّـتِي ... لِقَطِـينِ تِلْـكَ الدَّارِ وَالْحُجُـرَاتِ

أَذْكَى مِـــنَ الْمِـسْكِ الْمُفَتَّـقِ نَفْحَـةً ... تَغْـشَاهُ بِالْآصَـالِ وَالْبُكُـرَاتِ

وَتَخُـــصُّـهُ بِـــزَوَاكِيِ الـــصَّلَوَاتِ ... وَنَـــوَامِيِ التَّـــسْلِيمِ وَالْبَرَكَـــاتِ

وأما شهداء أحد، فحسبك أنه كان رسول الله ﷺ يزورهم، ويسلم عليهم، رضي الله عنهم، ووقف عليهم وقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ الآية[1].

ثم قال: إني عبدك، ونبيك، وأشهد أن هؤلاء شهداء، ونظر عليه السلام إلى أصحابه، وقال: «فأتوهم وسلموا عليهم فإنه لم يسلم عليهم أحد ما دامت السماوات والأرض إلا ردوا عليه»[2].

وكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل عام، فيقف عليهم ويرفع صوته ويقول: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[3]، وكذلك فعل الخلفاء بعده.

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 23.

(2) رواه الحاكم في المستدرك ح(2977)، (2/ 271)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»

(3) سورة الرعد: الآية 25.

ويقول الزائر ما روي عن النبي ﷺ من التلاوة، ويسلم عليهم، ويدعو لهم، ولنفسه، وللمسلمين، متوسلا بهم، وعددهم سبعون رضي الله تعالى عنهم، وجزاهم عن الإسلام خيرا، وقبورهم بقبلي أحد، وجوف المدينة على ميلين منها، وقد دثرت ولا شك أنها بقرب سيدنا حمزة، وكان مع سيدنا حمزة ابن أخته سيدنا عبد الله بن جحش[1]، أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش، ويلقب بالمجدوع في الله؛ لأنه لما استشهد جدع أنفه، ودفن مع حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد.

وليس في القبة من شهداء أحد غيرهما، والقبر الذي عند رجلي حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رجل من الترك، والذي في الصحن بعض الأشراف من أمراء المدينة.

وعن بعض السيدات العابدات قالت:«ركبت يوما حتى جئت قبر حمزة، فصليت ما شاء الله، ولا والله ما في الوادي داع، ولا مجيب، وغلامي آخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي، قمت فقلت السلام عليكم، وأشرت بيدي إلى قبر حمزة، فسمعت رد السلام علي من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقني، فاقشعرت كل جلدة مني، فدعوت الغلام وركبت»[2].

وفي الموطأ:«أن عمرو بن الجموح[3]، وعبد الله بن عمرو بن حرام[4]، كانا قد حفر السيل قبرهما، وقبرهما واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما، ليغيرا

---

(1) عبد الله بن جحش صحابي أخو زينب أم المؤمنين قتل يوم أحد سنة:(3هـ). ترجمته في: حلية الأولياء:(1/ 108)، الإصابة: ترجمته: رقم:(4574)، الأعلام:(4/ 76).

(2) الخبر أورده السيوطي في الخصائص الكبرى:(1/ 220).

(3) عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري صحابي، وهو آخر الأنصار إسلاما استشهد يوم أحد سنة:(3هـ). ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم:(5799)، صفة الصفوة:(1/ 265)، الأعلام:(5/ 75).

(4) عبد الله بن عمرو بن حرام صحابي أحد النقباء قتل يوم أحد سنة:(3هـ)، ترجمته في: المحبر:(270)، الإصابة ترجمة:(4829)، صفة الصفوة:(1/ 194)، الأعلام:(4/ 111).

عن مكانهما، فوجدا لم يتغيرا، كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح جرحا فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة»[1].

وقد روي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:«لما أراد معاوية أن يجري العين بأحد استصرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد فاستخرجناهم بعد ست وأربعين سنة لينة أجسادهم تثنى أطرافهم وأصابت المسحاة[2] أصبع رجل منهم فانفطرت دما»[3].

وقد روي أن الذي أصيبت أصبعه فانفطرت دما حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه.

وفي قِبْلَةِ مشهد سيدنا حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جبل صغير يقال له: عينين[4]، وهو الذي كان عليه الرماة يوم أحد، وبقربه مسجد يقال: إنه الموضع الذي طعن فيه سيدنا حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتحامل بطعنته، واستشهد في الآخر بقربه على شفير الوادي.

وجرت عادة أهل المدينة شرفها الله بزيارة قبر سيدنا حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كل يوم خميس، وربما باتوا هناك ليلة الخميس، في غالب الأحوال، ولهم عنده موسم كبير في رجب يأتي الناس إليه من أقطار الحجاز، من مكة، واليمن، والطائف، والينبع[5]، فيحشر

---

(1) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ:(1/ 368) في باب العمل في غسل الشهيد والصلاة عليه.

(2) المسحاة: المجرفة من الحديد والجمع المساحي. اللسان: مادة مسح.

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(36790)، (7/ 372)، وأبو نعيم في الدلائل ح(516)، (1/ 750)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

(4) عينان: هضبة جبل أحد بالمدينة ويقال ليوم أحد يوم عينين وقيل: قام عليه إبليس عليه لعنة الله فنادى أن محمدا ﷺ قد مات. معجم البلدان:(4/ 173).

(5) الينبع: موضع بين مكة والمدينة وهي قرية غناء فيها عيون عذاب غزيرة. معجم البلدان:(5/ 449-450).

هناك خلائق لا يحصون، وتنصب الأسواق العظيمة من أول رجب، ويتكامل الناس لثاني عشر، وهو اليوم المشهود عندهم، وجبل أحد هذا من الآثار المتبرك بها قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[1].

ورُوِي: «أحد ركن من أركان الجنة»[2].

[24] وفي الخبر: أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دفن أخاه هارون في جبل أحد، وتحت / جبل أحد من جهة القبلة مسجد صغير[3]، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه الظهر، والعصر، يوم أحد بعد انقضاء القتال.

وفي جهة القبلة من هذا المسجد، موضع منقور في الجبل على قدر رأس إنسان يقال: إن النبي ﷺ، جلس تحت الصخرة التي تحته [وقال: ينبغي لزائر أحد أن يأكل من نباتها، لما روي عن زينب بنت نبيط[4]، أنها ترسل وليدتها لأحد، تأتيها من نباتها، وإن لم تجد إلا عضاها، فأتتني به، وروت حديثا[5] في ذلك عن أنس بن مالك زوجها][6].

---

(1) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، ح(2889)، (4/ 35)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ح(1365)، (2/ 993)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا.

(2) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: (5/ 297)، وقال: «ولا أعلم يرويه، عن أبي حازم غير عبد الله بن جعفر ولعبد الله بن جعفر من الحديث غير ما ذكرت صدر صالح وعامة حديثه عمن يروي عنهم لا يتابعه أحد عليه، وهو مع ضعفه ممن يكتب حديثه».

(3) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة: ص (66)، من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه مرفوعا، ولفظه: «خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين أو معتمرين، فلما كانا بالمدينة مرض هارون فثقل، فخاف عليه موسى اليهود فدخل به أحداً، فمات فدفنه فيه».

(4) زينب بنت نبيط بن جابر الأنصارية، راوية للحديث روت عن زوجها أنس بن مالك. ترجمتها في: أعلام النساء: (2/ 121).

(5) الحديث ورد في مجمع الزوائد للإمام الهيثمي: (4/ 13) برواية: أحد جبل يحبنا ونحبه، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه.

(6) ما بين معقوفين سقط من (ب).

ومـمـا يتبرك به: وادي صعيب، روي أن رسول الله ﷺ أتى الحارث بن الخزرج[1]، فإذا هم روبى[2]، قالوا يا رسول الله أصابتنا هذه الحمى، قال: فأين أنتم من صعيب؟[3] قالوا يا رسول الله مـا نصنع؟ قال: تأخذون من ترابه، فتجعلونه في مـاء، ثم يتفـل فيـه أحدكم، ويقول: بسم الله تراب أرضنا، بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنـا، ففعلـوا فتركتهم الحمى[4].

وصعيب وادي بطحان، وفيه حفرة، لم يزل الناس يأخذون منها الـتراب للتـداوي، وإذا جُعِلَ في مـاء وَغُسِلَ به المحمُومُ برئ.

قال ابن النجار[5]: وأنا أخذت منه وقد جرب فصح، وفي المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وحولها آبار، ومنها:

بئر أريس[6] بقباء، وهي التي جلس النبي ﷺ في وسط قُفِّهَا[7]، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمـان أمـامهم، رضي الله عنهم، وفيها سقط خاتم النبي ﷺ، من عثمـان ونزحوه ثلاثة أيام، فلم يجدوه، ومن ذلك الوقت حصل في خلافته مـا حـصل من اختلاف.

---

(1) الحارث بن الخزرج بن حارثة سكن بالسنح على ميل من مسجد النبي ﷺ. ترجمته في: جمهرة أنساب العرب:(361).

(2) قوم روبى: الذين أثخنهم السفر والوجع فاستثقلوا نومـا. اللسان: مـادة روب.

(3) صعيب: موضع في ديار بني الحارث يستشفى بترابه. معجم مـا استعجم:(3/ 834).

(4) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة: (ص41)، من حديث إبراهيم بن الجهم مرفوعا.

(5) مـحمد بن مـحمود ابن النجار مؤرخ حـافـظ للحـديث، مـن أهـل بغـداد، تـوفي عـام:(643هـ). ترجمته في: وفيـات الأعيـان:(2/ 264)، شـذرات الـذهب:(5/ 226)، مفتـاح الـسعادة:(1/ 210)، الأعلام:(7/ 86).

(6) بئر أريس: بئر بالمدينة ثم بقباء مقابل مسجدها، نسب إلى أريس وهو رجل من يهود المدينة، وفيها سـقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمـان رضي الله عنه. معجم البلدان:(1/ 298).

(7) قف البئر: هو الدكة التي تجعل حولها. اللسان: مـادة قفف.

ومنها بئر غرس[1]: جاء أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة، وأصبح على بئر غرس»[2]، فتوضأ منها وبصق فيها، وغُسل منها حين توفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها بئر بصة[3]: وهي قرية من البقيع، وفي البصة بئران: كبرى وصغرى، والكبرى منهما هي المقصودة، وقيل: الصغرى، ورجحه السمهودي[4]، وهي التي تلي أطم مالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

ومنها بئر حاء[5]: وهي على شمال سور المدينة.

ومنها بئر بضاعة[6]: بجنب بئر حاء الشمالي، بصق فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار ماؤها شفاء.

ومنها بئر رومة[7]: التي اشتراها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من يهودي، وهي مشهورة وسط العقيق بوادي العقيق[8].

---

(1) بئر غرس: بئر بالمدينة وهي بقباء ومن مائها غسل النبي ﷺ لما مات. معجم البلدان: (1/ 301)، (4/ 193).

(2) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة: ص(61)، من حديث إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، وتمامه: «فتوضأ منها وبصق فيها، وغسل منها حين توفي صلى الله عليه وسلم».

(3) لم أقف عليها في المصادر.

(4) علي بن عبد الله السمهودي مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها شافعي المذهب توفي سنة: (911هـ). ترجمته في: الضوء اللامع: (5/ 245)، معجم المطبوعات: (1052)، الأعلام: (4/ 307).

(5) بئر حاء: أرض كانت لأبي طلحة بالمدينة قرب المسجد ويعرف بقصر بني جديلة. معجم البلدان: (1/ 299).

(6) بئر بضاعة: دار بني ساعدة بالمدينة وبئرها معروفة. معجم البلدان: (1/ 442).

(7) بئر رومة: وهي في عقيق المدينة، كان قد اشتراها عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتصدق بها على المسلمين. معجم البلدان: (1/ 299).

(8) وادي العقيق: واد عليه أموال أهل المدينة وفيه عيون ونخل وهما عقيقان: العقيق الأكبر والعقيق الأصغر. معجم البلدان: (4/ 138)، 139).

وهناك بئر تسمى بئر زمزم: وهي عن يمين الطريق للسالك إلى العقيق، ومن المتبرك به، وادي العقيق لما ورد فيه، وفي وادي العقيق الموضع المعروف بالمعرس[1]: وهي البطحاء التي بذي الحليفة[2]، كان إذا صدر النبي ﷺ من الحج، والعمرة، أناخ بالبطحاء، التي بذي الحليفة من بطن الوادي.

وقال مالك رحمه الله: «لا أحب لأحد أن يترك ذلك والتعريس به والصلاة فيه من السنة»[3].

وفي هذا الوادي من قبور الصحابة رضي الله عنهم، ما لا يحصى كثرة، فينبغي إتيانه، والصلاة فيه والسلام على من دفن به من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم رضي الله عنهم.

واعلم أن زيارة قبور الصالحين لها بركة عظيمة، وزائرها، والمسلم عليها، والقارئ عندها، لا ينقلب إلا بخير.

وبالجملة فالمدينة الشريفة طرقها، وفجاجها، وأحوالها، كلها بركة، وحرمة لاشتمالها على جسده الشريف صلى الله عليه وسلم، وعلى موطئه، ومجالسه، وتردداه هو صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم، وليتحفظ الزائر، والمجاور كل التحفظ، ويشعر نفسه جلالة المكان وحرمته.

ففي صحيح مسلم: قال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»[4].

---

(1) المعرس: مسجد ذي الحليفة ، كان رسول الله ﷺ يعرس فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها. معجم البلدان:(5/ 155).

(2) ذو الحليفة: قرية قرب المدينة ومنها ميقات أهل المدينة. معجم البلدان:(2/ 295).

(3) الحديث برواية مختلفة في سنن أبي داود:(2/ 536).

(4) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه، ح(6755)، (8/ 154)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة دعاء النبي ﷺ فيها بالبركة،=

وعن معقل بن يسار[1]، قال رسول الله ﷺ: «المدينة مُهاجَرِي، فيها مضجعي، ومنها مبعثي، وحق على أمتي حفظ جيراني، ما اجتنبوا الكبائر، من حفظهم كنت له شفيعا، أو شهيدا يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سُقِيَ من طينة الخبال»[2].

وفي صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها»[3].

قال أبو عبيد: أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض، كما تنضم الحية في جحرها.

وعنه صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومبدأ الحلال والحرام»[4].

وفي الترمذي قال صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة»[5].

= ح(1370)، (2/ 994)، من حديث إبراهيم التيمي عن أبيه مرفوعا، وتمامه: «ومن والى قوما بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل. وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل».

(1) معقل بن يسار بن عبد الله المزني صحابي شهد بيعة الرضوان توفي سنة: (80هـ). ترجمته في: الإصابة: (ترجمة: (8144). أسد الغابة: (4/ 398)، الأعلام: (7/ 172).

(2) رواه ابن النجار في الدرة الثمينة: ص(47)، وابن الجوزي في مثير العزم: (2/ 244)، عن معقل بن يسار مرفوعا.

(3) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، ح(1876)، (3/ 21)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين، ح(147)، (1/ 131)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا.

(4) رواه الطبراني في الأوسط ح(5618)، (5/ 380)، مرفوعا من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (3/ 298): «وفيه عيسى بن مينا قالون، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات».

(5) في الجامع، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة، ح(3919)، (6/ 203)، مرفوعا من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث جنادة عن هشام بن عروة».

ثم إن الركب أقام بالمدينة ثلاث ليال، وبتّ أنا بمسجده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلتين، وفيها من العلماء يومئذ:

- سيدي محمد الدقاق السَّلاوي[1]، من أهل المغرب.
- وسيدي أبو عبد الله ابن الطيب الفاسي[2]، من أهل المغرب أيضا، وهما بأولادهما ساكنان.
- وسيدي محمد بن السيد عبد العزيز الرسموكي[3]، تجرد للعبادة، وهو ممن تُوُسِّمَ به الخير، ويظن به الصلاح.
- وسيدي محمد حياة[4]، من علماء الدين كذلك الهندي أو السندي[5]، وغيرهم.

فالله يجازيهم عن الإسلام خيرا، ويرزقنا جوار الكريم، وأحوالا مرضية كما رزقهم وينفعنا ببركاتهم آمين.

---

(1) محمد بن محمد الدقاق الرباطي، كان علامة مشاركا شاعرا مقتدرا، توفي بالمدينة المنورة حاجا سنة:(1258هـ). ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب:(7/ 2567).

(2) محمد بن الطيب بن محمد الشرقي الفاسي، نزيل المدينة المنورة، محدث علامة باللغة والأدب، توفي بالمدينة المنورة سنة:(1170هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 91)، مجلة المجمع العلمي العربي:(12/ 55)، الأعلام:(6/ 177).

(3) محمد بن عبد العزيز الرسموكي أبو عبد الله، شاعر له ديوان شعر، دفين الحجاز من رجال القرن الحادي عشر الهجري وله أيضا: شرح المرشد المعين. ترجمته في: سوس العالمة:(185)، دليل مؤرخ المغرب:(2/ 388).

(4) محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني، عالم بالحديث مولده في السند، وإقامته ووفاته في المدينة المنورة، توفي سنة:(1163هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 34)، الأعلام:(6/ 111).

(5) محمد بن عبد الهادي التتوي السندي فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير أصله من السند وسكن المدينة المنورة إلى أن مات سنة:(1138هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 66)، وفهرس الفهارس:(1/ 103)، والأعلام:(6/ 253).

ولما أصبح صباح الثالثة، جعل الناس يسلمون على رسول الله ﷺ، ويسألونه الشفاعة، والسلامة، ويودعون القبر الشريف، وخرجوا يتصدقون على جيران رسول الله ﷺ، وما هم براضين أن يفارقوا جوار رسول الله ﷺ، وقبره، وتربته، غير أن الناس استولى عليهم في تلك الحضرة العلية الجمال، وسكتوا على الكلام مهابة، وغلبوا بالشوق والجلال، واستلذوا المقام عند المصطفى ﷺ، ولا يزالون ذاهلين عن بث الأشواق: [الطويل]

وَكَمْ رُمْتُ بَثَّ الشَّوْقِ عِنْدَ لِقَائِهِ فَلَمـا الْتَقَيْنَا مـا نَطَقْتُ وَلَوْ حَرْفَا

[الخفيف]

وَذَهِلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْهل صَبّـًا عَنِ الْحَبِيبِ لِقَاءُ[1]

وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى لاَ كَلاَمٌ مِنَّا وَلاَ إِيمَاءُ[2]

وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ الْتِفَاتَا تٌ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ انْثِنَاءُ

وجدنا بنفيس لا يجود أحد بمثله، وهو التمتع بتلك الحضرة العلية والأماكن القدسية:

وَسَمحْنَا بِما نُحِبُّ وَقَدْ يَسْمَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخَلاَءُ[3]

ثم إن صاحبنا سيدي سعيد بن عبد الرحمن[4]، وطلبة من أهل سوس، جاوروا بالمدينة، وراودونا / بالمجاورة وعزمت عليها بمصر، لما علمت من سوء حالي، [25

(1) الأبيات مقتطفة من القصيدة الهمزية للإمام البوصيري انظر الديوان:(21).

(2) الواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. اللسان: مادة وجم.

(3) البيت من القصيدة الهمزية للإمام البوصيري. الديوان:(21).

(4) سعيد بن عبد الرحمن من الذين رافقوا المؤلف في رحلته إلى الديار المقدسة.

وخبث نفسي، لا أطيق المحافظة، ورعاية الحرمة في ذلك الجناب العظيم، والمقام الجسيم، لا رغبة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حاشا والله لا أحب مفارقته، ولا البعد عن تربته، ثم كلا وعزة ربي، لهو أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأنت والله يا رسول الله صلى الله عليك أعز وأحب إلي من نفسي وما خلق الله تعالى، اللهم حقق رجاءنا، وأنلنا البغية، والمنية، ولا تقطع رجاءنا، يا رب العالمين، إنك على كل شيء قدير.

فلما استوى الناس على رواحلهم ساروا، وقلوبهم مشتغلة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مستحضرة للمثول بين يديه، والاستمداد منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آبية نسيان تلك العرصات الشريفة، والمنازل العالية المنيفة، فهنيئا لها من مناهل الخيرات والحسنات، ومنابع النفحات، ونزول البركات والرحمات، ثم نزلنا آخر يومنا دون قبور الشهداء قيل: إن محل هذه القبور محل ظلمة هناك إلى جهة الصفراء[1].

وفي الغد نزلنا بين قرى جديدا على عين ماء، وعليه مسجد بين النخل، ثم منه وعدلنا عن طريق الصفراء إلى جهة اليمين، وهناك عند المنصرَف[2] قبر سيدنا عبيدة بن الحارث[3]، سيد شهداء بدر، وأحد البارزين في ذلك اليوم رضي الله عنه، على قول من قال: إنه دفن هناك، وقيل: دفن بالصفراء، وبتنا خلاء، ثم منه ونزلنا ينبعا[4]، وخرج منه شرفاؤه يحرسون الركب من السراق واللصوص، ورحبوا بالشريف، الذي هو أمير

---

(1) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها، من ناحية المدينة، وفيها واد كثير النخل يسمى: واد الصفراء. معجم البلدان:(3/ 412).

(2) المنصرف: بضم الميم وفتح الراء موضع بين مكة وبدر بينهما أربعة برد سلكها رسول الله ﷺ. معجم البلدان:(5/ 211).

(3) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، أسلم قديما، كان مع النبي ﷺ في مكة، ثم هاجر وشهد بدرا. ترجمته في: المحبر:(271)، الإصابة في تمييز الصحابة:(6/ 369).

(4) انظر تخريجها في:(ص96).

الركب، وأظهروا له الود والأخوة، ثم منه وبتنا الخلصاء[1]، ثم النبك فالحوراء[2]، ثم بين الدركين فالكره، ثم الوجه، وفيه بندر ويسمى الآن الوش، وهذه المرحلة من أصعب مراحل الدرب؛ لأن الشوم يهيج بها في بعض الأحوال، ويموت الناس فيها والإبل والدواب كثيرا.

ثم منه وبتنا بندرا، يقال له: اسطبل عنتر، ثم بعده الأزلام، ثم بئر السلطان، ثم الأميليح: بندر كبير على البحر، ثم منها ونزلنا عيون الأقصاب، ثم منه ونزلنا مغارة سيدنا شعيب، ثم منها ونزلنا الشرافة[3]، ثم منها ونزلنا بين ظهر الحمار[4]، وبندر العقبة، ثم منه ونزلنا ضحوة بندر العقبة، ثم منه ونزلنا سطح العقبة، وهناك نُهِبَتْ وسرقت لنا نفقات وأمتعة جمعناها في غرارة، وذهب بها السراق في الليل، والله يُخْلِفُ وَيَقْبَلُ منا ومن المسلمين.

ثم منه ونزلنا بئر الصعاليك، ثم منه ونزلنا النخيل بندرا بأرض التيه، ثم منه ونزلنا مكانا يسمى وادي التيه، ثم منه ونزلنا قرب عجرود، ثم صَبَّحْنَا عجرود، وبه ملاقي الناس، ومعهم الفواكه، والأطعمة، والخيرات، وأول منهل لقينا فيه ملاقي أهل مصر بندر الوجه، ونزلنا يومنا ذلك دار الحمراء.

---

(1) الخلصاء: أرض بالبادية فيها عين، وقيل الخلصاء: ماء لعبادة بالحجاز. معجم البلدان:(2/ 382).

(2) النبك: قرية مليحة بذات الذخائر، وفيها عين عجيبة باردة في الصيف يقال مخرجها من يبرود. معجم البلدان:(5/ 258).

(3) لعله يقصد شراف: موضع كانت فيه وقعة لطئ على بني ذبيان، وهي من أعمال المدينة. الروض المعطار:(341).

(4) ظهر الحمار: قرية بين نابلس وبيسان. معجم البلدان:(4/ 63).

ثم منها وصلينا الظهر بِالْبِرْكَة[1]، وبتنا فيها فرحين مرحين، فلما انفلق الصبح، غلسنا الرحل، ودخلنا مصر ضحوة، وقد قطعنا الدرب سالمين والحمد لله، وبقي الناس يتنعمون بمصر إلى أن عزموا على الرحيل، وخرجوا من المدينة، وضربوا أخبيتهم على شاطئ النيل، تحت النبابة قرية كبيرة، مقابلة بلاق إلى جهة الشمال، وهنا مات صاحبنا الحاج محمد اللكوسي[2]، والشيخ عبد الواحد الصنهاجي[3]، رحمنا الله وإياهما والمسلمين جميعا.

ثم ودعناهم، من ثَمَّ وبقيت أنا وثلاثة من طلبة سوسنا الأقصى، مجاورين بجامع الأزهر على نية القراءة، والأخذ عن أشياخه، والتبرك بآثارهم، والاقتداء بسيرتهم الحسنة، فكل واحد منا يلازم من يرضاه من المشايخ، واستخرت الله تعالى، بعدما جالست كلا منهم، وحضرت مجلسه ودرسه أن يختار لي ويهديني ويرشدني إلى من يفتح الله لي على يده وينفعني بعلمه، فوفقني إلى ملازمة:

- الشيخ أحمد الإسكندري[4]، أحد أعلام المالكية.

---

(1) البركة: لعلها بركة الحبش: أرض في وهدة من الأرض واسعة، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة. انظر مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: (1/ 188).

(2) محمد بن الحسن اللكوسي المانوزي، له أرجوزة في الحلي والشيات، ولعلها نظم لكتاب ابن المناصف المشهور. ترجمته في، سوس العالمة: (181).

(3) عبد الواحد بن الحسن الصنهاجي له رحلة حجازية، وأربعون حديثا شرحها. ترجمته في سوس العالمة: (190).

(4) أحمد بن مصطفى الإسكندري من علماء الحديث، وشيخ المالكية بالأزهر، توفي عام: (1163هـ)، أجاز الحضيكي إجازة بيده. ترجمته في: فهرس الفهارس: (2/ 738)، شجرة النور الزكية: (338)، الإعلام: (6/ 83).

- والشيخ أحمد العماوي الدمرداشي[1]، أحد أركان الأزهر من أجلاء المالكية.
- والشيخ عمر الطحلاوي[2]، من المالكية أيضا.

أما الأول وهو الإسكندري، فحضرنا عنده مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد، وأحاديث ابن أبي جمرة المقتطعة من صحيح البخاري، والجامع الصغير للإمام السيوطي، غير أن هذين الأخيرين لم نختمهما عليه، وكانت سيرته رضي الله عنه، أن يختم الرسالة، والمختصر، والعشماوية[3]، والعزية[4]، وألفية ابن مالك، والتلخيص، وأصول ابن السبكي في تسعة أشهر كل عام، وكتاب من كتب الحديث إما الجامع الصغير، وإما أحاديث ابن أبي جمرة[5]، وإما غير ذلك في كل عام.

وكان رضي الله عنه، وأطال بقاءه، عالما، عاملا، تقيا، ورعا، زاهدا، نذر على نفسه منذ ثلاثين سنة، تدريس العلم بجامع الأزهر، وداره وعياله بالإسكندرية، لا يمكث بها عندهم إلا ثلاثة أشهر فأقل، من كل سنة، وراوده [الغز][6]، والعمال بالمال،

---

(1) أحمد بن أحمد العماوي المالكي الدمرداشي، محدث أصولي ثبت، توفي سنة: (1115هـ). ترجمته في: فهرس الفهارس: (2/ 830)، الإعلام: (6/ 83)، معجم المؤلفين: (1/ 152).

(2) عمر بن علي الطحلاوي المالكي المصري، محدث له: ثبت توفي في 11 صفر من سنة 1181هـ. ترجمته في عجائب الآثار: (1/ 288)، شجرة النور الزكية: (339)، فهرس الفهارس: (1/ 468)، معجم المؤلفين: (7/ 303).

(3) العشماوية: نسبة لأبي العباس عبد الباري العشماوي، له المقدمة العشماوية في فقه المالكية.

(4) المقدمة العزية في فقه المالكية لأبي الحسن ناصر الدين المنوفي.

(5) عبد الله بن سعد بن أبي سعد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، مالكي من علماء الحديث، اختصر صحيح البخاري، توفي سنة: (695هـ). ترجمته في: البداية والنهاية: (13/ 346)، نيل الابتهاج: (140)، الأعلام: (4/ 89).

(6) [...] كلمة غير واضحة في المتن. والغز: جنس من الترك. اللسان: مادة غزز.

ورغبوا فيه، فأبى وامتنع أن يأخذ منهم شيئا، ولم يقبل من أحدهم ذهبا ولا فضة، وكان ذا مال ينفقه على المساكين والمستحقين، ولا يبالي بزهرة الدنيا، وزينتها، والترف، والتنعم بها، مع أن أهل الشرق وتلك النواحي كلها يميلون إلى الرفاهية كثيرا، ويحبون الترفع، والتكبر، والتباهي، باللباس، والطيب، والتنظف، وصقالة الأعضاء، والتنعم، بفرش الحرير والجواري، وغير ذلك من مركب وعبيد.

ويدل على زهد هذا السيد عن الدنيا، وميله للآخرة اتساع ماله، وقدرته على ذلك كله، وليس له إلا عجوز، وولد واحد، ولا يراها هو، ولا تراه إلا بعد كل تسعة أشهر من كل عام، قد اشتهر بالفضل والكرامات والبركة، ويحكي في مجلس الدرس كثيرا من المزايا، مما يدل على صدق محبته للنبي ﷺ، وكثرة شوقه والاعتناء بأحواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنته، وسيرته، وكان كثير البكاء في المجلس، سريع الدمع، بَكَّاءً، عارفا لأحوال الصالحين والعلماء، ذاكرا لهم وكراماتهم، وكان يقول: فلان لا يقع منذ كذا في مكروه، فضلا عن المحرم، وكان رضي الله عنه يقول كثيرا في مجلس الدرس: كونوا فقهاء، واسلكوا مذهبهم، فإن طريقتهم سمحة، سهلة، تسلموا ولا تكونوا متصوفة، فإن مذهبهم صعب، لا تطيقونه.

وأكثر أخذه عن الشيخ محمد الخِرْشِي شارح المختصر، ويثني عليه بكرامات، ومكاشفات، وعن الشيخ محمد[1]، ولد الشيخ عبد الباقي شارح المختصر أيضا، وكان يثني عليه كذلك بخير، ويحكي عنه أنه من أجلاء أهل عصره، وأعيان علماء وقته،

---

(1) محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري المالكي، خاتمة المحدثين بالديار المصرية، محدث توفي سنة:(1122هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 32)، عجائب الآثار للجبرتي:(1/ 69)، الأعلام:(6/ 184).

وأن له قدما راسخة في العلوم الظاهرة، والأسرار الباطنة، له شرح جليل على موطأ الإمام/ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشرح المواهب اللدنية[1]، للقسطلاني[2]، شرحا يُنْبِئ عن قَدْرِهِ واتساع علمه، وطول باعه، وله كرامات باهرة، يراها أصحابه في درسه، وسر عجيب، قال: وكان يحرضني على تدريس رسالة ابن أبي زيد، وتعليمها للناس، والمواظبة عليها، وعن الشيخ النفراوي[3]، شارح الرسالة، وعن الشيخ إبراهيم الفيومي[4]، ولم أعرف له مصنفا. [26]

وهؤلاء المشايخ رضي الله عنهم، وأعاد علينا من بركاتهم، هم أشياخ شيخنا المذكور، وكان يقول رضي الله عنه وأعزه ونفعنا به: (الفقه أولى وأحق بالاشتغال من غيره، ويليه التفسير، والحديث، وعلوم الشرع، أولى وأفضل)، قال: وكنت جاورت بمكة والمدينة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، نحو خمس سنين، للتنسك والتدريس أنا وأبي: فما رأيت أحدا يسأل عن مسائل البيان، ولا عن مسائل المنطق، وإنما سؤالهم عن مسائل الدين، والفقه، والسنة، والعاقل يعطي عقله كله للفقه، وعلوم الشرع، ولا يغتر بشقشقة الألسن في مجالس المنطق، والبيان.

---

(1) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، في السيرة النبوية للشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني توفي سنة:(923هـ).

(2) أحمد بن محمد القسطلاني المصري شهاب الدين، من علماء الحديث له مؤلفات منها: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري توفي سنة:(923هـ). ترجمته في: الضوء اللامع:(2/ 103)، الكوكب السائرة:(1/ 126)، الأعلام:(1/ 232).

(3) أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، فقيه من مؤلفاته:(الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، توفي سنة:(1125هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(1/ 73)، اليواقيت الثمينة:(1/ 40)، هدية العارفين:(169)، معجم المؤلفين:(2/ 40).

(4) إبراهيم بن موسى الفيومي، شيخ جامع الأزهر، من المالكية له شرح العزي، في التصريف توفي سنة:(1137هـ). ترجمته في: هدية العارفين:(1/ 38)، الأعلام:(1/ 76).

وكان مجلسه دائما على يمين المنبر، بجامع الأزهر في الصف الأول، والثاني، ويسمى عندهم الصف بالبيكة، ورث ذلك المجلس عن شيخه محمد ولد الزرقاني السابق ذكره؛ لأن لهم في ذلك عادة، وهي أن كل شيخ من مشايخ الأزهر إذا مات، خلفه في مجلسه من هو أفضل وأفقه من تلامذته، إن سلموا له ذلك وحاز الفخر، والرياسة عنهم، لسبقه لهم في العلم، والفضل، وثقب الفهم، وقوة العقل، وجودة الحفظ، والهمة، والعمل، وإلا تخاصموا، وربما تقاتلوا على ذلك المكان بالأعمدة والعصي، ويسمونها نبابيت[1]: واحدها نبوت، وهي عصا صميمة لا تكاد تكسر لشدة صلابتها وصحة عودها، تباع عندهم في الأسواق، وَقَلَّ ما ترى رجلا وليست معه، بل لا ترى فلاحا من فلاحة الريف، وأهل مصر، إلا وهي بيده لا يضعها.

وأما الثاني: وهو شيخنا العماوي فقد حضرنا عنده الخزرجية على علم العروض، وحضرنا مجلسه في أصول الفقه لابن السبكي، وبعض بردة المديح للبوصيري، وسردت أنا وصاحب لي من الشافعية يقال له: الشيخ إبراهيم[2] نصيبا من شرح القسطلاني على صحيح البخاري.

وكان رضي الله عنه، عالما كبيرا، محدثا ماهرا، أديبا، ممن تدور عليه رحى مصر، وترجع إليه مسائل الناس في علم الفقه، والحديث، وعلم الأدب، والعربية، والوسائل، وكان رجلا مائلا إلى الْقِصَرِ ذا لحية كبيرة، وعادته أن يُسَرِّحَهَا كل يوم بعد اطمئنانه في مجلسه قبل الدرس، وكان متواضعا غير جاف، ويداعب أصحابه في الدرس إذا رآهم يَفْتُرُونَ، وينشطهم بحكايات علماء الأدب، وأعاجيبهم،

---

(1) النبابيت: واحدها نبوت وهي نوع من العصي يحملها الفلاح المصري في يده، كنوع من السلاح للدفاع عن النفس.

(2) الشيخ إبراهيم: أحد أصدقاء الحضيكي الذين درس معهم في الأزهر خلال مقامه بها للدراسة أثناء عودته من رحلة الحج.

وأضاحيك العرب، وأشعارهم، حتى إذا حضرت عقولهم واجتمعت أذهانهم رجع إلى ما هو بصدده، بعزم وهمة وَجِدٍّ، وله في ذلك سيرة ظريفة، ترى كبار الفقهاء، وعلماء الأزهر يأتون درسه، ويستلذون حضرته ومجلسه، ويستعذبون مورده ومصدره، لما معه من الأدب، وسياسة الأمور.

وله حواش وأنظام في علم المعقول، على ما أخبرني به بعض الطلبة من أهل مصر، وكان كثير الحب للنساء، وله أربع نسوة على ما قيل.

وقد أجازني هو والشيخ أحمد الإسكندري المتقدم بجميع مروياتهما، فالله تعالى يجازيهم عنا وعن المسلمين خيرا، ويتجاوز عنهم وعنا وعن المسلمين.

وممن أخذ عنه الشيخ محمد الخرشي، وولد الزرقاني الشيخ محمد، والنفراوي، والفيومي.

وأما شيخنا الطحلاوي، فقد حضرنا مجلسه في مختصر خليل، وكان يستفتح مجلسه ذلك كل يوم بنحو ثلاثة أحاديث أو أقل أو أكثر من صحيح البخاري، وله درس آخر في التفسير بجامع الحسين نحضره أيضا، غير أنه دون الشيخين الأولين في الفقه وغيره، وممن حضرنا مجلسه من مشايخ الأزهر:

- الشيخ علي العمروسي[1]: فقيه من فقهاء المالكية، له حاشية على مختصر خليل، وهو والشيخ عمر الطحلاوي المتقدم، من تلامذة الشيخ العماوي السابق ذكره.

---

(1) علي بن خضر بن أحمد العمروسي، من فقهاء المالكية بمصر، من علماء الأزهر، له مؤلفات منها شرح مختصر خليل، توفي سنة: (1173هـ). ترجمته في: عجائب الآثار: (1/ 219)، شجرة النور: (339)، هدية العارفين: (1/ 768)، الأعلام: (4/ 284)، و معجم المؤلفين: (7/ 86).

> ومنهم الشيخ الشريف محمد البليدي[1]: نسبة إلى بليدة من عمالة الجزائر بالمغرب، وهو عالم محقق، رئيس في المعقولات، وعنه أخذ كل من أولع بعلم المنطق، واعتنى به من الشافعية والمالكية وغيرهم. وله شرح كبير على مختصر خليل، ولا زال يهذبه ويصححه يومئذ، واعتماده فيه على شرح الحطاب، وله درس في مختصر خليل، قد التزم فيه تتبع كلام الشيخ عبد الباقي في شرحه، غير أنه في غاية الأدب معه فلا يقبحه ولا يخطئه، وكان من أعيان المالكية بجامع الأزهر، ويقول لولده في مجلس الدرس: يا محمد لا تسرع إلى الإنكار والاعتراض، والرد على الشيخ، قبل أن تفهم وتتأمل، ولا تعتد ذلك فتندم.

> ومنهم: الشيخ الجليل قدوة المالكية السلموني[2]، خليفة الشيخ محمد الخرشي في مجلسه، وقد أجازه الشيخ الخرشي إجازة، من غير أن يطلبها منه، ونصبه للتدريس، وتصدر للتعليم في حياة الخرشي[3]، وكان عالما، عارفا بالفقه والفرائض، ممارسا لهما، قد سلم له في ذلك، لا يحاول أحد مرتبته فيه، مع أنه رضي الله عنه إذ ذاك أعمى، لا يطالع، ولا يبصر، وإنما تقوده الطلبة في حركاته ذهابا وإيابا، وتوفي رحمه الله تعالى بالوباء.

---

(1) محمد بن محمد البليدي المالكي عالم بالعربية والتفسير والقراءات والمنطق، توفي سنة:(1176هـ). ترجمته في سلك الدرر:(4/ 110)، عجائب الآثار:(1/ 295)، شجرة النور:(339)، إيضاح المكنون:(1/ 139)، الأعلام:(7/ 68)، معجم المؤلفين:(11/ 257).

(2) محمد بن عبد الرحيم بن محمد السلموني الأزهري، المالكي له: شرح غزيرة المعاني جيدة المعاني، وكان حيا سنة:(1173هـ). ترجمته في: شجرة النور:(318)، فهرس الأزهرية:(6/ 256)، معجم المؤلفين:(10/ 160).

(3) محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، كان فقيها فاضلا ورعا توفي سنة:(1101هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 62)، صفوة ما انتشر:(205)، شجرة النور الزكية:(1/ 317)، الأعلام:(6/ 240).

➢ ومنهم الشيخ علي الصعيدي المالكي[1]، كان من حذاق الأزهر، حضرنا مجلسه في خزرجية العروض، وحواش في الفقه، وغيره، وكان فقيرا زاهدا، من تلامذة الشيخ السلموني المذكور آنفا.

➢ ومنهم الشيخ الجدوي[2]: نسبة إلى جدة[3]، مدينة بقرب مكة على البحر، ترسو بها سفن مصر والغرب، وأهل الهند واليمن وغيرهم، انتقل منها أبوه إلى مصر، وهو فقيه كبير من فقهاء المالكية، وكان ذا مال كثير، وله خزانة من الكتب، حَبَّسَهَا وجعلها في رواق المغاربة[4]، ينتفع بها من احتاج من مجاوري الأزهر، والله يجازيه بذلك خيرا.

➢ ومنهم: الشيخ سالم النفراوي[5]، فقيه جليل، من تلامذة الخرشي، والفيومي، وولد الزرقاني، والنفراوي شارح الرسالة المتقدم ذكرهم، وكان ذا لحية طويلة شَمْطَاء، صَيِّتاً زعيما، ممن تُرْفَعُ إليه المسائل، ويقصد بالفتوى، وله حلقة كبيرة في جامع الأزهر، يحدق به أكابر المالكية، وهو مالكي المذهب / [27]، وله باع طويل في علم البيان والأصول، وكان أعمى، وعليه وعلى الشيخ العماوي السابق ذكره اعتماد أمر المالكية لاشتهارهما.

---

(1) علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، فقيه مالكي مصري، توفي سنة:(1189هـ). ترجمته في: شجرة النور:(341)، سلك الدرر:(3/ 206)، الكتبخانة:(7/ 385)، الأعلام:(4/ 260).

(2) حسن بن غالب الجدوي، المالكي الأزهري المصري، محدث، أصولي، خطيب له شرح اليعقوبية في مصطلح الحديث توفي سنة:(1202هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(2/ 164)، اليواقيت الثمينة:(1/ 122)، شجرة النور:(360)، هدية العارفين:(1/ 300)، معجم المؤلفين:(3/ 286).

(3) جدة: بلد على ساحل مكة، مطلة على البحر، وهي من بنيان الفرس، وهي مدينة تجارية. الروض المعطار:(157).

(4) رواق المغاربة ما زال إلى اليوم موجودا في جامع الأزهر ومعروفا بهذا الاسم.

(5) سالم بن أحمد النفراوي، المالكي المصري، فقيه محدث توفي سنة:(1168هـ). ترجمته في: فهرس الفهارس:(2/ 362)، معجم المؤلفين:(4/ 202).

➢ ومنهم الشيخ إبراهيم الإفريقي[1]، توفي رحمه الله بالوباء، في ذهابه لزيارة ولي الله تعالى سيدي أحمد البدوي[2]، ودفن عنده، وكان عالما محققا، ذا رتبة عالية في علم المعقول.

وهؤلاء مشاهير المالكية رضي الله عنهم وغيرهم، ومن دونهم من إخواننا وأمثالنا لا يحصون عددا، فالله تعالى يجمعنا وإياهم في سعة رضاه، بفضله وكرمه، بجاه سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما سادتنا الشافعية فأولهم ذكرا:

➢ شيخنا سليمان[3]، وهو رجل أعمى، حضرنا عنده أصول الفقه لابن السبكي، وله قدم راسخة في علم المعقول.

➢ والشيخ يوسف الحفني[4]، كذلك حضرنا درسه في الأُشموني[5] على ألفية ابن مالك، وهوشيخ معتبر عندهم، وله أخ كبير أعلم منه وأتقى، يقال له الشيخ أحمد الحفناوي[6]، نحا[7] إلى العبادة، واتخذ فقراء من طلبة الجامع، ورتب لهم أوقاتا،

---

(1) إبراهيم الإفريقي ذكر كثيرا في كتب التراجم عند ذكر ولده محمد ولم يترجمه أحد.

(2) أحمد بن علي البدوي المتصوف، أصله من المغرب توفي في طنطا ودفن بها سنة:(675هـ). ترجمته في: شذرات الذهب:(5/ 345)، النجوم الزاهرة:(7/ 252)، الأعلام:(1/ 175).

(3) سليمان بن عمر الشافعي له مؤلفات في الفقه، وحاشية على الجلالين، توفي عام:(1204هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(2/ 195)، فهرس الفهارس:(1/ 300)، الأعلام:(3/ 131).

(4) يوسف بن سالم الحفني، فاضل، شاعر، من فقهاء الشافعية، من أهل القاهرة توفي سنة:(1176هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(4/ 241)، عجائب الآثار:(1/ 263)، هدية العارفين:(2/ 569)، إيضاح المكنون:(1/ 2)، الأعلام:(8/ 232)، معجم المؤلفين:(13/ 301).

(5) علي بن محمد بن عيسى الأشموني، نحوي، من فقهاء الشافعية له شرح على ألفية ابن مالك توفي سنة:(900هـ). ترجمته في: الضوء اللامع:(6/ 5)، كشف الظنون:(1/ 153)، الأعلام:(5/ 10).

(6) محمد بن صالح أبي السعود السباعي، الحفناوي الشافعي المصري له: حاشية على تفسير الجلالين في ثلاث مجلدات توفي سنة 1268هـ. ترجمته في: إيضاح المكنون:(1/ 304)، الأعلام:(6/ 164).

(7) نحا إلى الشيء: تفرغ له ومال إليه. اللسان: مادة نحا.

وأذكارا، يجتمعون عليها، وترك التدريس في جامع الأزهر، وربما درس في بعض الجوامع صحيح البخاري، و عليه سِمَةٌ حسنة، و تواضع ووقار، يقصد للتبرك.

> ومنهم شيخنا الجوهري[1]، من نسل سيدنا خالد بن الوليد سيف الله، يدعى الشيخ أحمد الجوهري، حضرنا عنده السلم للأخضري، والصغرى في العقائد للإمام السنوسي، وهو كثير الاعتناء بعلم الكلام.

أخذه عن سيدي محمد الصغير[2]، صاحب ابن الشيخ ابن ناصر الدرعي، وله تآليف في كرامات الأولياء، وذكر الصالحين، وله تقاييد وحواش على صغرى السنوسي، وكان له درس في فقههم وصحيح البخاري، وقال: إنه ممن لازم وصاحب السيد محمد الصغير المذكور إلى الممات، وحضر دفنه في قبة الإمام ابن القاسم[3]، والإمام أشهب[4]، والإمام أصبغ[5]، وقبره بإزاء قبر ابن القاسم وأصبغ ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا بهم آمين ـ معروف، وكان يقول: دفنا معه حرزا مكتوبا في غلاف من نحاس أ صفر، أوصى به، وكان الجوهري هذا، رضي الله عنه، إلى طريق أهل التصوف أميل.

---

(1) أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الجوهري، الشافعي الأزهري، له ثبت في أسماء شيوخه، توفي سنة:(1182هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(1/ 309)، فهرس الفهارس:(1/ 221)، الأعلام:(1/ 112).

(2) محمد الصغير بن محمد الإفراني الأصل، مؤرخ أديب صنف كتبا كثيرة توفي سنة:(1155هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(1/ 74)، الإعلام:(5/ 53)، الأعلام:(7/ 67).

(3) محمد بن قاسم بن محمد الغزي، فقيه شافعي، تولى أعمالا بالأزهر، له مؤلفات منها(فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب) توفي سنة:(318هـ). ترجمته في: الضوء اللامع:(8/ 286)، معجم المطبوعات:(1416)، الأعلام:(7/ 5).

(4) أشهب بن عبد العزيز العامري، فقيه مصر، وصاحب الإمام مالك مات بمصر سنة:(204هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:(1/ 78)، تهذيب التهذيب:(1/ 359)، الأعلام:(1/ 333).

(5) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، فقيه من كبار المالكية بمصر، له تصانيف، توفي سنة:(225هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:(1/ 79)، سير أعلام النبلاء:(10/ 237)، الأعلام:(1/ 333).

> ومنهم الشيخ المناوي[1]، عالم كبير، قدوة، وقد سلم له، وله تصانيف، وشروح في علم المنطق، والكلام، والفقه، والحديث.

> ومنهم الشيخ أحمد[2]، أحد أعلام الشافعية، وأعيان فقهائهم، ومجلسه عند باب رواق المغاربة، وكانت له ملكة، وقوة على التعبير، وفصاحة وتحرير وتحقيق، وتدقيق في العلوم الدقيقة، وكان يحب الخمول، ولا يحب الظهور، عاملا بما علم باتا لما عرف، ناصحا متواضعا غير جاف.

> ومنهم الشيخ العزيزي[3]، فقيه جليل مسن، قد تجرد للعبادة، وترك التدريس.

> ومنهم الشيخ السجيني[4]، تجرد كذلك للعبادة، وترك التدريس، وهو شيخ كبير علما وسنا.

> ومنهم الشيخ الشبراوي[5]، شيخ الجامع، وخطيب أمير مصر، وهؤلاء أهل التصدير والتقديم من الشافعية، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، وأما غيرهم من المدرسين والمتعلمين فلن يحصروا عدا.

---

(1) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المناوي، القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون، له تصانيف مختلفة. توفي بالقاهرة سنة:(1031هـ). ترجمته في: خلاصة الأثر:(2/ 412)، نشر المثاني:(1/ 393)، فهرس الفهارس:(2/ 2)، الأعلام:(6/ 204).

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) علي بن أحمد بن محمد العزيزي الشافعي، فقيه مصري، من العلماء بالحديث توفي سنة:(1070هـ)، ترجمته في: خلاصة الأثر:(3/ 201)، الأعلام:(4/ 258).

(4) محمد بن إبراهيم السجيني الشافعي، الأزهري عرف بابن الرشاد، عالم مشارك، توفي سنة:(1197هـ). ترجمته في: عجائب الآثار:(2/ 77)، هدية العارفين:(2/ 343)، معجم المؤلفين:(8/ 224).

(5) عبد الله بن عامر الشبراوي فقيه مصري، تولى مشيخة الأزهر، له كتب عديدة منها ديوان شعر، توفي سنة:(1171هـ). ترجمته في: سلك الدرر:(3/ 107)، عجائب الآثار:(2/ 120)، فهرس الفهارس:(2/ 1065)، الأعلام:(4/ 130)، معجم المؤلفين:(6/ 124).

وأما الحنفية فليس لهم إذ ذاك إلا مجلس واحد في الجامع وقت الضحى، ولا أدري اسم شيخهم، والحنابلة كذلك قليلون ولهم في الجامع حلقة صغيرة، وجماعتهم قليلة، زهاء خمسة عشر إلى عشرين، فالله تعالى يرزقنا وإياهم اتباع السلف الصالح، والدخول في زمرة العلماء العاملين الذين﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

ثم إننا كذلك ملازمون للجامع، والجوار فيه سنة كاملة، ومن عادة أهل مصر أن يخرجوا لزيارة صالحي قرافتين: الكبرى والصغرى، صبيحة كل جمعة، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، ترى الطرقات كالسيول، تموج بالناس، وذوات الخذور لا يحتجبن في ذلك اليوم، كيف وقد اشتملت تربة قرافة مصر على ما لا يحصيه عدا إلا الله تعالى، من الصحابة، والتابعين وتابعيهم، وعلماء الدين، وأئمة الإسلام، وأولياء الله تعالى، وعباده المخلصين، سلفا وخلفا.

ولا تزال طائفة من أهل العلم والدين في مصر كما نُصَّ على ذلك إلى قرب الساعة. وقد شاهدنا ذلك عيانا سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، وقد ﴿ضَعُفَ ألطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[2] للعلم يومئذ في المغرب، فلا ترى من يعتني به اعتناء، وأما جامع الأزهر هذا، فمشحون اليوم بالعلماء، وأهل الحق، والدين، ومازالوا قائمين بوظائف التدريس والعلم، والتحقيق، ويقصد هذا الجامع للعلم من اليمن، والحرمين الشريفين، والعراقين، والشام، والمغرب، وليس في الدنيا بجميعها مثله علما، على ما شاع وذاع عند الكافة والخاصة.

وناهيك بذلك جامع، يشتمل على نحو من ثلاثين مجلسا في وقت واحد، كلها في الفقه، وفي المشايخ أولئك من له خمسة دروس بين الليل والنهار، ولكن لا عجب

---

(1) سورة يونس: الآية 62.

(2) سورة الحج: الآية 71.

في ذلك، وهم في أقرب مكان من المغرب إلى ينبوع الحِكَمِ والعلوم، وعباب الأسرار والأنوار والفهوم، صلى الله عليه وعلى آله، ما دامت الأقتاب على السنام، وفي محل سَلَفٍ فيه السَّلَفُ الصَّالحُ، وَالخَلَفُ الفَالِحُ، والنسل الناجح، كالإمام الأعظم صاحب رسول الله ﷺ، سيدنا عمرو بن العاص، الذي هو أعقل العرب، وفاتح إقليم مصر، وإمامنا الأفخم سيدنا عقبة، صاحب رسول الله ﷺ، الذي تفوح تربة القرافة وجبلها بنفحة طيبة منه.

والإمام الأكبر أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني أن جماعة من الأولياء يحضرون لزيارة الإمام الشافعي كل يوم رضي الله عنه، والإمام الجليل سيد السادات، صاحب المذهب سيدنا الليث ابن سعد[1]، ومقامه مشهور معلوم بالقرافة قرب مقام الشافعي، ومقام سيدنا عقبة رضي الله عنهم، إلى جهة الجبل المقطم[2].

وفي سفح الجبل أقصى القرافة، تربة الإمامين ابن عطاء الله الإسكندري، وابن أبي جمرة المغربي، وفوق ذلك مقام السادات الوفائية، سيدنا محمد[3]، وابنه سيدي علي[4]، وأولادهما، معروف مشهور، وفوقه في الجبل، مقام الشيخ الجليل الفاضل، ذي مناقب

---

(1) الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها، له أخبار كثيرة، توفي سنة: (175هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: (1/ 438)، حلية الأولياء: (7/ 318)، تهذيب التهذيب: (8/ 459)، الأعلام: (5/ 248).

(2) الجبل المقطم: هو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة. انظر معجم البلدان: (5/ 176).

(3) محمد وفا بن محمد السكندري الشاذلي، رأس الوفائية ووالدهم بمصر، مالكي المذهب، نبغ في النظم، توفي سنة: (765هـ). ترجمته في: شذرات الذهب: (6/ 206)، الدرر الكامنة: (4/ 279)، جامع كرامات الأولياء: (1/ 142)، الأعلام: (7/ 37).

(4) علي بن محمد بن محمد وفا الشاذلي المالكي، متصوف، مولده ووفاته بالقاهرة سنة: (807هـ). ترجمته في: الضوء اللامع: (6/ 21)، جامع كرامات الأولياء: (2/ 380)، الأعلام: (5/ 7).

ذي مناقب كثيرة، وفضائل شهيرة، قدوة المحبين وإمام المتصوفين سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله به وفيه / قيل: [28 [الكامل]

لَمْ يَبْقَ صَيِّبُ مُزْنٍ إِلاَّ وَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ زِيَارَةُ ابْنِ الْفَارِضِ[1]

جُزْ بِالْقَرَافَةِ تَحْتَ ذَيْلِ الْمُعَارِضِ وَقُلِ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْفَارِضِ

أَبْرَزْتَ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا وَكَشَفْتَ عَنْ سِرٍّ مَصُونٍ غَامِضِ

وَشَرِبْتَ مِنْ بَحْرِالْمَحَبَّةِ وَالْوَلَا فَرَوَيْتَ مِنْ بَحْرٍ مُحِيطٍ فَائِضِ

والإمام الأفخم سيدي عبد الله المنوفي[2]، بالقرافة الصغرى، والشيخ خليل تلميذه بإزائه، وعليك بزيارة السادات المالكية عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب، وأصبغ، ويحيى بن يحيى، كلهم في مقام واحد رضي الله عنهم، والسيدة نفيسة رضي الله عنها[3]، مشهور مقامها، شريفة النسب، شهيرة الفضل والبركة، وقبرها معروف بإجابة الدعاء، فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمها موسى الكاظم[4]، ببغداد، وهي السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن علي بن الحسين، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق[5].

---

(1) لم أقف على قائل هذه الأبيات الشعرية.

(2) عبد الله المنوفي أصله من المغرب فقدم أبواه مصر فولد بها، وهو شيخ الشيخ خليل صاحب المختصر في مذهب مالك، وله كرامات كثيرة سنة:(749هـ). ترجمته في: جامع كرامات الأولياء:(1/ 263).

(3) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب، تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث، صاحبة المشهد المعروف بمصر. توفيت سنة:(208هـ). ترجمتها في: وفيات الأعيان:(2/ 169)، فوات الوفيات:(2/ 310)، الأعلام:(8/ 44).

(4) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر أبو الحسن الكاظم، من أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد توفي سنة:(183هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان:(2/ 131)، مقاتل الطالبين:(331)، ميزان الاعتدال:(3/ 209)، والأعلام:(7/ 321).

(5) إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب القرشي العلوي المدني، كان صدوقا في الحديث، روى له البخاري. ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال:(1/ 379)، تهذيب التهذيب:(1/ 229).

وكان الإمام الشافعي يصلي بها التراويح في رمضان، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد سمعنا من أشياخ الأزهر، أنها هي والشيخ عبد الله المنوفي المالكي والإمام الشافعي رحمهم الله تعالى، هم الذين يتولون أمر مصر، والتصرف فيها، ثم إن علماءها وأولياءها لا يحصرهم عد، ولا يحيط بهم لسان.

قال الجلال السيوطي: نص الكتاب والسنة على أن أرض مصر أحسن البقاع، وتضافرت على ذلك آثار الصحابة والأتباع، وانعقد عليه الإجماع: [الخفيف]

شَوَّقَتْنَا إِلَى الْجِنَانِ فَزِدْنَا فِي اجْتِنَابِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ[1]

روضة ذات محاسن، فيها أنهار من ماء غير آسن، وأشجار تنبت بأفانين الأحاسن، وأزهار مابين مفتوح العين وواسن، وأطيار تَتَرَنَّمُ بلغات يَعْجَبُ منها كُلُّ فصيح وَلَسِنٍ: [الكامل]

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةَ رِيشِهِ الطَّاوُوسُ[2]

روضة هي مجمع البحرين، ومختار يقابل مجمع البدرين، فهي على كل الأحوال ذات النورين، لم يفز غيرُها بِحُسْنٍ إلا وكان لها منه قِسْمٌ قَسِيمٌ، ولم تتقابل وجوه المناظر إلا وكان وجْهُهَا وَسِيمٌ، فلا غرو إن كانت مَلِكَةُ المنتزهات، فإنها: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[3]: [الكامل]

مَنْ مَاتَ فِيهَا فَهْوَ مَغْفُورٌ لَهُ فَمِنَ الْجِنَانِ إِلَى الْجِنَانِ يُنَقَّلُ

---

(1) البيت للبحتري في ديوان شعره: (3/ 2006)، من قصيدة في وصف القصر المعروف بالصبيح.

(2) البيت لابن اللبانة في ديوان شعره، من قصيدة في وصف جزيرة ميورقة.

(3) سورة النمل: الآية 23.

كأنها بدر والنيل حولها هالة، أو شمس في وسط السماء ليس عليها سحاب أو غلالة، وكأن السماء نثرت على أغصانها النجوم، وهي دار مُلْك وخِلافة، وسرير سلطنة ورتبة أنفة، ومسكن علماء أَعْلام، ومجلس قضاة وحُكَّام، ومقر صلحاء وعُبَّاد، ومقر صوفية وزُهَّاد، قال ابن الفارض: [الرمل]

وَطَنِي مِصْرُ وَفِيهَا وَطَرِي ... وَلِنَفْسِي مُشْتَهَاهَا مُشْتَهَاهَا[1]

وكم سكن بها من خلفاء، وملوك وأمراء، وكتاب ورؤساء، ووزراء وقراء، وأولياء وفقراء، وأغنياء وأذكياء، وأغبياء، وذي هنات وأتقياء، وتلاوة قرآن، وتدريس أفنان، وشعائر وآذان، ونغمات وألحان، وقضاء أوطار، وضربات أوتار و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]، وهذا يسعى في خَلاص ذمَّته، وأداء أمانته، وهذا يوافقه القدر في حبائل جِنَايَتِهِ بِخِيَّانَتِهِ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[3].

قال الحريري: [الوافر]

بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ... وَجِيرَانٍ تَنَافَوْا فِي الْمَعَانِي[4]

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي ... وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ الْمَثَانِي

وَمُضْطَلِعٌ بِتَلْخِيصِ الْمَعَانِي ... وَمُطَّلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ عَانِي

وَكَمْ مِنْ قَارِئٍ فِيهَا وَقَارِ ... أَضَرَّا بِالْجُفُونِ وَبِالْجِفَانِ

---

(1) البيت في الديوان:(198).

(2) سورة المدثر: الآية 38.

(3) سورة الإسراء: الآية 84.

(4) الأبيات وردت في مقامات الحريري:(302) بنفس الرواية.

فَصِلْ إِنْ شَئْتَ فِيهَا مَنْ يُصَلِّي ... وَإِمَّا شِئْتَ فَاذْنُ مِنَ الدِّنَانِ
وَدُونَكَ صُحْبَةَ الْأَكْيَاسِ فِيهَا ... أَوِ الْكَاسَاتِ مُنْطَلِقُ الْعِنَانِ

هذا يعدها عونا على تقواه، وهذا يعدها للعبه وملهاه، هذا يرعى فيها النجوم، ويناجي الحي القيوم، وهذا يغفل ليله إلى الصباح ويقطعه بما هو عليه ملوم، هذا ينظر إليها بعين الفكرة، والتبصر في عجائب القدرة، وهذا ليس له إلا الابتهاج بنضارة الزهرة، هذا يشهد حينا مشاهد شهوده، وهذا يشهد وقوم غيره أفضل من شهوده، وكم لله على سكانها من مَنٍّ لا يحصي العادُّ ضبطه، فإن قيل: بها من الناموس شَيْنٌ، فقل له: لا بد منه لِدَفْعِ الْعَيْنِ، فإن قيل: ويخلفه عند انقضائه أذى البرغوث فقل: [السريع]

لاَ تَكْرَهِ الْبُرْغُوثَ إِنَّ اسْمَهُ ... بَرٌّ وَغَوْثٌ لَكَ لَوْ تَدْرِي
فَبِرُّهُ مَصُّ دَمٍ فَاسِدٍ ... وَالْغَوْثُ يُوقِظُكَ فِي الْفَجْرِ

يحيط بها النيل وما أدراك ما النيل، سيد الأنهار، والمسخر له جميع مياه الأرض تمده في الزيادة كما ورد في الآثار، أصل منبعه من الجنة وهو في الجنة نهر العسل، ويرفعه جبريل عند رفع القرآن، ومن لم يعرف فليسأل «وليس الخبر كالعيان»[1]:

[البسيط]

دِيَارُ مِصْرَ هِيَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُها ... هُمُ الْأَنَامُ فَقَابِلْهَا بِتَقْبِيلِ[2]
يَا مَنْ يُبَاهِي بِبَغْدَادَ وَدِجْلَتِها ... مِصْرٌ مُقَدِّمَةٌ وَالشَّرْحُ لِلنِّيلِ

---

(1) تقدم.

(2) البيتان لابن الوردي في ديوان شعره، في مدح مصر وأهلها.

وأمـا الأهرام فقبور على مـا قيل، بنيت عليها تلك الأبنية المتقنة العجيبـة الأسـاس والبناء، فيا لها من ترصص وعلـو في الهـواء، وأخبـار مـصر لا تنحـصر، ولقـد وضـع أصحاب التاريخ عليها تآليف عديدة في عجائبها اللذيذة.

انتهى. ووقع الفراغ منها ضحوة يوم الأحد

الثالث عشر من شهر الله جمـادى الثاني[1]

سنة ثمـان وسبعين ومـائتين وألف

اللَّهُمَّ يا عظيم المنة، هب لكاتبها الجنة

ولجميع أهل السنة، آمين.

---

(1) الصواب: جمـادى الثانية، قيل:

إن الشهور كلها تُذَكَّرُ إلا جُمـادَيْنِ رَوَوْا وَصَفَرُ.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأشعار والقوافي
- فهرس الكتب الواردة في المتن
- فهرس الأعلام
- فهرس البلدان والمواضع
- القبائل والأمم والطوائف
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	البقرة	125	109
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾	البقرة	126	108
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	البقرة	157	132
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾	البقرة	197	103
﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾	البقرة	197	102
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	البقرة	199	103
﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴾	البقرة	200	104-114-115
﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾	البقرة	201	104
﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾	البقرة	254	81

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾	آل عمران	96 -97	110
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾	النساء	63	153-150
﴿آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾	المائدة	3	100
﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾	الأنعام	36	61
﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾	الأعراف	163	95
﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	يونس	62	188
﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾	يوسف	99	91
﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾	الرعد	25	165
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	إبراهيم	22	100
﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾	إبراهيم	37	105
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾	الإسراء	84	192
﴿قَاعًا صَفْصَفًا لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾	طه	106	97-90
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	الحج	23	144
﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	الحج	24	100
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾	الحج	28	143

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار والقوافي

أول البيت	القافية	البحر	الأبيات	الشاعر	الصفحة
ومالي	السماء	الوافر	9	النبتيتي	57-58
وعدتني	الوجناء	الخفيف	2	البوصيري	77
أفلا أنطوي	الأفلاء	الخفيف	4	البوصيري	93
فقضينا	القضاء	الخفيف	1	البوصيري	104
و كأن	الجربياء	الخفيف	8	البوصيري	149
وذهلنا	لقاء	الخفيف	4	البوصيري	174
فحططنا	الحوجاء	الخفيف	2	البوصيري	150
ولما راينا	ولالبا	الطويل	2	المتنبي	151
يا دار	بالآيات	الكامل	8	-	92-93-164
فهذا	سمعة	الطويل	1	الحضيكي	106
لك الحمد	لحظة	الطويل	3	الحضيكي	146
وإنما ذكرت	خرجوا	الرجز	2	الحضيكي	65
وقد	وحيدا	الرجز	1	-	74
دبيت	الأزرا	البسيط	3	رجل من بني أسد	61
تحسن	يرى	الطويل	5	الرسموكي	64
لا تكره	تدري	السريع	2	-	193
وكن	الشمس	الطويل	2	محمد الهشتوكي	66

فهرس الكتب الواردة في المتن

فهرس الأعلام[1]

(1) راعيت ابن وأبو في ترتيب الأعلام، وذكرت في الفهرس الأعلام المترجمين في الرحلة وغير المترجمين.



فهرس البلدان والمواضع

فهرس القبائل والأمم والطوائف

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن ابن زيدان، المطبعة الوطنية، ط. 2، 1410هـ ـ 1990م.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة بيروت
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ضبطه وحققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358هـ1939م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق محمد علي البيجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة، دون تاريخ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعةالأولى 1388هـ ـ 1968م بالقاهرة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعلي بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة. د. ت.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، مراجعة: عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية 1413هـ- 1993م .
- أعلام المغرب العربي، لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، الطبعة الثانية 1425هـ ـ2004م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1397هـ ـ 1977م.

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1995م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه عبدالأمير علي مهنا وسمير يوسف جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الرابعة 1422هـ-2002م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ- 2004 .
- أوجز المسالك إلى موطأ مالك، لمحمد زكريا الكاندهلوي، دار الفكر طبعة 1400هـ - 1980.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى بغداد، 1951م .
- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف بيروت، ومكتة النصر الرياض، الطبعة الأولى 1966م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحي الضبي، تح. روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ت.
- البيان المغرب في اختصار أخبار المغرب، لابن عذاري المراكشي، مراجعة إحسان عباس، طبعة بيروت، د ـ ت.

- تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ ـ 1981م
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، طبع للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد. ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة 1349هـ ـ 1931م
- تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة، من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان، لمحمد بن عبد السلام الرباطي الملقب بالضعيف، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م.
- تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي، وسماه: كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، طبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. د. ت.
- تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الطبعة الأولى، 1412هـ ـ 1991م.
- تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1956م.
- التشوف إلى معرفة رجال التصوف، ليوسف بن يحيى ابن الزيات، نشر أدولف فور. الرباط 1958م.
- تعريف الخلف برجال السلف، لمحمد الحفناوي الديسي، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.

- تهذيب التهذيب، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن, الطبعة الأولى 1325هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1425هـ ـ 2004م.
- جامع كرامات الأولياء، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، صححه وضبطه، محمد عزت بيومي، طبعة المكتبة التوفيقية، د.ت.
- الجامع الكبير، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب. د. ت.
- الجامع الكبير، لمحمد بن عيسى الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1996م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403هـ ـ 1983م.
- جواهر الكمال في تراجم الرجال، لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني، تحقيق علال ركوك، الرحالي الرضواني، محمد الظريف، الطبعة الأولى 1425هـ ـ2004م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، طبعة سنة 1418هـ ـ 1998م.
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد بن محمد الأندلسي السراج الوزير، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1423هـ ـ 2002م.
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر، طبعة دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1977م.
- الخصائص الكبرى، المعروف بكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، لجلال الدين السيوطي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمحروسة حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1319هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد المحبي، طبعة حجرية ـ المطبعة الوهبية، مصر، 1284هـ.
- خلال جزولة لمحمد المختار السوسي، المطبعة المهدية، تطوان، د.ت.
- دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي وعبدالحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف محمد مهدي علام، دار الفكر، د.ت.
- الدر الثمين في أسماء المصنفين، لعلي بن أنجب المعروف بالساعي، حققه وعلق عليه، أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1430هـ ـ 2009م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية،
- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، د. ت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثية. طبعة، د. ت.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، طبع ونشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1960م .

- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، طبعة ثالثة منقحة ومفهرسة، تحقيق محمد حجي، راجعه ورقم فهارسه عبد المجيد خيالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الطبعة الثالثة 1424هـ - 2003م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، طبعة دار التراث، د. ت.
- ديوان البحتري، عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية. د. ت.
- ديوان البوصيري شرف الدين محمد بن سعيد، تحقيق محمد سعيد كيلاني، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى 1374هـ - 1955م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت، لبنان. د. ت.
- ديوان ابن الفارض، شرحه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة 1423هـ - 2002م.
- ديوان أبي نواس، شرحه وضبطه وقدم له علي عافور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.
- الروض الأنف، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، علق عليه مجدي بن منصور الشورى، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى. د.ت.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع مسرد عام، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار القلم لبنان 1975م.

- السعادة الأبدية في التعريف برجال الحضرة المراكشية، لمحمد بن محمد بن الموقت المراكشي، تحقيق حسن جلاب، وأحمد متفكر، المطبعة الوراقة المطنية مراكش، الطبعة الأولى 1423هـ-2002م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المرادي، طبعة حجرية، فاس، د.ت.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر ابن إدريس الكتاني، طبعة حجرية، فاس، 1316هـ.
- سنن ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة المكتبة العلمية، بيروت لبنان. د. ت.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، طبعة 1994م.
- سنن الدارقطني، لعلي بن عمرالدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة القا
- سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي، المطبعة المصرية بالأزهر، طبعة بدون تاريخ.
- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر بيروت. د. ت.
- سوس العالمة، لمحمد المختار السوسي، طبعة فضالة المحمدية، طبعة عام 1380هـ-1960م.
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق نخبة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1412هـ - 1992م.
- شجرة النور الزكية، لمحمد بن محلوف، دار الفكر بيروت، د.ت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، 1350هـ.

➢ شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري، تحقيق علي المفضل حمودان، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1992م.

➢ صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الحديث القاهرة، طبعة 1425هـ ـ 2004م.

➢ صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب الرياض، الطبعة الأولى 1417هـ ـ 1996م.

➢ صفة الصفوة، لأبي الفرج ابن الجوزي، حققه وعلق عليه محمود فاخوري، وخرج أحاديثه محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1399هـ ـ 1979م.

➢ صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير بن محمد بن عبدالله الإفراني المراكشي ، طبعة حجرية.

➢ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، مكتبة القدسي، طبعة 1353 هـ.

➢ طبقات محمد بن أحمد الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

➢ طبقات الشاذلية الكبرى، المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، للحسن بن محمد الكوهن الفاسي، طبع بمصر 1347هـ.

➢ طبقات الصوفية(الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1999م.

➢ الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى 1377هـ - 1957م.

➢ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي ، طبعة بولاق، 1277هـ - 1860م.

➢ غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير الخير ابن الجزري، طبعة مصر عام 1351هـ.

- فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام من القرن التاسع إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، للحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة أكادير.
- فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها - تطورها- قيمتها العلمية، لعبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب جامعة عبدالملك السعدي، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999هـ.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبدالكبير الكتاني باعتناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1402هـ - 1982م.
- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت.
- قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية - الرباط 1388هـ - 1968م.
- كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.
- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، اعتنى به وراجعه هيثم الطعيمي، نجيب ماجدي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.
- كتاب المحبر، لمحمد بن حبيب، رواية أبي سعيد السكري، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت.د. ت.
- كتاب الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، الطبعة الأولى 1386هـ - 1966م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، منشوات مكتبة المثنى بغداد، 1951م.

- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بالخصائص الكبرى، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمحروسة حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1319هـ.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، ضبط النص أبو يحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2002م.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، د.ت.
- لسان العرب، لابن منظور طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ ـ 1996م.
- لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الثانية 1390هـ ـ 1971م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، عنيت بنشره مكتبة القدسي القاهرة، طبعة 1353هـ.
- المدونة الكبرى، لمالك بن أنس، رواية سحنون، حققها علي بن عبد الرحمن الهاشم، دار النصر للطباعة الإسلامية.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة الطبعة الثانية 1413هـ ـ 1993م.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1373هـ ـ 1954م.
- المستقصى في أمثال العرب، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1408هـ ـ 1987م.

- مسند الإمام أحمد، رقم أحاديثه محمد عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1993م.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب (الفترة المعاصرة: 1790 م ـ 1930 م) لمحمد المنوني، مطبعة فضالة، المحمدية، 1410هـ / 1989م .
- المعارف، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1424هـ ـ 2003م.
- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1993م.
- معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، طبعة 1995م.
- معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، لعبد الحفيظ بن محمد بن الطاهر ابن عبد الكبير الفاسي، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ ـ 2003م.
- معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين، لعبد الرحمن ابن زيدان، دراسة ببليومترية وتحقيق حسن الوزاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى 1430هـ ـ 2009م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة 1403هـ ـ 1983م.
- معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى، لعبد العزيز بنعبد الله، مطبعة فضالة، المحمدية، د.ت.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إلياس سركيس، مطبعة سركيس بمصر طبعة 1346هـ ـ 1928م.

- معجم المطبوعات المغربية، لإدريس بن الماحي القيطوني، تقديم الأستاد عبدالله كنون، مطابع سلا، د. ت.
- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف بغداد.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، طبعة 1414هـ ـ 1994م.
- المعسول، لمحمد المختار السوسي، د. ت.
- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادةلطاش كبرى زاده، مطبهة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى. د.ت.
- المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبد الله الصديق الغماري، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت.
- مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري، طبع بالمطبعة الحسينية المصرية، سنة 1348هـ ـ 1929م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1357هـ
- موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ-1996م.
- الموطأ، لمالك بن أنس، رواية الزهري، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، محمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992م.

- ميزان الاعتدال، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 1325هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغرى بردي الأنابكي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى 1357هـ/1938م.
- نشر المثاني بأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، تحقيق محمد حجي، وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1997م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت طبعة 1388هـ ـ 1968م.
- نكت الهميان في نكت العميان، لخليل بن أيبك الصفدي، وقف على ضبطه أحمد زكي بك، طبعة دار المدينة، 1329هـ - 1911م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد 1378هـ ـ 1958م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية 1423هـ ـ 2004م.
- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1951م.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تحقيق نخبة من الأساتذة، الطبعة الثانية.
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة لمحمد البشير ظافر الأزهري، مطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى، طبعة 1324هـ.

فهرس المحتويات

القسم الثاني: متن الرحلة المحقق

الفهارس العامة

Ar Rihla al Hijâziya

Al 'Allâma, al Faqîh Abî Abdallah Muhammad Ibn Ahmed al Hudaïkî as Sussî (d. 1189 H.)

Considered as one of the most important kinds of literary production, the Rihla literary kind began under the form of daily memoirs written by people taking interest in writing down and recording the details of thei daily life. Only great travelers distinguished by this literary kind that wa soon well known because it constitutes historical and geographica references [of these people's lives] and historical events.

Moroccans showed a great interest in this literary kind; the proof is th great number of Rihlat they wrote. The most famous are the Rihla of Abî a Hasan Muhammad Ibn Ahmed Ibn Jubair al Andalusi (d. 614 H.), the one o Abî Abdallah Muhammad Ibn Omar Ibn Ruchaid al Fihrî as Sabtî, know under the name of "Mil'u al 'Ayba" (d. 721 H.), the Rihla al Maghribiya o Abî Abdallah Muhammad Ibn Muhammad Ibn Ali al 'Abdarî al Hîhî (whicl took place in 688 H.), and the Rihla of Abî al Qâsim Ibn Yusef at Tujînî (m 730 H.), called Mustafâd ar Rihla wal Ightirâb.

In the frame of the interest shown by the Patrimony Revival, Researc and Studies Centre of the Muhammadan League of Religious Scholars t the sources of Moroccan Rihlat, the Centre publishes the Rihla al Hijâziy with a new form of annotations and commentaries. The author, al 'Allâm Abî Abdallah Muhammad Ibn Ahmed al Hudaïkî (d. 1189 H.), gathered i this Rihla the quest of science and the pilgrimage and talks of the sheikh whose lectures he attended on his way to the Hijaz and the [intellectua profits he thus gained.

The Allâma al Hudaîki enriched his Rihla with historical and geographic data. He talks about the demographic composition of a number c countries, listing various tribes, social customs, and describing wit precision many countries and pilgrimage places. This Rihla has a grea literary quality, above all when the author mentions with nostalgia h country.

This Rihla is very important and constitutes a historical, geographical an literary reference.

Translation: Mekaoui Abdélila

Ar Rihla al Hijâziya
Al 'Allâma, al Faqîh Abî Abdallah Mohammed Ibn Ahmed al Houdaïkî as Soussî (m. 1189 H.)

Le genre littéraire de la Rihla, considéré comme l'un des plus importants dans le patrimoine islamique, a commencé sous la forme de mémoires quotidiens rédigés par des personnes accordant de l'intérêt à la saisie et l'enregistrement détaillé des faits qui meublaient leur vie quotidienne. Ce genre littéraire, par lequel seuls les grands voyageurs se distinguèrent, n'a pas tardé à être connu, car il constitue des références historiques et géographiques importantes [de la vie de ces personnes] et des événements historiques.

Les Marocains manifestèrent un grand intérêt pour ce genre ; en témoigne le nombre important d'excellentes Rihlat dont les plus célèbre furent celle de Abî al Hasan Mohammed Ibn Ahmed Ibn Joubair al Andalousi (m. 614 H.), celle de Abî Abdallah Mohammed Ibn Omar Ibn Rouchaid al Fihrî as Sabtî, connu sous le nom de "Mil'ou al 'Ayba" (m. 721 H.), la Rihla al Maghribiya de Abî Abdallah Mohammed Ibn Mohammed Ibn Ali al 'Abdarî al Hîhî (qui eut lieu en l'an 688 H.), ainsi que la Rihla de Abî al Qâsim Ibn Youssef at Toujînî (m. 730 H.), appelée Moustafâd ar Rihla wal Ightirâb.

Dans le cadre de l'intérêt porté par le Centre des Etudes, de Recherches et de Revivification du Patrimoine de la Rabita Mohammadia des Oulamas aux sources des Rihla marocaines ce dernier procède à la publication de la "Rihla al Hijâziya" sous une forme nouvelle d'annotations et de commentaires. A l'étude, nous constatons que l'auteur, al 'Allâma Abî Abdallah Mohammed Ibn Ahmed al Houdaïkî (m. 1189 H.), y a rassemblé la quête de la science et l'accomplissement du pèlerinage. Il y parle des cheikhs aux cours desquels il a assisté sur son chemin du Hijaz ainsi que des profits qu'il en a tirés.

Al Allâma al Houdaîki a enrichi sa *Rihla* par des données historiques et géographiques ; il y parle de la composition démographique d'un certain nombre de pays, citant les différentes tribus, les coutumes sociales, et décrivant avec précision nombre de contrées et de lieux de pèlerinage. Cette *Rihla* ne manque pas de qualité littéraire, surtout lorsque l'auteur évoque avec nostalgie son pays.

En résumé, cette *Rihla* a une grande importance qui en fait une référence historique, géographique et littéraire.

Traduction : Mekaoui Abdélilah

Rabita Mohammadia des Oulémas

Publications du Centre des Etudes,
de Recherche et de Revivification du Patrimoine

Série :
Koutoub at-Tarâjim, al-Fahâriss, al-Barâmij wa ar-Rihlât (3)

Ar Rihla al Hijâziya

Al 'Allâma, al Faqîh Abî Abdallah Mohammed Ibn Ahmed al Houdaïkî as Soussî (m. 1189 H.)

Etabli et annoté par :

Dr. Adelali Lemdabar



هذا الكتاب

يُعَدُّ أدب الرحلة من أهم الألوان الأدبية التي تميز بها التراث الإسلامي، لذلك ما لَبث أن صار مصدراً تاريخياً وجغرافياً مهما لأيام الناس، وحوادث الزمان؛ اشتهر به الرّحالة دون غيرهم، وكان للمغاربة قديما وحديثا نصيب وافر في الاهتمام بهذا الفن، ويدلُّ على ذلك ما دوّنوه من رحلات جليلة حافلة؛ شكّلت مذكرات يومية لهم، كَلِفُوا خلالها بتسجيل وضبط تفاصيل ما يُؤثث أيامهم من أحداث، ومن أشهر رحلاتهم: رحلة أبي الحسن ابن جُبير الأندلسي (ت614هـ)، ورحلة أبي عبدالله ابن رُشيد السّبتي (ت721هـ)، ورحلة أبي عبدالله العبدري (كانت رحلته سنة 688هـ)، ورحلة أبي القاسم التجيبي (ت730هـ)، وغيرها.

ومن أشهر رحلات علماء المغرب المتأخرين الرحلة الحجازية للعلامة أبي عبدالله محمد بن أحمد الحُضَيْكِي (ت1189هـ)، وهي رحلة جمع فيها صاحبها بين طلب العلم وأداء فريضة الحج، فرَسَمَ بذلك ملامح من حياته العلمية؛ مُعَرِّفاً بشيوخه الذين مرّ على مجالسهم في طريقه إلى الحجاز وما تلقّاه عنهم من فوائد وإجازات، كما أغنى رحلته بإفادات تاريخية وجغرافية؛ متحدّثاً عن التركيبة السكانية لعدد من البلدان، ذاكراً قبائلها وعشائرها وعاداتها الاجتماعية، واصفاً الكثير من المواضع والبقاع والمزارات التي شاهدها وصفاً دقيقاً، ولم تخلُ رحلته من نَفَس أدبي رفيع، وكل هذا يؤهل الرحلة لتكون مصدرا تاريخياً وجغرافياً وأدبياً مهمّاً.